أنور الجندي

إعادة النظر

في كتابات العصريين في ضوء الإسلام

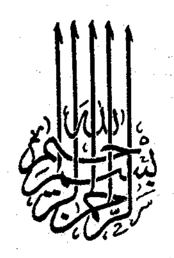
دار الاعتصام

أنور الجندي

إعادة النظر

في كتابات العصريين في ضوء الإسلام

دار الاعتصام



دار الاعتصام
٨ شارع حسين حجازي - تليفون ٣١٧٤٨/٢٦٠٣١ - ص.ب ٤٧٢ - القاهرة
للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فى مطالع هذا القرن الهجرى الخامس عشر تقتضينا أمانة القلم ومسئولية الكتابة فى الثقافة والأدب والعمل الصحفى خلال أربعين عاماً أن نعيد النظر فى كتابات العصريين الذين حاولوا السيطرة على آفاق الفكر الإسلامى الأصيلة وتحويلها من وجهتها الخالصة لله تبارك وتعالى إلى وجهات متعددة وصدق الله تبارك وتعالى : **« وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .. »** . فقد جاء الغزو الثقافى يحمل لواء التغزيب والشعوبية لينشىء تيارات جديدة ذات بريق وذات نفوذ استطاعت بفضل جهد السيطرة الاستعمارية من التغلغل فى عقل الأمة الإسلامية وفكرها وروحها بدعوات مادية ووثنية وإباحية أعان عليها سيطرة النفوذ الاستعمارى على التعليم والصحافة فهما النافذتان الخطرتان اللتان نفذ منهما إلى الفكر الإسلامى الأصيل النقى الربانى المصدر الإنسانى الوجهة تلك الدعوات المسمومة التى ما تزال تتخطفه بين ليبرالية وماركسية وصهيونية ، ولذلك فقد كان لابد من (إعادة النظر) فى هذا الركام الخطير الذى خلفته هذه المحاولة الخطيرة خلال أكثر من قرن من الزمان ، فقد تصادف أن كان الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ مقارباً لمطلع القرن الرابع عشر الهجرى ، الذى انطوى اليوم وبات على المؤرخين والباحثين مراجعته وتقييمه وكشف أوجه الزيف والمحاذير التى أحاطت به ، فقد لمعت فى هذه الفترة أسماء كثيرة لمعاناً زائفاً ، واستطاعت بفضل الورق الصقيل والصحف العلمانية ودور النشر التغريبية ، ونفوذ قوى أخرى مسيطرة على التعليم والثقافة والصحافة أن تبرز هذه الأسماء وأن تجعل من فكرها المسموم أشبه بأفكار مسلم بها فى عديد من المجالات وخاصة فى مجال المجتمع الإسلامى الذى تعرض لأشد هذه الأخطار مما تأثرت به الأسرة والمرأة والطفل وأجيال الشباب المفرغة من الأصالة ،

الغارقة فى الانحلال الغافلة عن الخطر الأكبر المحيط بالأمة الإسلامية كلها والذى يتطلع إلى اليوم الذى يكون فيه قادراً على صهرها فى بوتقه بعد مرحلة احتوائها التى نمر بها الآن .

١ ــ ولقد استطاع اللورد كرومر أن ينشىء فى مصر عام (١٨٨٣ ــ ١٩٠٧) تلك القاعدة التغريبية التى توالدت وأنشأت هذه الأجيال المتعددة من العلمانية منذ ذلك الوقت تحمل لواء الاحتقار للإسلام وللوطنية وتوعو إلى التبعية للغرب وتعجب ببطولاته وتحمل لواء الدعوة إلى أن الإسلام دين عبادى متخلف صحراوى ، منكرة ربانية الإسلام وعالميته ، وتكامله الجامع بين الدين والسياسة ، وكان أخطر ما تدعو إليه حركة التغريب هو :

(أ) القضاء على الوحدة الإسلامية وإحلال مفهوم الإقليميات والقوميات الضيقة القائمة على الدماء والعناصر .

(ب) القضاء على الشريعة الإسلامية والنظام الاقتصادى الإسلامى وإحلال قانون نابليون والنظام الاقتصادى الربوى .

(ج) القضاء على التربية الإسلامية وإحلال نظام التعليم الغربى العلمانى المفرغ من العقيدة والأخلاق .

وهكذا أوتيت هذه الأمة من مقتلين : من مقتل التعليم ، ومن مقتل الصحافة ، فقد حطمت قوائم التربية الإسلامية وأقيم نظام تعليمى علمانى قاصر يقوم على خلق طبقة من الكتبة والموظفين ، المبهورين بالغرب ، القابلين بالتعاون مع الاستعمار ، ثم جاءت الصحافة التى تولاها المارون ففتحت الأبواب أمام سموم الفكر الغربى ، والماسونية والعاميات ، والقصص الإباحى واحتقار القيم والأخلاق ، ولعل نظرة واحدة إلى مخطط اللورد كرومر فى هدم قوائم الإسلام وركائز القيم الإسلامية فى مصر ليقدم الدليل الأكيد على أن ما نراه حتى اليوم من مخططات ودعوات إنما تستمد وجودها من هذه الهجمة الشرسة التى قام بها زعيم التغريب الأكبر .

فقد عمد كرومر إلى عملين خطيرين : زعزعة العقيدة الدينية إلى جانب اقتلاع مقومات الوطن والوطنية ، وجعل الحضارة الأوربية هى النموذج الأعلى للمصريين ليأخذوا به .

وتدل(١) كتابات كرومر على إدراكه التام لموقف الإسلام فى الشرق (فالمصريون يتمسكون تمسكاً تاماً بالإسلام الذى هو أحد الكلمات المرادفة للوطنية فى الشرق والإنجليز لا يهدفون إلى نشر المسيحية ولكنهم يريدون نشر حضارة تقوم على أساس مسيحى) . ومن ثم عمد رجال الاحتلال إلى العمل على زيادة عدد المصريين الآخذين بنصيب من الحضارة الأوربية (أمثال لطفى السيد ، وسعد زغلول) وجعلوا لبعضهم مقاماً كبيراً فى الدور السياسى الذى تمر به مصر منذ الاحتلال ، وإذا استمر المضى فى هذا الطريق أصبح المصرى الآخذ بحضارة أوربا أقل مصرية وأكثر ميلا لأوربا إذ يصبح المصريون بهذا الفيضان المتدفق من الحضارة الأوربية أقل إسلاماً ، وهم فى نفس الوقت لم يحصلوا بعد على العمود الفقرى فى الحضارة الأوربية ، هذا بالنص ما يورده كرومر فى تقاريره ، وكما يصفهم فى عبارة قصيرة (بأنهم مسلمون وليست فيهم خواص إسلامية ، وأوربيون وليست فيهم خواص أوربية) .

ويرى كرومر أنه فى إدخال المدنية الأوربية فى مصر (يجب ألا يغيب عن ذهننا أنه لا يمكن إدخال أى تجديد فى الإسلام وبعبارة أخرى أن الإسلام المجدد ليس إسلاماً ، أنه شىء آخر لا يمكننا وصفه ، لذلك فعلينا ألا نتوقع مساعدة كبرى من المسلمين المتمسكين بدينهم ، فهم يزدادون تمسكاً بالدين كلما ازدادت المدنية الأوربية فى مصر ، أما السوريون والأرمن فليسوا أجانب ، والأقباط إلى جانب أنهم مسيحيون — فهم فى عام ١٨٨٢ لا يمتازون عن المسلمين من ناحية التعلم — **كذلك فإن المصرى المتحضر بالحضارة الأوربية أصبح هو العامل الأساسى فى إدارة البلاد إلى جانب الأوربيين والواقع** أن القسم الأكبر من المصريين مسلم ، وينظر إلينا (نحن الإنجليز) باعتبارنا لا نعرف شيئاً خارج المادة (روحياً) ولكن توجد بينه بين عالم الأزهر فى الوقت نفسه هوة لاتقل اتساعاً عن الهوة التى تفصل بين العالم الأزهرى وبين الأوربى . وهكذا فإن الشباب المسلم الدائر فى تيار الحضارة

---

(١) ل / الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى للدكتور سامى عزيز .

الأوربية يفقد إسلامه أو على الأقل يفقد القدر الأكبر من دينه ويحرم نفسه من أهم مبادئ عقيدته وفى الوقت نفسه نادراً ما يتجه هذا الشخص إلى المسيحية .

ويعترف كرومر بفضل القارة الأوربية على الشرق من الناحية المادية « أما من الناحية المعنوية فإن التأثير على الأخلاق غير واضح ، فالحضارة الأوربية تقضى على دين دون أن تستبدل به غيره ، فالمصرى الذى قد نطلق عليه (صاحب التفكير الحر) يجد نفسه فى خضم هائل دون مرشد و هاد ، أنه لا يجد فى تاريخه الماضى ولا من ظروفه الحاضرة سنداً أخلاقياً يعتمد عليه ، أنه يرى دينه راغباً فى التجديد ، أما الدين الذى يقتل الإصلاح والتجديد فهو دين آخر ، لذلك فإنه يتجه إلى ترك الدين جانباً ، وهكذا فإنه بحرمان نفسه من عقيدته لن يجد رادعاً أخلاقياً ،وفى الوقت نفسه يحاول تقليد الأوربى ، ولا يترك هذا المصرى عقيدته خلف ظهره فحسب بل أنه يترفع عنها ويزدريها ، وهكذا يندفع مغمض العينين بين أحضان الحضارة الأوربية غير مدرك لحقيقة هامة ، هى أن ما يراه ليس سوى المظهر الخارجى لتلك الحضارة ، بينما تستقر المعنويات المسيحية تحت هذا المظهر وتتحكم فى حركاته ، ويصعب على مقلد الحضارة الأوربية أن يحصل عليها » ولكن هل يحيا المصريون هكذا دون عقيدة معينة ؟

ويوضح كرومر أنه (بمرور الوقت سيخلق المسلمون ديناً لا يقوم على الإسلام الأول ، أنه سيقوم على مبادئ جديدة ، وهكذا فإن المصرى المتحضر بالحضارة الأوربية هو الحجر الأول وليس الأخير فى المجتمع المتطور) .

وينصح كرومر رجال السياسة الأوربيين بالابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعد تحقيراً للعقيدة الإسلامية ولندع هؤلاء الذين يقودون دفة الدولة على حذر يدكون فى مكر الصرح الدولى للمجتمع الإسلامى فإن ازدراء العقيدة الدينية للشعب بأسره أمر على جانب كبير من الخطورة سياسياً واجتماعياً) :

وهكذا رسم المعتمد البريطانى الطريق للوقوف فى وجه الإسلام ،

كعقيدة إلى حد أن (أقبل فريق من المسلمين المتأثرين بالحضارة الغربية على كل غربى وتركوا ماضيهم وتاريخهم وأصبحوا لا يكترثون لشئون دينهم الذى ولدوا فيه ولا يهابون التصريح بالإلحاد ، وقد اعتزم الأحرار المسلمون اتخاذ القواعد التى جرى عليها الغرب فى تقدمه ورقيه واتخاذها أساساً لما أنشأوه من إصلاحات) .

وهكذا نرى كيف خطط التغريب منذ أكثر من مائة عام لتمزيق وجهة الفكر الإسلامى بإدخال تلك التيارات المدمرة ، ولكن مهلا فإن حركة اليقظة الإسلامية لم تلبث أن بزغ فجرها فواجهت هذا الخطر مواجهة حاسمة وكشفت زيف المخطط ودحضت تلك القضايا المسمومة التى أثيرت .

لقد اعتمد المخطط التغريبى فى هذه المرحلة – وإلى اليوم على الصحافة ، فظهرت المقتطف والهلال واللطائف (صروف . نمر . مكاريوس . جرجى زيدان) يدعون كل فى ميدانه إلى (نظرية دارون) – الماسونية – الانحلال . ولقد وقف جمال الدين الأفغانى إزاء نظرية دارون ، وكتب محمد عبده فى الرد على داركور وفرح وأنطون وكتب فريد وجدى فى الرد على شبلى شميل ، وكتب على يوسف فى الرد على تغليب اللغة الإنجليزية على العربية ورد طلعت حرب وفريد وجدى على تحرير المرأة ، وهاجم مصطفى صادق الرافعى وعلى يوسف دعوة لطفى السيد كما هوجم عبد العزيز فهمى فى دعوته إلى الحروف اللاتينية ، وهاجم رشيد رضا دعوات على عبد الرازق وطه حسين ومحمود عزمى وريان .

وقد توالت المراحل حيث أخذ الفكر الصهيونى يتدسس من خلال الدراسات الجامعية فى الأدب والاقتصاد والاجتماع والنفس والأخلاق وعلا شأن المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى قادها دور كايم ، وليفى بريل والتى تستمد مفاهيمها من الماركسية أساساً والتى جندت عشرات من شبابنا الذين ذهبوا إلى الغرب أمثال طه حسين ، وزكى مبارك ، ومحمود عزمى وغيرهم وكان من أخطر أعمالها الدعوة إلى :

١ – نظرية فرويد فى الجنس .
٢ – نظرية دوركايم فى الاجتماع .

٣ – نظرية تين وبرودنير فى الأدب .

ومن ثم بدأت كتابات ملفقة حول الإسلام ترمى إلى إنكار المعجزات وتدعو إلى بشرية القرآن من كتاب متغربين أخذوا يكتبون عن الإسلام (طه حسين – هيكل – العقاد) فكانت لهم أخطاء بارزة لأنهم بدأوا عملهم من خلال المنهج العلمانى الذى تشكلت فيه ثقافتهم أساساً ومن ثم لم يستطيعوا أن يستوعبوا مفهوم الإسلام الجامع .

كانت هذه هى مرحلة الفكر الليبرالى الديمقراطى الرأسمالى الغربى .

ثم جاءت المرحلة الثالثة : مرحلة الماركسية ودعوتها إلى التفسير المادى للتاريخ وصراع الطبقات .

وهكذا واجه الفكر الإسلامى خلال هذه السنوات ثلاث تيارات متضاربة ومتعارضة ، وقد سارت روافدها جميعها فى طريق واحد لاحتواء الفكر الإسلامى ، وقد ألقت بثقلها فى أفق الفكر الإسلامى بهدف تهديم مقوماته وزلزلة قواعده وتدمير قيمه الأساسية وإن كان ذلك فى الحقيقة ما زاده إلا قوة وصموداً ، فقد كان الفكر الإسلامى قادراً على هذه المواجهة وكانت جذوره الثابتة فى أعماق التربية الإسلامية مما تعجز أشد القوى عن اقتلاعه ، وكانت هذه المحاولة أشبه بمحاولة سابقة جرت للفكر الإسلامى فى القرن الثالث عند ترجمة الفكر اليونانى والفارسى وغيره من ثمرات الفكر الوثنى وقد واجهها علماء أقرم أمثال ابن حنبل والشافعى وابن تيمية والغزالى ، وقد استطاع علماء المسلمين احتواءها وتجاوزها والكشف عن زيفها وإعلان وجهة الإسلام بمفهوم أهل السنة والجماعة .

٢ – لقد كانت الصحافة هى المدخل إلى التغريب وقد تولاها المارون فاقتحموها بمفاهيمهم وتعصبهم وحقدهم على الإسلام والدولة العثمانية وبولائهم للاستعمار ولكل دعوات التغريب فرأيناهم منبثين فى أنحاء العالم الإسلامى والغربى : أديب إسحاق ، وسليم النقاش ، وسليم عنحورى ، وفرح وأنطون ، وخليل غانم ، وصروف ، ونمر ، ومكاريوس ، وتكلا وجرجى زيدان ، وجورج طنوس ، وخليل ثابت ، وكان على رأسهم جميعاً يعقوب صنوع اليهودى فكانوا عملاء الماسونية والاستعمار ودعاة اللغة

العامية والزجل والكلمات الفرنسية العامية وكان صنوع يهودى فرنسى الجنسية يدعى يعقوب روفائيل ويطلق على نفسه اسم جويدا ساتوا وكانت صحفه التى أصدرها فى مصر وباريس بعد أن طرد دعوات مثيرة للولاء الفرنسى وكان يطلق على الخديو شيخ الحارة ، وكان شبلى شميل أخطر دعاتهم الذى حمل لواء نشر مذهب دارون حين ترجمه عن أشد الدعاة له تعصباً وهو (بختر) وكانوا يحملون فى هجوم عاصف على السلطان عبد الحميد وخاصة (سليم سركيس) لأن اليهود كانوا يعدون الرأى العام لخلعه أو قتله بعد أن رفض مطلبهم فى دخول فلسطين ، وكان هناك من يهاجم التراث الإسلامى ويدعو إلى الماسونية وكان يوسف الخازن يدعو الطرابلسيين إلى قبول حكم إيطاليا ، وكان خصوم السلطان عبد الحميد (رزق الله حسون ولويس صابونجى ، وجبرائيل دلال ، وأمين الشميل) يدعون إلى إعادة الخلافة إلى العرب لهدم الخلافة القائمة ، وكان بطرس البستانى واليازجى يدعون إلى انفصال العرب عن الدولة العثمانية .

وقد مضى خط الصحافة يحمل سموم التغريب كله (فهو أقرب إلى الجماهير وأقدر من الكتاب فى غرس هذه السموم) ومن ثم أصبحت الصحافة العربية هى منطلق تيار التغريب ، فقد حملت لواء الدعوات المسمومة : العامية ، الفرعونية ، الجنس ، العالمية ، الفرويدية ، ثم الماركسية أخيراً .

وكانت التبعية للمناهج الغربية واضحة فى هذه القضايا ، فقد كان طه حسين يؤمن بمذهب المدرسة الاجتماعية الفرنسية فى التصور المادى الذى يقوم على الجبرية ، وكان العقاد يقيم فكره على التصور الفلسفى والمذهب النفسى ويجرى وراء مفاهيم الغربيين فى البطولة ، بل فى الألوهية من أن الإنسانية لم تعرف التوحيد إلا فى الأديان الأخيرة مع أن البشرية كانت موحدة منذ أبيها آدم ، وقد تأثرت العبقريات بمذهب غربى فى تحليل الشخصيات وتأثر (الفتنة الكبرى) بمذهب التفسير المادى للتاريخ ، وكان حرص أمين الخولى على إقليمية الأدب والدعوة إلى ما يسمى بالأدب المصرى ، وكان سلامة موسى يدعو إلى العامية والفرعونية والماركسية والتفسير المادى

للتاريخ ، وكانت دعوة طه حسين إلى الأدب المكشوف والفرعونية ، والمتوسطية وبشرية القرآن ، ودعا توفيق الحكيم إلى الإقليمية وكراهية العرب وقبول القبعة ، ودعا إلى الفن للفن ، كما دعا عبد العزيز فهمى إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، ودعا على عبد الرازق إلى أن الإسلام دين روحى وليس دين ودولة ، وكل ما كتب عن السيرة النبوية (هيكل والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم) عليه تحفظات وفيه ثغرات كبيرة وتبعية للمناهج الغربية فى دراسة الأعلام ، وامتدت هذه الخيوط جيلا بعد جيل فرأينا من دعاة الفرعونية كمال الملاخ الذى أحال الأهرام إلى يومية للأصنام والمقابر ، ورأينا دعوة يوسف إدريس إلى إحراق التراث الإسلامى، ورأينا لويس عوض داعياً إلى الفرعونية والعامية ، ورأينا يوسف السباعى وصلاح عبد الصبور وإحسان عبد القدوس يدعون إلى الإباحية فى الشعر والقصة ورأينا أنيس منصور من دعاة الوجودية والجنس ، وجاء صلاح جاهين ليحمل لواء العاميات والشعر الحر والكاريكاتير النازل والمهاجم للوجه الإسلامى من الحياة المعاصرة .

ولقد كان الأهرام فى يوم من الأيام وكراً لدعاة التغريب وعلمانية المستشرقين (توفيق الحكيم ولويس عوض وحسين فوزى وأحمد بهاء) ومن الأسف أن ينهار (الأهرام) هذا الانهيار الخطير حين يسيطر عليه هؤلاء الذين لم يكونوا يكتبون قبل سنوات قليلة ، فتبدو الكتابات السياسية والفكرية ساذجة ضعيفة منهارة يبدو فيها الولاء الفكرى الوافد والتبعية الفريدة لكل مفاهيم الشعوبية والعلمانية رغبة فى إحيائها وإعادة بثها ، سذاجة فى الأسلوب وتبسط فى العرض مما يشعر القارئ لأنه لا يوجد وراء ذلك أى تجربة صحفية أو فكرية أو معرفة بالتاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى تنبعث منه كتابات ضحلة ، تافهة ، ولا توجد أى خبرة عميقة ولا قراءة واسعة ، أين هذا من كتاب خبراء لا يستطيعون الكتابة فى الأهرام أو فى الصحف الكبرى، لأنهم ليسوا أولياء الثقافة الغربية أو العلمانية، ونجد أن السيطرة هى لأنيس منصور وموسى صبرى ، وبعض من لا خبرة لهم والذين وصلوا إلى مكانهم عن طرق غير طرق الأصالة ، وما تزال

الصحف الكبرى عشاً لأعداء الإسلام والعلمانيين والشعوبيين الذين يكرهون الإسلام ويسخرون من كل القيم العربية والإسلامية .

بل إننا لنرى هؤلاء الصحفيين الذين وصلوا سن السبعين وعدوها وهم لا يزالون يكتبون فى الجنس أمثال زكى عبد القادر ، ومصطفى أمين ، لماذا يسرفون فى كتابة هذه الصور من الجنس التى لا يكتبها إلا المراهقون ، والظاهرة الواضحة إن كل كتاب اليوميات الآن قوم سذج ، تجربتهم قليلة ، أقلامهم خابية ، محصولهم قليل وخاصة النساء منهم ، فهم أشد ضعفاً ، والمحصول والكتابة توحى كلها بالسذاجة والبساطة والضعف ، هل هذا هو ما يراد من إنزال الثقافة العربية الإسلامية إلى هذا المستوى من التفاهة جرياً وراء ما يذاع فى أجهزة التسلية (الإذاعة والتليفزيون) أم أنه يراد حجب الأقلام القادرة عن الكتابة ، أم لا يراد دفع القراء إلى ثقافة عالية القدر .

وإن أى مراجعة للصحافة العربية فإنها تكشف عن التبعية ، وعن أن القائمين عليها ليسوا على قدر من الثقافة التاريخية العربية الإسلامية التى تمكنهم من رؤية الأحداث والمواقف ، ولكنهم يعتمدون دائماً على صحف غربية أمثال نيوزويك ، والتايم ، يقرأونها أسبوعياً ويترجمون منها كل ما ينشرون ، ويتبعون الخط الإقليمى السياسى من خلال النشرات التى تصدرها مصلحة الاستعلامات لتأييد وجهة نظر معينة ، أما الخلفيات الحقيقية التى يجب أن يحصل عليها الصحفى فى فهم العالم الإسلامى والبلاد العربية وتياراتها الحالية التى تموج بها والتى ترجع إلى عصر الحروب الصليبية والاستعمارية والصهيونية ، فإن ذلك كله غير موجود فعلا ، ولذلك فإن هذه الكتابات تبدو تافهة فاترة لا تستطيع أن تملأ نفس القارئ بالثقافة العميقة ، أو الفهم الواسع لمجريات الأمور السياسية والاجتماعية فى العالم الإسلامى والبلاد العربية .

٣ ــ أما الأدب فقد استطاع أن يحصل على مكان أكبر من حجمه الحقيقى ، بينما لم يستطع (الفكر) وهو جماع العناصر المختلفة ومنها الأدب أن يحرز هذه المكانة ، ووجدت الشخصيات الأدبية الاهتمام الكبير بينما لم تجد الشخصيات الفكرية مثل هذا الاهتمام ، ولنضرب مثلا بالمنفلوطى

وفريد وجدى . وكاتب الشهرة عاملا يستطيع أن يضفى على بعض الشخصيات القليلة الأثر مكاناً لا يضفيه العمل الفكرى نفسه ، فقد كانت السياسية والحزبية والصحافة من العوامل التى تخلق الشهرة لأقل الناس إجادة ومكانة ما دام له قلم جارح . ولقد كان فى استطاعة أى ناعق أن يطلق عبارة مثيرة معارضة للدين أو للتقاليد والعرف العام ، فتدوى باسمه أياماً طويلة فيصل إلى قدر من الشهرة لا يستطيع أن يبلغه من أمضى أربعين عاماً فى الكتابة الرصينة ، ومنهم من خدعه اليهود ، فأسرف فى الحديث عن قضية الإسلام دين ودولة ، على النحو الذى يكتب به البعض ، موالاة لمفهوم باطل ، وهناك موالاة أخرى لجميع أولئك الزنادقة والصعاليك فى مفهوم جديد للشعر تحت زعامة صلاح عبد الصبور ، إنهم جميعاً يخدعون تحت تأثير مطامع وأوهام بالمال والشهرة ليخرجوا عن مفهوم أمتهم وعن تراث أهليهم وعن عقيدة الحق اليقين نتيجة قصور أساسى فى التربية والتكلم شهد به صلاح عبد الصور فى تأريخه لحياته وشهد به الأفاق الذى طوف على الجمعيات من ماسونية ، ودينية ، ووثنية ، هذه هى ثمرة هذا الجيل الذى تكون فى ظل مفاهيم المسئولية الوافدة التى اعتصمت بإحدى الأحزاب الكبرى فترة الأربعينات فأنتجت أحمد بهاء الدين ، ومحمود أمين العالم ، وكان إحسان عبد القدوس ، ونجيب محفوظ ، ويوسف السباعى قد سبقوا فى مجال الإباحيات والكشف فى القصة ، تلاميذ لليهود المسلمين تحت أسماء المستشرقين ومتابعين دعوة طه حسين وسلامة موسى .

وقد كان كتاب الصهيونية هم أول من بث الأفكار الهدامة ونظريات الانحلال عن طريق الصحافة والترويج للصور المغرية بالانحراف المثيرة للغرائز والشهوات ، وأنت إذا قرأت الصحافة العربية بأقلام كتابها التغريبيين والشعوبيين تحس وكأن المسلمين يستسلمون للغزو الغربى وينصهرون فى العالمية والأممية ، ومنهم يتنازلون عن شخصيتهم رويداً رويداً ، ولكن ذلك من أعمال الكذب الإعلانى لخداع الشباب المسلم ودعوتهم إلى التسليم للتبعية الغربية .

وهناك سموم المسرح والفن والرقص والغناء ومفاهيم مضللة حول

الفلكور والدراما والمأساة وغيرها من مفاهيم وافدة تسطر كأنها حقائق وتقدم للناس كأنها علوم .

وهنالك خطة حول ما تبرره الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية من الصور الفاضحة والعارية والكلمة المسمومة والقصة الجنسية ، والمقال الهجومى ضد الإسلام ودعاته ، هذه الصحف تدخل كل بيت ، وقد تخصص كثير من هذه المجلات فى نشر أدب الفراش وقضايا النجوم الفنية ومنها ما تخصص فى سرد أخبار النجوم والكواكب وأخرى تتسمى ببنات جنسها وتزعم أنها تخدم قصة حواء وتجارب تعاليم الإسلام فيما يتعلق بالطلاق وتعدد الزوجات والحجاب . وترد لنا من لبنان الشبكة والموعد وما شابهها التى تقدم صوراً فاضحة وأوضاعاً صارخة ، وما بين دفتيها يخدش الحياء وتهدم الأخلاق .

وعندما تطالع الصحف العربية تحس أنه لا هم لها إلا إحياء ذكرى المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات ، هناك ألبوم كامل يفتح يومياً على هذه الذكرى أو تلك ، هم الفنانون فقط الذين تحتفل بهم الصحف ، أما أعلام الفكر والأدب والصحافة فلا يذكرون ، بل لقد ذهب مخرجوا السينما إلى إعادة إحياء ذلك الجانب الأسود المظلم فى تاريخ مصر بإعادة كتابة حياة الراقصين والمغنين والإباحيين حتى لا ينشأ فيلم كامل عن حارة الدعارة التى كانت بمصر أيام النفوذ الاستعمارى ، وحينما تنظر تجد (ريا وسكينة) و (شفيقة القبطية) و (وداد الغازية) ماذا يراد بهذا ، هل هذا هو تاريخ مصر ؟ هل هذا هو ما يريدون أن يقدمونه إلى الشباب المسلم ، حياة الغوازى والمراقص والبغاء التى كانت سبة فى عصر الاحتلال ، لماذا تعاد هذه الحيوات السوداء وتطرح من جديد على جيل جديد مفرغ من أى مفاهيم وطنية أو دينية ؟، وما هذا الاهتمام بالفرعونية ؟ ماذا يراد به ؟ هل هذه هى حقيقة الانتماء المصرى ؟ الحقيقة أن الانتماء المصرى (عرقى إسلامى) ، أما الفرعونية فهى مرحلة تاريخية ، وذلك عهد قد انقطعت الروابط به ، فقد جاء الإسلام وهو عهد لا تاريخ له ، ولا ثقافة ، ولا لغة ، لقد مات ، مات ، ولن تستطيعوا إحياءه مهما فعلتم أيها الشعوبيون ؟

ولماذا هذه السخرية بالتاريخ حين يحاول نجيب محفوظ السخرية بابن بطوطة فيكتب ما أسماه رحلة ابن فطومة ، وما هذه الكلمات المدسوسة فى الرحلة الرامية إلى الإباحية وإلى الحديث عن الخمر فى قوله : (أتصدق حقاً أن إلهك يهمه أن تشرب خمراً أو لا تشربها) !

٤ ـ وهناك تيار الماركسية المسموم ودعاته الذين يحرفون الكلم ، أصحاب التفسير المادى للتاريخ ، كتابات الحسين ثائراً ، والحسين شهيداً لعبد الرحمن الشرقاوى ، وسليمان الحلبى لا لفريد فرج ، ومأساة الحلاج لصلاح عبد الصبور ، وصلاح الدين للشرقاوى .

لقد خضعت الصحافة لهذا التيار سنوات طويلة ، وما تزال أثارهم باقية ، خضعت الصحافة المصرية (أسبوعية ويومية للتيار الماركسى) وتولى أمرها بالإضافة إلى الصحف التى أصدرها الشيوعيون كالطليعة والكتاب المصرى ، ففى يولية عام ١٩٦٤ تولى أحمد بهاء دار الهلال وعمل معه كامل زهيرى ، ومحمود أمين العالم ، وإبراهيم عامر ، والهلال مر بمرحلة الماركسية والأدب الجنسى والوجودية (يوسف إدريس ورجاء النقاش) وكلفوا النساء بدراسات جارحة عن الجنس أو عن البغاء (سهير القلماوى فى مصر ، وخديجة المدالى فى المغرب) . واستغل الماركسيون رفاعة الطهطاوى ، كما استغله الليبراليون لأنه تأثر بالفكر الغربى فى الدعوة إلى الوطنية بديلا للعقيدة والمصرية فى مواجهة الخلافة العثمانية. والإعجاب بمظاهر الحضارة الغربية وخاصة الرقص الغربى . وجاء دعاة النزعة العقلية على مفهوم الفلسفات المادية ، نديم البيطار ، وجلال صادق العظم ، هذان الذين ظهرا بعد النكسة مباشرة عام ١٩٦٧ للدعوة إلى ما سمياه علمية الذات العربية وإخراج الجيل الجديد من إطارات الدين .

وتوسع التيار العلمانى ذى اللون الماركسى بعد أصحاب اللون الليبرالى ، وهو تيار قائم على كراهية الوحدة الإسلامية. وإعلاء شأن القوميات واعتبار القومية أعظم من الإسلام ، وتفسير التاريخ الإسلامى على أنه تاريخ إقليميات (جابر الأنصارى ومحمد عمارة) وأن الحروب الصليبية كانت حروباً عربية ،

تتعلق بأقاليم كالشام ومصر مع كراهية معلنة للدولة العثمانية ، حامية الإسلام أربع قرون ، وذلك لتمزيق مفهوم الجامعة الإسلامية .

ولقد كانت فكرة القومية العربية تهدف أن تكون مناقضة ومعارضة للإسلام ومناهضة للوحدة الإسلامية ، مناهضة سرية تحت ستار العروبة وهي أشبه بالفينيقية والفرعونية ، فهي عندهم دعوة إقليمية تعلى شأن الجنس وترى في القومية عقيدة . ولقد كانت جميع الأحزاب القومية التي نشأت في بلادنا قد جعلت همها الدعوة إلى العلمانية ومحاربة الإسلام ، فجعلوا العلاقات بين الدول العربية تقوم على رابطة العرق وحده،المجردة من كل صلة بالعقيدة وجعلوا علاقاتهم بالدول الإسلامية كعلاقتهم بالكونغو والمكسيك والأرجنتين ، وقد نشأت فكرة القومية المغلقة ، وجعلوها موازية لفكرة الألوهية للتخلف من الإسلام ، وقد بدأت نظم الأحزاب سياسية وانتهت ماركسية .

٥ ـ لقد كانت المحاولة تهدف إلى قطع الفكر الإسلامي المعاصر عن الفكر الإسلامي في مسيرته خلال أربعة عشر قرناً ولذلك أسموه الفكر المصري أو الفكر العربي ، وكذلك قطع الأدب العربي المعاصر عن الأدب العربي منذ أوائل الإسلام ، وهي محاولة جرى عليها طه حسين ، والعقاد ، وهيكل والمازني ، وكانت دراساتهم لابن الرومي والمغربي والمتنبي وغيرهم مرتبطة بمفاهيم النقد الغربي التي قامت على أساس استعلاء العنصر كالقول : بأن عظمة ابن الرومي إنما جاءت من أصله الروماني .

لقد سقطت مؤامرة الشعر الحر بموت صلاح عبد الصبور وكان لويس عوض هو أول من أهدى عبد الصبور إمارة الشعر الحر الذي رد له الجميل بطبع كتابه المسموم (مدخل إلى تاريخ اللغة العربية) بعد أن تولى مسئولية هيئة الكتاب .

أما كتاب القصة في عصرنا فلم يخرجوا عن أن يكونوا تابعين لمذهب فرويد في الجنس أو مذهب ماركس في التفسير المادي والاقتصادي للعلاقات بين الأفراد في المجتمع وكلاهما باطل وفاسد ومحتوى وجارياً وراء

الأهواء . كان يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس ، ويوسف إدريس ، ونجيب محفوظ بعد شيخهم توفيق الحكيم غلمانا للمستشرقين واتباعاً للمناهج الوافدة . لقد كان كتابنا الكبار قناطر للفكر الغربى :

دعا طه حسين إلى فصل اللغة العربية والأدب عن الفكر الإسلامى .

دعا ساطع الحصرى إلى فصل العروبة عن الإسلام .

دعا على عبد الرازق إلى فصل الدين عن المجتمع .

روج سلامة موسى لمفاهيم فرويد ونظرية الجنس .

روج عبد الرحمن بدوى لنظرية الوجودية وامتداده فى سهيل إدريس ، وأنيس منصور .

روج طه حسين لنظرية الشك الفلسفى وبشرية القرآن .

روج سلامة موسى ، وإسماعيل مظهر لنظرية دارون .

روج طه حسين ، ومحمود عزمى لحضارة البحر المتوسط .

أعلن طه حسين فى مصر ، وأحمد أغاييف فى تركيا للتبعية للحضارة الغربية وتبنيا فكرة تويمبى المسمومة من أن المدنية الأوربية كل لا يتجزأ ، تؤخذ بمادياتها وفكرها ، أى أن أساسها هو الفكر المسيحى مع أن الإسلام عقيدة ونظام إجتماعى كامل وحضارة ، بينما المسيحية ليست كذلك .

وتبدو فكرة الاحتواء التلمودى واضحة فى مسائل الفن والأدب والدعوة إلى وحدة الأديان :

إن ما يكتبه هؤلاء هو وجهة نظر مستمدة من ثقافة مختلطة واحدة وتجربة قليلة ولا يمكن أن يمثل منهجاً عاماً ، خاصة أن هؤلاء الكتاب من ثمار المدرسة العلمانية الغربية وأنهم مع الأسف لم يطلعوا على وجهة النظر الإسلامية فى مختلف أمور الاجتماع والفكر ، وأن على القارئ المسلم الذى يقرأ لهم ألا ينخدع بما يقدموه ، لأنه ناقص ، وعليه أن يقرأ إلى جانب ذلك وجهة النظر الإسلامية ، لدى كتاب (المدرسة الإسلامية) وهم يتمثلون اليوم فى مجموعة من كتاب أبرار مثال الرصانة والاعتدال وعمق الإيمان بمسئوليات لأجيال .

٧ – من المؤامرات التى تسوقها حركة التغريب والشعوبية والغزو الثقافى (فتنة الانتقاء من التراث) التى يثيرها زكى نجيب محمود ونفر من التغريبيين .

من الذى يحكم على التراث ، وما هى أدواته فى القياس ؟ . . لقد علمتهم الدعوة المسرفة إلى العصر وإلى أنهم أساتذة أنفسهم إلى إطلاق الرأى فى جرأة الذى لم يبلغ الرشد أو يعرف قدر الكنوز التى بين يديه فهو يبددها فى سفه الوارث الجاهل .

إن التراث الإسلامى لا يتجزأ ، ومقياس التفسير المادى للتاريخ لا يصلح ، إن إيجابيات التراث وسلبياته ضرورة لنا لمراجعة ماضينا ورسم مستقبلنا ، إنهم لا يملكون الإيمان والحافز والغيرة على تاريخ هذه الأمة وميراثها الربانى ، حيث لا يقاس تاريخ الإسلام ولا تراثه على تراث الغرب وتراثه للفارق البعيد والعميق ، نحن نؤمن بأن التراث ليس شيئاً مقدساً ، التراث كالتاريخ ، فيه الإيجابيات والسلبيات ، ولكن العقيدة (الميراث) هى الشىء الوحيد الذى هو فوق النقد لأنه الحقيقة الخالدة الباقية .

٨ – إن البصر النافذ إلى تيارات الفكر الوافد تكشف عن أن هناك حرباً معلنة على الأصالة وعلى اليقظة وعلى الصحف الإسلامية تصطنع كل الوسائل والأساليب والخطط وتنتظم جميع المجالات ، بهدف توهين هذه الخطوة الجبارة التى قطعها المسلمون بالإسلام على رأس القرن الخامس عشر الهجرى :

ففى مجال التأليف والأدب نجد تلك الصورة الغامضة : العائدة من السربون وهى دكتورة فى الإخراج المسرحى تعلمت من المخرجين الفرنسيين الذين تلمذت على أيديهم وقد أمضت أربع سنوات فى باريس من أجل الدراسة !

ونجد هؤلاء المؤلفون الذين لا يكتبون عن إفريقيا إلا عن الموسيقى والرقص والغناء الذى يرتبط بالسحر والتطبيب ، وهذا الباحث فى الأندلس لا يدرس إلا الخيال والشعر فى نصوص الأندلس ، كأنما لم يعد هناك شىء يدرس إلا ابن عربى وغزلياته الروحية وديوان ترجمان الأشواق ، وهذه المفاهيم لمنحرفة عن وحدة الوجود والحلول .

أما الظاهرة الخطيرة حقاً ، فهى ظاهرة الكتابة عن السحر والعفاريت وشغل الناس بالجن ، فى فترة من أدق فترات حياتهم وحياة مجتمعهم .

وكان قد وجه مصطفى أمين إليها أنيس منصور منذ سنوات عندما أدخل إلى مصر قصة السلة التى كافأه عليها بأن جعله رئيساً لتحرير مجلة (الجيل) التى لم تلبث أن سقطت واليوم نرى هذه الظاهرة تتسع فى صورة مقالات أسبوعية فى جريدة الأخبار وفى صورة كتب تصدر ، أما إسماعيل يونس فقد خاض هذه الأوحال والأقذار وجاء عبد العاطى حامد ليكمل مشوار صاحبه وتحمل جريدة الأخبار لواء هذه المؤامرة ، ونرى المرأة وهى تكتب اليوم هذا الأدب المكشوف الإباحى حتى يوصف ما تكتبه (فلانة) بأنه ثورة على كثير من تقاليد المجتمع ، هذا المسافر فى دمها لن يكون إلا السرطان الخطير الذى يتحرك فى أفق الكتابات النسوية حاملا مفاهيم الإباحية والجنس والخيانة الزوجية والذى يجد من يشجعه ويدفعه ويحميه ليصب هذا الاثم كله فى كتب تقرأها الفتيات فتتلوث فطرتها وتفسد طبيعتها وتظن أن الحياة ليست إلا ماخور كبير .

٩ – ويجرى كل هذا ، وأغرب منه حوار توفيق الحكيم مع الله (جل وعلا عما يقولون علواً كبيراً) وإذا أريد لفت النظر قالوا : إنها (حرية الفكر) هذه الكلمة التى أصبحت كالسيف المصلت فى يد جماعة يريدون الترويج لمفاهيم لا يرضاها الإسلام ، إنهم إن آمنوا بما يعتقدون فذلك لهم ولكن الترويج لذلك بين الناس وإثارة الشبهات فى الصدور ، واللهو بعواطف الناس ومشاعرهم فهذا ما لا يرضى عنه أحد . ولقد أعجبتنى كلمة الشيخ الشعراوى فى هذا حيث يقول :

(إن حرية الفكر للإنسان هى أن يكون حر الفكر فيما يختاره من دين ، فإذا ما انتهى بقواعد فكره إلى دين ، يجب أن يلتزم بقضية الدين » ولا يحتج علينا بأنه : « لا إكراه فى الدين » .

فالمقصود هو أنه لا إكراه فى اعتناق الدين ، أما حين يتدين فيجب أن يحترم اختيار عقله ، ويلتزم بأحكام دينه .

حرية الفكر لا يأخذ بها الناس إلا فى أمر أباح الشارع الحكم فيه ، أما حين يأتى الشارع بنص يحتمل فكرى وفكرك فهذا اجتهاد، ولذلك كان لدى المجتهدين رضوان الله عليهم دقة فى الأدء ، كانوا يقولون رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

١٠ — وبعد فقد تجد التيارات الوافدة فرصتها الكاملة للتعبير عن وجهة نظرها بينما لا يجد التيار الإسلامى مثل هذه الفرصة لإحقاق الحق فيما يثار مع أن التيار الإسلامى هو التيار الأصيل : تيار الأمة منذ أربعة عشر قرناً ، ذلك لأن العلمانيين والماركسيين قد تداولوا السيطرة على الصحافة العربية ومن ثم فإن هناك تجاهل تام للتيار الإسلامى ، حيث لا تتاح له الفرصة لتصحيح المفاهيم الزائفة ، فهم يبرزون مفاهيمهم على أنها تسود المنطقة مع أنها مرفوضة ، وإذا عرضوا للتيار الإسلامى عرضوا له فى سخرية وإقلال ونقد ، ذلك لأنهم يجدون منابر مفتوحة واسعة لكلماتهم سواء فى الصحافة القومية أو فى الصحافة الحزبية ، ما لا يجده التيار الإسلامى الذى عاش دائماً وأبداً على بصيص ضئيل من النور ، فالكل يحاول انتقاضه وانتقاصه وعدم الاعتراف به وتجاهله وحجبه وهناك مؤامرة صمت بالغة نحو مفاهيمه وهناك التعتيم المتعمد على أخبار العالم الإسلامى وقضاياه فى عديد من المواطن التى تواجه التحديات من القوى الأجنبية والشيوعية على السواء .

ومن أجل هذا كله كان لابد من (إعادة النظر فى كتابات العصريين)
اللهم اجعلنا سلماً لأوليائك، حرباً لأعدائك، نحب بحبك من أحبك ونبغض ببغضك من خالفك، هذا وبالله التوفيق .

* * *



البابُ الأول

قضايـــا مثـــارة فى ضوء الإسلام

الفصل الأول : الشريعة الإسلامية .

الفصل الثانى : الإسلام : عقيدة ومنهج حياة .

الفصل الثالث : مفهوم الإسلام للفن وقضاياه .

الفصل الرابع : المؤامرة على الخلافة والدولة العثمانية .

الفصل الخامس : كتاب الإسلام وأصول الحكم .

الفصل السادس : الذاتية الإسلام ومعركة المحافظة عليها .

الفصل السابع : مصر عربية إسلامية .

الفصل الثامن : استعلاء موجة الجنس .

الفصل التاسع : حقيقة القمم والشوامخ .

الفصل العاشر : خلفاء طه حسين .

الفصل الحادى عشر : سقوط مذهب الوجودية .

الفصل الثانى عشر : الفصحى لغة القرآن .



الفصل الأول

الشريعـــــة الإسلاميـــــة

(فتحي غانم – روز اليوسف)

- **محاولات مستميتة لتشويه الطريق إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .**
- **لقد سقط نظام المواءمة منذ وقت بعيد .**
- **الشورى ليست الديمقراطية ولن تكون**
- **عملية الاقتباس من الغرب للأساليب وليست للمناهج .**
- **إن عقلية قانون نابليون يجب أن تذهب .**

كان السؤال المثار والذى حظى بالاهتمام هو : موقف تلك الطائفة من المعطلة التى برزت فى الفترة الأخيرة ، تحاول الوقوف فى وجه الخطوات النامية التى تستهدف تطبيق الشريعة الإسلامية وهى وجوه ماركسية تحت أقنعة علمانية ترفع شعارات التقدم ، وهم من المثبطين الحاقدين الذين يقفون فى وجه المد الإسلامى ، بأسلوب لين خادع يدعى الغيرة على الشريعة الإسلامية والخوف من أن يؤدى تطبيقها إلى فشل يلحق بالفكر الإسلامى ، ويزعزع روح الإيمان بالإسلام ، وهم خادعون فى هذه الدعوى ، وإنما هم يريدون بكل ما يطرحونه أن يقفوا أمام هذه الموجة العارمة ، وأن يثبطوا الهمم ويبعثوا فى النفوس اليأس . ومن ذلك الوقوف أمام تلك الصيحة التى أعلنها الدكتور مصطفى أبو زيد فهمى فى كتابه (فن الحكم فى الإسلام) والانزعاج من أن يقول أنه أحس بزلزال هزيمة سنة ١٩٦٧ فسأل نفسه ذلك السؤال الذى لا بد أنه أقلقنا جميعاً ، أما من علاج لكل ما حل بنا ؟ أما من طريق إلى اعادة بناء الود والمادة بناء المجتمع ، ثم يقول أنه بتفكيره العميق انتهى إلى ضرورة العودة إلى الإسلام ، وإلى كتاب الله لتطبيق تعاليم الإسلام فى كل حياتنا العامة والخاصة ، ومن هنا يدعو الدكتور مصطفى أبو زيد فهمى إلى إعلان الحكم الإسلامى وقيام المجتمع الإسلامى فوراً ، ويلح فى أن تعود الأمة إلى رحاب الله فوراً ، وهو يرى أننا حين نفعل ذلك فإننا نكون قادرين على إنزال الهزيمة الساحقة بالدولتين العظميين فى عالم اليوم ويرفض الدكتور

أبو زيد فهى المواءمة بين أفكار ومبادئ معاصرة فى أنظمة الحكم ، وبين الإسلام ويقول إننا لا نستطيع أن نكون مسلمين جزئياً على الإطلاق .

ومع أن الدكتور مصطفى أبو زيد يقدم هذا العمل إلى قادة الأنظمة السياسية ورؤسائها فإن القوى المعادية للفكرة الإسلامية تندفع فى عصبية شديدة لتقول أن هذا العمل خطير وأنه قد يحدث آثاراً بعيدة المدى وأن هذا من شأنه أن يجد المسلمون أنفسهم متورطون فى حرب ضد حكومة إسلامية أخرى ، وهى أوهام يسوقها خصوم الشريعة الإسلامية ليقاوموا أى صوت يرتفع فى هذا المجال على النحو الذى قام به فتحى غانم فى مجلة روز اليوسف على مدى أربع أسابيع متوالية .

وهذه طريقة أعداء الشريعة الإسلامية ، الذين يدخلون إلى البحث وكأنهم أولياء الفكرة — مع أن أمثال فتحى غانم من المعروفين بالتاريخ الطويل فى الماركسية والعلمانية — وهم الأعداء الطبيعيون لكل وجهة إسلامية خالصة كما يتبين من تلك السموم التى طرحها الكاتب ، مهما حاول اتخاذ الأسلوب العلمى الهادئ الخادع لكسب القراء إلى صفهم فهم لا يلبثون أن يقدموا السموم لهم جرعة بعد جرعة .

أولا : هم يعرضون دائماً لما يسمونه صور الخلاف والفتن فى تاريخ الإسلام بين السنة والشيعة ، وبين المعتزلة والفقهاء ، وهى فى الحقيقة خلافات فكرية داخل إطار لا إله إلا الله وهى فى ذاتها أمر طبيعى ، فاختلاف الأمة رحمة ولا اعتبار عليه ما دام لا يتصل بأصل من أصول الإسلام وإنما يتصل بالتطبيق الذى يقوم به المسلمون .

ثانياً : محاولة معاملة الإسلام والشريعة الإسلامية معاملة المناهج البشرية من حيث التحدث عن الإسلام بكلمة (دين) الذى لا تستطيع أن تمثل مفهوم الإسلام اليوم بعد أن فهمت هذه الكلمة على النحو المعروف فى الغرب وهى النواحى العبادية واللاهوتية وليس الإسلام ديناً بهذا المفهوم ولكنه دين ومنهج حياة ونظام مجتمع .

وإن هؤلاء الكتاب الماركسيون والعلمانيون ينطلقون من منطلقات غربية أساساً ، لا تفهم الإسلام على حقيقته ولكنها تفهمه كما يفهمه المستشرقون ، فى ضوء الفهم الغربى للدين ، وليس كذلك الإسلام ،وأنه

لمن أكبر الخطأ معاملة الشريعة الإسلامية معاملة المناهج البشرية والأيدلوجيات من حيث الكلام عن تطورها وعن تغيرها، ومن ناحية إخضاعها للمجتمعات نفسها وهو ما لا يتفق مع (ربانية) الشريعة الإسلامية و (بشرية) المناهج الوضعية ، والإسلام فى أصوله وغاياته لا يناقش من حيث الصلاحية أو جزئية التطبيق ، وإنما هو منهج كامل جامع ، وأن أى مناقشة لا تكون حول الأصول والغايات وإنما تكون فى الوسائل ، وليس للعقل أى دخل فى تطبيق الشريعة أو تفسيرها وإنما يقبلها المسلم كما أنزلت . والعقل له مجال آخر ، وميدانه العمل فى العمران والسعى فى الأرض . وليس فى استطاعة العقل البشرى القاصر إبداء الرأى فى الشريعة ، وإنما يقرر الإسلام أن العقل جهاز يهتدى بنور الوحى .

ثالثاً : هناك محاولات دائبة للتشكيك فى تطبيق الشريعة الإسلامية وحديث عن التجارب التى قامت لإقامة الحكم الإسلامى . والواقع أنه ليست هناك عقبات حقيقية فى الداخل وإنما هذه العقبات مما تصطنعه القوى الخارجية التى لا تريد تطبيق الشريعة الإسلامية والتى تسلط أعوانها فى الداخل لتعويق هذه الخطوة ووضع العراقيل ، ومن الطبيعى أن النفوذ الغربى المتسلط من خلال أنظمة المصارف والمعاملات التجارية الناهب لثروات الأمم الإسلامية ، يعارض وبشدة ويبذل كل ما فى وسعه للحيلولة دون قيام نظام الحكم الإسلامى الذى يرى أنه سيقطع يده ويد أعوانه عن نهب ثروات الأمم .

رابعاً : أن هناك جبهة بين مفكرى الغرب ممن لا صلة لهم بدوائر الاستشراق والسياسة يصدرون عن يقين واقتناع بأن الشريعة الإسلامية من أصلح الأنظمة العالمية ، وهم أصدق من جماعة من قومنا يعارضون هذه الشريعة ويتمحلون بالأسباب التافهة والعبارات البراقة لتعويق تطبيقها .

إن دراساتهم مستمرة منذ أكثر من مائة عام ، والباحثون منهم اليوم أكثر اقتناعاً وإيماناً بقدرة الإسلام على العطاء وعلى بناء المجتمعات الصالحة بل إن بعضهم يدعو إلى تطبيق الإسلام فى الغرب ويؤمنون بأنه قادر على إصلاح المجتمعات الغربية المنهارة ، وأن هناك علماء يدرسون الآثار السياسية والاجتماعية التى لابد أن تؤثر فى سياسة العالم نتيجة تزايد المسلمين ، ومن

هؤلاء صاحب كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية) .

أولا : سقوط نظام المواءمة :

ويحاول أعداء الفكر الإسلامى خلق (معوقات) تحت أسماء لامعة ومنها فكرة المواءمة، هذه التى يروج لها زكى نجيب محمود وبعض رجال القانون الذين يحاولون الجمع بين الشـــورى والديمقراطية أو العدل الإجماعى والاشتراكية .

ولكن فكرة المواءمة ليست فكرة سليمة ولا صحيحة ولا متفقة مع مفهوم ذاتية الإسلام الخاصة الخالصة ، التى لا تقبل الامتزاج أو التجزئة .

إن فكرة (المواءمة) قد سقطت منذ اليوم الأول فى الفكر الإسلامى والترويج لها لا يمثل الواقع التاريخى الصحيح ، والمعروف يقيناً أن هذه المحاولة صدرت منذ اليوم الأول ، وأن مفكرى الإسلام رفضوها ، وأن دعاة المواءمة قد عزلوا وأطلق عليهم اسم المشائين المسلمين باعتبارهم حلقة من المشائين اليونان .

وكل ما يتصل بالمعتزلة والمواءمة بين فلسفة أرسطو والإسلام الذى قام به (ابن سينا والفارابى) كان عملا مرفوضاً ، ومن قبل كان عملا مضللا ولم يستطع أن يحقق شيئاً ولم يقبله مفكرو الإسلام الأصلاء .

والإسلام فى مفهومه الأصيل وفى عصره الزاهر وعلى طول المدى لم يقبل أن يشاركه شىء من أوراق الوثنية أو الديانات السابقة عليه وقد رفض النبى صلى الله عليه وسلم ذلك صراحة عندما جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بورقة من كتاب قديم .

ثانياً : الشورى ليست الديمقراطية :

ومن هذه المحاولات ما يقوله الدكتور الأنصارى فى كتابه (الشورى وأثرها فى الديمقراطية) الذى نقول له : إن الشورى ليست الديمقراطية أبداً ولن تكون وأن ما يقوله الدكتور الأنصارى يدل على تغربه ، وولائه للفكر الغربى وعلى أنه لم يتعمق فهم الإسلام فهماً دقيقاً ، فإن كان يرى أن الديمقراطية هى ضمانة الأمن والاستقرار فى المجتمع فإننا نقول له : إنه لو درس الإسلام دراسة متعمقة لوجد فى الإسلام خير منها ولعله قرأ ما كتبه

الباحثون الغربيون عن فساد الأنظمة الديمقراطية وعجزها عن التمثيل الصحيح للشعوب ، وإنها خدعة يختفي وراءها كثير من طلاب الحكم الفردى ، وإنها تشريع بشرى ، يختلف اختلافاً واسعاً عن الشريعة التى هى ربانية الأصل والتى لا يجرى الحوار حول نصوصها بل عن تطبيقها .

ثالثاً : ليس فى الإسلام حكومة ثيوقراطية :

ومن هنا فإن علينا أن نقول للذين يتحدثون عن الحكومة الدينية : إن الإسلام لا يعرف الحكومة الدينية (الثيوقراطية) التى تحمل طابع القداسة أو التى لها رجال دين وإنما يعرف الإسلام الحكومة الإنسانية ، وأن مفهوم الشيخ على عبد الرازق مفهوم غير أصيل وأنه وافد ، وقد كتبه مستشرق يهودى هو مرجليوث وأورثه هذا العالم الأزهرى الضال ، الذى أذاعه والذى ما زال تكئة لكل المضللين ، وخصوم الشريعة الإسلامية وفى مقدمتهم عبد الحميد متولى الذى ينكر أن الخلافة أساس من أسس الإسلام .

رابعاً : عملية الاقتباس للأساليب فقط :

إن عملية النقل ، أو الاقتباس ، أو الانفتاح أو غيرها فإنها لا تكون أبداً فى الإسلام بالنسبة لمناهج أو أهداف ، ولكنها تكون بالنسبة للوسائل والأساليب وحدها ، فإن عطاء الإسلام فى مجال أسلوب العيش لا يحتاج مع المسلم إلى اقتباس أو نقل ولا ريب أن كل أسلوب للعيش فى الأيدلوجيات الغربية أو القديمة هو أقل بكثير وأضيق بكثير مما أعطى الإسلام ، وينقصه الإيمان بالله وأخلاقية الحياة والالتزام الفردى بالبعث والجزاء .

وأسلوب العيش (غير الإسلامى) يقوم على انشطارية واضحة ، فهو مادية خالصة وفى الشرق روحية خالصة (النرفانا والبوذية والكنفوشيوسية) وكلاهما يعجز عن التكامل الجامع الذى يقوم عليه الإسلام والذى يضع أمام كل حالة وكل موقف : (نظرة جامعة : مادية وروحية معاً) ويجعل أسلوب التقدم أسلوباً جامعاً بين المادة والروح ويجعل نظرته إلى الآداب والفنون نظرة جامعة تتقدم فيها الأخلاقيات على الجماليات . وقد ثبت فساد نظرية المواءمة بين التراث والفكر الوافد ، ونظرية المواءمة بين الشورى والديمقراطية بين العدل الإجماعى والاشتراكية (مع الفكر الغربى والفكر

الماركسى) بل أن الأمر قد تطور إلى أبعد مما كان يقوله دعاة التجديد من الربط بين الشرق والغرب ، والماضى والحاضر ، فقد أعلنت حركة اليقظة الإسلامية أن الأساس هو الإسلام بمفهومه الجامع (نظام مجتمع ومنهج حياة) وأن القديم والجديد لا ينظر إليه إلا فى ضوء المفهوم الأصيل الجامع فإن كثيراً من التراث لا يمثل حقيقة الإسلام فضلا عن الوافد الذى لا يمثل قيمنا ولا تحديات مجتمعنا .

خامساً : لا كراهية للثقافة الأجنبية أساساً :

وليس معنى هذا كراهية الثقافة الأجنبية كما يدعى البعض ، وإنما هو سوء القصد وسوء النقل فإن كل ما ترجم لنا كان من غثاثة هذا الفكر ، من الهشيم الفاسد ، الإباحى ، المضلل ، المتصل بإوحال الأمم ، وأساطيرها فى طفولة البشرية ، وكانت هذه الثقافة فيما تقدمه لنا متعصبة على سماحة الإسلام ، مستعلية على يسر الإسلام ، تحمل طابع الغرور والعنصرية والدم الأبيض ، وتنظر فى احتقار إلى الشعوب الملونة ، فالكراهية إن جاءت فإنما جاءت كرد فعل الاستعلاء والاحتكار. وماذا حملت لنا هذه الثقافة (إلا فى أقل القليل مما ترجم من العلوم) غير الإلحاد والإباحية وفتح النوافذ لتهديم القيم كمدخل إلى امبراطورية الربا التى تريد أن تلتهم كل ثمرات الأمم بعد أن تمزغها فى وحل الفساد والبغاء والأباحيات .

سادساً : عقلية قانون نابليون :

ويبقى بعد ذلك أثر قانون نابليون فى عقليات الأجيال بما تحمل من استهانة بكرامة المجتمع والأعراض ، ومما نجد من تصريحات رجال فى القانون لهم أسماء لامعة حين يقولون : ما فى القانون الوضعى من خلاف عن الشريعة إلا فى أمور هينة ،ومن يقولون: إنه فى استطاعة القانون الوضعى مع تعديل يسير أن يصبح شريعة إسلامية ، أليس قانون نابليون مأخوذاً من مذهب مالك ؟ إن الأمر ليس بهذه السهولة ، إن القانون الوضعى معجون بسموم المجتمع الغربى وإباحياته وتفريطه فى العرض والأخلاق والقيم التى يحرص عليها التشريع الإسلامى ، وفضلا عن ذلك فإنه يقوم على عقوبة على فعل يتم ، بينما تجىء (حدود الإسلام) لتحول دون وقوع الجرم نفسه . إن التجربة الطويلة للعالم الإسلامى إزاء القانون الوضعى وإزاء مفاهيم الديمقراطية

والليبرالية قد كشفت عن حقيقة أساسية : هما رفض الروح العلمانية ، وعدم قابلية النفسية الإسلامية لها واعتقاد جازم بأن كل الوافد من القوانين الوضعية لم يحقق للمجتمع الإسلامى مطامحه ، بل على العكس من ذلك فقد ذلل المجتمع الإسلامى للإباحية والربا وأفسد الأجيال التى أخرجها أسلوب التربية العلمانى . لقد فشلت الديمقراطية الغربية وفشلت الاشتراكية الغربية (فى الغرب نفسه) فكان علينا أن نعلن إفلاس هذه الثقافات التى عجزت عن أن تتواءم مع فكرنا الإسلامى الجامع فى أصالته وفى وجهته وفى ربانيته حتى يأتى بعد هذه السنوات الطويلة من لا يزال يحاور فى (المواءمة) بين الديمقراطية والشورى الإسلامية . إن عقلية قانون نابليون لا تزال تتحكم فى الفكر والصحافة والثقافة وعليها أن تذهب فقد انقضى أمرها .

إن الجسد الإسلامى يرفض الجسم الغريب ، لأنه ليس من طبيعته ولأن هذا الجسم الغريب يقوم على المادية الخالصة ، والتفسير المادى للتاريخ ، ويخلو من الأخلاقية والالتزام بالجزاء الأخروى ، وهذه هى الأسس التى قامت عليها الحضارة المنهارة وهل يمكن أن يدور الإسلام (فى دائرة القول بإعادة صياغة الفكر الإسلامى والمواءمة بينه وبين الفكر المعاصر) فساد الحضارة أو فساد الربا أو فساد القانون الوضعى أو فساد التعليم العلمانى الإلحادى ، هل يمكن أن يأخذ الإسلام بنظرية (الرخص) فى مواجهة (عزائم) القوى التى لا تريد أن يأخذ المسلمون قيادة مجتمعهم والتى تعمل على تأخير نهضتهم وعلى استبقائهم دائماً فى دائرة الحصار والمصادرة .

سابعاً : تجربة باكستان :

أما الحديث عن تجربة باكستان فهو حديث مضلل ، لأنه يعتمد على وجهة نظر أعداء الإسلام والتابعين للغرب ، وما تجربة باكستان إلا مثل للتجربة الإسلامية فى كل مكان من حيث تمكن عملاء الغرب من مصادرتها ، إن أمامنا وثائق واضحة جلية مما كتبه الأستاذ المودودى تكشف زيف ما يذهبون إليه فى الادعاء بأن التجربة الإسلامية قد فشلت للخلاف بين المسلمين والحقيقة أن النفوذ الغربى كان منذ اليوم الأول حريصاً على أن لا يقوم المجتمع الإسلامى ، وما كان محمد على جناح ولياقت على خان إلا من العاملين فى حقل الغرب وممن كانوا لا يؤمنون بالمفهوم الإسلامى أساساً .

ثامناً : الاستشهاد بالشيخ عبده :

أما الاستشهاد بالشيخ محمد عبده فهذا هو اليوم يدين اليساريين ، والعلمانيين وخصوم الفكرة الإسلامية من أجل تعويق النهضة ، لأن الشيخ محمد عبده فى الحقيقة لا يستطيع أن يمثل إلا عصره ، وإلا تلك المرحلة التى عاشها وهى مرحلة دقيقة – لم يكن من اليسير للشيخ أن يقول فيها رأى الإسلام صراحة ، فكان يحاول إزاء الأوضاع والتحديات التى يثيرها النفوذ الاستعمارى ويثيرها موضعه هو من الخديو ومن كرومر أن تكون كلماته مما يصلح لوقته ، وكفاه أنه رد عادية خصوم الإسلام فى اتهام الإسلام بالجمود ولكن لماذا يظل الشيخ محمد عبده بعد مائة عام موضع الاستشهاد وقد خطت حركة اليقظة الإسلامية خطوات واسعة فى الوصول إلى الأصالة وإلى مفهوم الإسلام المستمد من المنابع ، كذلك فإن الاستشهادات التى تنقل عن محمد عبده ، هى أمور متحولة قال بعضها ورجع عن بعضها وفسرت فيما بعد ذلك على نحو من الانحاء ، وأن كثيراً من النقد قد وجه إلى فكر الشيخ محمد عبده حتى من تلميذه الأثير الشيخ رشيد رضا بل أن مدرسة المناطقة والكلاميين التى عرفت عن جمال الدين ومحمد عبده قد تغير الموقف منها بعد أن ظهرت مدرسة القرانيين الذين يستمدون من القرآن والسنة المطهرة . والحقيقة إن هذه المحاولات فى (إثارة الشبهات) حول تطبيق الشريعة الإسلامية بأسلوب ماكر خبيث ، وعن طريق إثارة قضايا المواءمة والاقتباس وتذليل الإسلام لتبرير واقع المجتمعات الغربية الفاسدة ، كل هذا لن يحقق شيئاً ، وهى محاولات مكشوفة ، والقائمون عليها هم أسماء معروفة فى مجال الشيوعية أو العلمانية أو كراهية الإسلام منذ وقت بعيد والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

* * *

الفصل الثانى

الإسلام : عقيدة ومنهج حياة

(محمد خلف الله — فؤاد زكريا — حسن حنفى)

عرضت مجلة روز اليوسف لآراء الأساتذة : محمد خلف الله — فؤاد زكريا — حسن حنفى فى الفكر الإسلامى . . وقد كانت آراؤهم موضع مناقشة على نطاق موسع . . وفى محاولة لتقييم هذه الآراء نقول :

إن الذين تحدثوا عن الفكر الإسلامى فى مجلة روز اليوسف لم يكونوا على مستوى المسئولية والأمانة . . وكان أخطر مقاتلهم أنهم مع الأسف يفهمون الإسلام فهماً لاهوتياً غربياً . . على أساس أنه عبادات وترانيم . . وهم فى هذا متأثرون أشد التأثر بالثقافة الأساسية التى نشأ خلالها فكرهم وتكوينهم الثقافى . . وهى مفاهيم غربية قائمة على نظرة العلمانيين إلى الدين (الغربى) ولا يغيب عن ذهنهم ذلك الصراع الذى قام فى الغرب بين الكنيسة ورجال العلم . . وهم يتحدثون عن الإسلام على أنه دين روحى . . عبادى . . وينسون أنهم لم يلموا بفهم الإسلام على النحو الذى ألم به المستشرقون والمبشرون الذين يحاربونه . . أو أنهم يعلمون أن الإسلام ليس ديناً بمفهوم اللاهوت . . وإنما هو نظام مجتمع ، ومنهج حياة . . ولكنهم يغالطون فى هذا ويخفون هذه الحقيقة ويحاولون أن يحاكموا الإسلام بنفس منطق العلمانيين فى الغرب مع المسيحية الغربية ، وإثارة جميع القضايا التى وقع الخلاف فيها بين رجال الدين ورجال الفلسفة هنالك .

والواقع أن الإسلام بمفهومه الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق . . لا يدع مجالا — من قريب أو بعيد — لإثارة هذه الشبهات أو التحديات . . بل إن منطق مناقشة السادة يحمل فى أعماقه روح كراهية عميقة للإسلام ، وعنف ولدد فى الخصومة مع الذين يحملون أسماءه . . وكان أولى بهم أن يؤمنوا بمنهج البحث العلمى النزيه المتجرد عن الأهواء والأحقاد .

نحن نعرف أن هؤلاء حين يتحدثون عن الإسلام يضمرون فى أعماقهم أحد مفهومين :

أولاهما : التفسير المادى للتاريخ أو التفسير الغربى للدين . . ومنهم من يهدف إلى الدخول إلى ساحة الفكر الإسلامى بعبارات مرنة . . ليتمكن من خلال خداع القارئ بها إلى الوصول إلى غايته . . بإنكار عالمية الشريعة الإسلامية ، وقدرتها على البقاء والاستمرار على مدى الأزمنة والعصور ، ومن خلال مختلف المجتمعات ، وأنها بذلك تختلف اختلافاً واضحاً عن الفكر البشرى المتمثل فى أيديولوجيات العصر : قومية ، وديمقراطية . . وماركسية ، واشتراكية ، وليبرالية . . وأن الإسلام الذى هو رسالة السماء للإنسانية يختلف اختلافاً عميقاً عن هذه الدعوات التى ظهرت نتيجة لتحديات مجتمعاتها . . ولم تستطع الاستمرار إلا بعد تعديل وتحوير ، وإضافة وحذف . . وهو ما يطلق عليه التطور والتطوير . . أما الإسلام فإنه يختلف تماماً من حيث أحكام منهجه وسعة أطره ، وقدرته الفائقة على استيعاب مختلف المتغيرات . . ثم له بعد ذلك استعلاءه عن الخضوع لفساد المجتمعات ، أو تبرير أوضاعها المضطربة . . ذلك أن على الأمم والشعوب أن تلائم نفسها مع شريعة الله . . وليس العكس . . ولا ريب أن دعاة الماركسية ودعاة العلمانية جميعاً يكرهون الإسلام . . لأن الإسلام سوف يجتاحهم ويحطم وجودهم . . ولذلك فهم لا يستطيعون أن يكونوا منصفين معه ، أو قادرين على العودة إلى الحق . . وهو متبين لهم الآن تماماً .

ولعل هؤلاء القوم يجهلون أبعاد هذا المجتمع الإسلامى وأصالته ، وعمق ما بناه الإسلام فى أهله منذ خمسة عشر عاماً ، ويظنون أن تلك المحاولات التى قام بها النفوذ الأجنبى خلال المائة عام الأخيرة قادرة على هدم مقوماته . . ولذلك فهم يدهشون . . لأنه عاد إلى أصالته ، وإلى روح الإسلام الصحيحة ، ويحاولون أن يشككوا فى هذه الحقيقة أو تدميرها . . وتتمثل أخطاء هؤلاء الكتاب فيما يلى :

أولا : فساد الادعاء بأن الإسلام منهج قديم . . لا يصلح لمجتمعات العصر . . وما مجتمعات العصر إلا مجتمعات الاستهلاك والفساد التى تجرفها

مخططات بروتوكلات صهيون . . لتقضي على كل قواها ، ولتستنزف كل قدراتها لتكون لقمة سائغة لمخطط الاستيلاء على العالم .

ومن الذى يستطيع أن يقول : إن الحضارة الغربية الآن تسير فى الطريق الصحيح . . وقد دمرت الوفرة . . الأسرة والمجتمعات . . وفى أعلى البلاد مستوى للعيش نجد ظاهرة الانتحار والمخدرات ، والقتل . . والاغتصاب .

ثانياً : كذب الادعاء بأن الفكر الإسلامى اليوم متخلف عنه فى أواخر القرن التاسع عشر (جمال الدين ومحمد عبده) والذين يقولون بها يحاولون أن ينكروا تلك المحاولات التغريبية التى حاصرت الفكر الإسلامى فى مجال الاعتزال والكلام والمنطق . . حين خدع الغرب المسلمين فأعطاهم (أرسطو) وحجب عنهم (المنهج العلمى التجريبى) ولا ريب أن الدراسات الإسلامية اليوم قد كشفت الغطاء عن عظمة الشريعة الإسلامية ، وجلب كنوزها ، ورفعت الأتربة عن ذلك التراث المعطاء . . وكان أعظم ما وصلت إليه هو أنها ربطت نفسها بالمنابع الأساسية بالقرآن والسنة الصحيحة . . أما تلك الكتابات التى عرفت عن جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده . . فإنها لم تزد عن أنها كانت محاولات للدفاع عن الإسلام فى وجه الموجة المادية الصارخة التى كانت تنكر المعجزات والوحى ، وتحاول أن تفرغ الإسلام من جوهره بالدعوة إلى البطولة أو العبقرية . . بدلا من النبوة أو غير ذلك من محاولات كتاب تلك الفترة .

والذين يقولون أن تلك الفترة تعتبر تقدماً هم يلهثون وراء أهوائهم . . فقد أزعجهم أن يتعرف المسلمون على مفهوم دينهم الصحيح . . وأن يكشفوا زيف المستشرقين والمبشرين . . وأن يجلوا عناصر دينهم ويقدموه غضاً طرياً إلى العالمين .

ثالثاً : خطأ القول بأن الدين مجموعة من الشعائر تحفز الإنسان إلى إصلاح أوضاعه . . فإن هذا هو المفهوم الكنسي الزائف للإسلام ، فالإسلام نظام اجتماعى كامل ، والشريعة الإسلامية كما نعرف هى مصدر القوانين ولذلك فهى لا تقف عند حدود المسجد أو العبادة وإنما تتخطى ذلك لتكون منهجاً كاملا . . اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وتربوياً .

رابعاً : ليس صحيحاً أن دعاة الفكرة الإسلامية كما يدعى البعض أنه. فهم ضيق الأفق أو النظرة الأحادية ، أو العجز عن الحوار . . فهم يفهون الإسلام فهماً صحيحاً بكل سماحته ويسره وانفتاحه على كل المذاهب والدعوات . . ولكن هذا الحوار الذى يطلبه البعض هو دعوى كاذبة . . فكيف يمكن أن تجرى المقارنة أو الحوار بين منهج السماء الحق وبين منهج بشرى — كالاشتراكية مثلا ! !

خامساً : ليس فى الإسلام ما يسمى (رجل الدين) . . وليس هناك ما يسمى (حكومة دينية) ولكن هناك منهج إسلامى . . له صفة الثبات فى إطاره مع تقبل حركة التغيير فى داخله . . ولا يفهم هذا الماديون . . لأنهم يؤمنون بالفكر الانشطارى المستقل . . إما أن يكون روحانياً خالصاً ، أو مادياً خالصاً . . ومن هنا فهم يعجزون عن فهم الإسلام كمنهج جامع بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة . . وأن المنهج الربانى شىء منفصل عن التجربة الإنسانية التى هى التاريخ .

سادساً : نعم يقر الإسلام التحرر إلى أقصى الحدود . . وقد كان تاريخ الإسلام قائماً على ذلك . . أما إذا وصل الفكر إلى حد انتقاض مفهوم التوحيد ، أو التبشير بالإلحاد ، أو إذاعة المذاهب الهدامة تحت اسم حرية الرأى فى الإسلام . . فإن ذلك مرفوض .

فعلى من يريد أن يأخذ بأى منهج من مناهج الحياة . . فليفعل . . ولكن ليس من حقه أن يدعو الناس إلى باطله أو أن يروج له .

سابعاً : إن المفكرين الذين لهم خلفيات معروفة فى الإلحاد ، أو التبعية لمذهب من المذاهب ، أو نحلة من النحل ، يجب أن يعرف بهم حتى يتحصن الناس من شرهم . . وهذا ما يسمى فى الفكر الإسلامى : (مذهب الجرح والتعديل) ، وكثير من الكتاب الذين تلمع أسماؤهم يخدع بهم الشباب المثقف ، ويظنون أن الكتب المطبوعة طباعة أنيقة ، أو الشهرة المدوية مقياساً للأصالة .

ثامناً : أن تجارة التغربيين والماركسيين بكتابات رفاعة الطهطاوى ، والكواكبى ، ومحمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى . . هى تجارة زائفة . . فإن هؤلاء جميعاً كانوا يصدرون عن تحديات جزئية فى عصرهم ، ولم يكونوا

على علم بمؤامرات الاستشراق فى استغلال كتاباتهم لخدمة أهداف تغريبية . .
ولقد كانت مدرسة الكلام والاعتزال والفلسفة التى عرفها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وإقبال ، والعقاد . . مدرسة مرحلية خدمت فى ظروفها . . ولكن جاءت بعد ذلك المدرسة القرآنية الأصيلة . . كما حدث تماماً فى القرن الثالث الهجرى . . فالاتكاء على آراء جمال الدين ومحمد عبده ، وتكريره لا يقنع أحداً الآن ، ولا يفيد شيئاً بعد أن وضحت أمام الشباب المسلم الكتابات القرآنية التى قدمها حسن البنا ومحمد المبارك وعلال الفاسى والمودودى والندوى وغيرهم ، وقد تكشفت أخطاء كثيرة لجمال الدين ومحمد عبده توحى بأنهما ليسا على شىء من القداسة ، وأنهما بشر يخطىء ويصيب . . فضلا عن فارق الزمن .

تاسعاً : نظرية (العقلانية) التى يروج لها بعض المدعين انتسابهم إلى الإسلام . . نظرية باطلة على النحو الذى يعرضونها به . . فالإسلام ليس عقلانية اعتزالية ، ولا فلسفة كلامية ، ولا صوفية حدسية . . وكل من يستقل بوجهة من هذه الوجهات لا يمثل الإسلام فى مفهومه الأصيل الجامع .

والإسلام يجعل العقل مناط التكليف . . وهو مع ذلك مصباح يضيئه الوحى فلا يستطيع أن يهتدى بنفسه . . والعقل على إطلاقه يعيش فى محيطه . . فإن كان محيطه وثنياً كان عقلا وثنياً ، وإن كان محيطه مادياً كان عقلا مادياً ، وإن كان محيطه روحياً كان كذلك . . فهو لا يصلح إلا إذا نشأ وتشكل فى إطار المفهوم الإسلامى الصحيح . . عندئذ يصبح عقلا إسلامياً .

وفكرة العقلانية فكرة ضالة مضلة على النحو الذى يعرضها به زكى نجيب محمود ومدرسة الشعوبيين التى تحرف الكلم عن مواضعه .

عاشراً : كلمة (الإصلاح الدينى) عبارة غربية ضالة لا تطابق مفهوم الإسلام . . فالإصلاح الدينى فى الغرب قام على أساس تحرير الفكر الكنسى من قيود الكاثوليكية . . فكانت البروتستانتية ، وكلفن ، ولوثر ، وغيرهم . . أما فى الإسلام فلا توجد كلمة إصلاح ، كما لا توجد كلمة تطور التى كلف بها توفيق الحكيم . . فإن يقظة الإسلام تتحقق بالعودة إلى التماس المناهج الأصيلة (القرآن والسنة) ومفاهيم الإسلام قبل ظهور الخلاف . . أما هذه

العبارات غير المسئولة . . فإنها تدل على أن أصحابها يعيشون فى جو غربى . . وأن ثقافتهم الغربية غير الإسلامية تسيطر عليهم . . فهم ينظرون إلى الإسلام من خلالها .

وفى الختام .. فإن هؤلاء الذين يدعون التباكى على الإسلام وهم يشككون فى الشريعة الإسلامية ، ويقولون أنها مرحلية أو غلبها القدم ، أو يدعون إلى حجب حدودها . . مرفوضون تماماً ، ولا يستمع لهم أحد ، ولا يثق بهم ،

* * *

الفصل الثالث

مفهوم الإسلام للفن وقضاياه

أشار (الأستاذ كمال الدين رضوان) إلى ظاهرة خطيرة فى دراسة أجراها أخيراً للقصة المصرية المعاصرة التى يكتبها : الفريد فرج ، ويوسف الشارونى ، وميخائيل رومان ، وادوار الخراط ، ومجيد طوبيا . . وهى قيام قصصهم على نقطة واحدة : (هى) الخيانة الزوجية (بمعنى أن البيت المصرى والعربى والمسلم مصاب بهذه الظاهرة الخطيرة . . وقد تابع هؤلاء الكتاب فى ذلك أساتذتهم من كتاب القصص الكبار : توفيق الحكيم ، ويوسف إدريس ، ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس . . والحقيقة أن هذه ليست ظاهرة حقيقية فى المجتمع المصرى العربى المسلم . . ولكنها منقولة من القصة الأجنبية التى تعتبر هذا الأمر من الظواهر العادية فى المجتمع الغربى . . ولكنه ليس كذلك فى الحقيقة بالنسبة لمجتمعنا الإسلامى الذى ما زالت فيه أخلاقياته وعفته ومحافظته على العرض والكرامة والشرف .

وقد حفلت هذه القصص بالتفسير المادى أيضاً الذى لا ينطبق كثيراً على أمور مجتمعاتنا . . فطغت فى قصص يوسف إدريس . . ونجيب محفوظ ظاهرة وقوع المرأة فى الخطيئة نتيجة عسر الحال والفقر . . وما كان مجتمعنا فى يوم من الأيام يقبل هذه الظاهرة . . ولكنها محاولات ماكرة وخبيثة تريد أن تصم هذا المجتمع بأمور كثيرة ليست فيه . . ويرجع هذا أساساً لخضوع أغلب كتاب القصة لمخططات التغريب والتبشير ، والاستشراق والغزو الثقافى . . ولا ريب أن محاولة وصم المجتمع المصرى العربى المسلم بالفساد والانحلال . . إنما تصدر أساساً من غايات خاصة تحرص على تحويل الحالات الفردية النادرة إلى ظواهر اجتماعية لغرض شخصى ، أو لهدف اجتماعى يراد به أن يقال : إن الأسرة العربية الإسلامية قد فسدت وتمزقت وأصابتها غوائل الإباحية

والانحلال والفساد . . وأنها بذلك أصبحت عاجزة عن تحقيق رسالة الأمومة والأنوثة ، وبناء المجتمع الصحيح . . ولا ريب أن كل الظواهر التى نشاهدها الآن فى مجتمعنا من تعالى الوعى بحقائق الإسلام فى محيط المرأة المسلمة على وجه الخصوص تدحض هذه الشبهة ، وترد هذه الفردية ، وتكشف عن زيف هذه المحاولة .

ويبقى بعد ذلك أن نواجه فن كتابة القصة نفسها ، لنتعرف إلى تلك المحاذير التى تنتج عنها الأخطار التى تواجه القارئ المسلم من حيث أمانة الأداء الفنى وأخلاقياته ، وأمانة الكاتب المسلم فى مجتمعه . . وأول ما يقال فى هذا الصدد أن الزمن قد تجاوز تلك المحاولة اللئيمة الماكرة التى كانت تستهدف تدمير الأسرة المسلمة ، وهزيمة المجتمع الإسلامى ، بعد أن تكشفت المخططات التلمودية التى ترمى إلى هذه الغاية ، والتى فرضت ذلك (اللون) الوافد الذى لا يلتقى مع الفطرة العربية والمسلمة ، وأن القصة قد سقطت سقوطاً لا ريب فيه من حيث أنها أداة حقيقية لبث المشاعر والعاطفة ، ومن حيث أنها تقوم على الإثارة والمبالغة ، أو على افتعال الأحداث والجريمة ، والاغتصاب والغواية والإغراء . . وفى هذا يقول هاملتون جب :

(إنه لا ينتظر أن يكون للقصة مستقبل فى الطور الأدبى الحديث ما دامت الحياة الإسلامية محافظة على تقاليدها الموروثة) .

ويقول محمد عبد الله عنان :

(نستطيع أن نقطع بأن المجتمع الإسلامى لا يمكن متى بقى تطوره وتقدمه محصورين فى المبادئ الإسلامية الخالدة أو التقاليد التى كانت أثراً لهذه المبادئ أن يظهر كتاب القصة العربية يوماً بمادة واسعة ، أو غزيرة كالتى يقدمها المجتمع الغربى إلى كتاب الغرب ، أو أن يغدو الأثر الذى يفسحه ذات يوم وحياً للجمال والفن . .

وخير ما عبر عنه كاتب عن علاقة القصة بالمجتمع هو ما قاله (واسرمان) حين قال :

(ما دام العنصر الشهوانى خفياً فلا وسيلة لتأليف القصة) .

فالقصة التى يبحث عنها التغريب ليس هى قصة الواقع . . أو القصة

الأصيلة التى لا افتعال فيها . . ولكنها القصة الصارخة ذات الأحداث والخفايا والمؤامرات التى تقع بين رجل وامرأة تحت اسم الحب أو الشهوة أو الغيرة ، وتدور فيها المحاورات حول تبرير الاغتصاب أو خداع النفس الساذجة حتى تقع فى الفخ ، وحيث يقع التنافس بين رجلين على امرأة ، أو بين زوج وعاشق ، أو إغراء امرأة لرجل متزوج ، أو تجمع عدد من المحبين حول امرأة غانية وصراعهم معها .

والقصة على هذا النحو عمل مفتعل ، ليست هى الحقيقة ولا الواقع ، ولا هى بهما أشبه . . وإنما هى (أداة من أدوات الغزو النفسى والاجتماعى للمجتمعات والشباب والفتيات الغريرات) .. وهى حين تقوم على ذلك البناء (الفنى) إنما تلتمس قواعد التحليل النفسى التى أذاعها (فرويد) وفرضها على عالم الأدب بعامة ، وعلى القصة بخاصة . . وفرويد يرى أن سلوك الإنسان كله فى مختلف حياته وأوضاعها (جنس) حتى فى مجال الدين نفسه .

وإذا كان المجتمع الإسلامى يحول دون ظهور هذه القصة فيجب إغراق المجتمع بالقصص الأجنبى المكشوف والإباحى بالترجمة حتى يقرأه الشباب فى فراغه ، والفتيات فى خدورهن . .

هذه القصة هى المنطلق للرواية والمسرحية والمسلسلة التى استشرت اليوم فى مجال الإذاعة المسموعة ، والإذاعة المرئية ، ودور السينما والمسرح العديدة . .

فهى أداة خطيرة ترمى إلى تقويض دعائم الحياة الاجتماعية بما تطرحه من محاورات نازلة ، ومؤامرات موهومة ، ومن تبسيط لأمور العرض والكرامة والخلق ، وإشاعة لها على أنها مشروعة ، مع سخرية بالقيم والحدود والضوابط التى أقامها الإسلام من أجل حماية الأسر والمجتمعات .

وقد كشفت الدراسات عن أن فن القصة على هذا النحو الذى فرضه التغريب على الأدب العربى وعلى المجتمعات هو فن دخيل لا يتفق مع الذوق ولا المزاج ولا القيم العربية الإسلامية ، وأن النفس العربية والإسلامية قد عبرت عن نفسها بأساليب أخرى ليست القصة واحدة منها ، وأن القصة على هذا النحو أدب وافد ، وقد أحصى المؤرخون أنه قد ترجم من الآداب الأجنبية خلال نصف قرن أكثر من عشرة آلاف قصة أجنبية أضيفت إلى الأدب

العربى . . وأن هذه الترجمات كلها كانت فاسدة فى اللغة ، اباحية فى الموضوع مكشوفة فى الحوار وقد ساهم فى ترجمة هذا الأدب الجنسى (أدب الفراش) أعلام كثيرون فى مقدمتهم (طه حسين) الذى وصفه إبراهيم عبد القادر المازنى بأنه كان همه مدح الخيانة . . والاعتذار للخونة ، وتصوير الخلاعة والمجون فى صورة جذابة . . وقد وجه الاستشراق الأدباء العرب إلى ترجمة هذه القصص على طريقة تمصيرها وتعريبها فلم يكن هم كتاب القصة إلا تغيير أسماء الأبطال والأماكن ، وبقيت مضامين القصة كما هى . . وإذا أمسكنا بأسماء كبار كتاب القصة اللامعين الآن وجدنا أن كل واحد منهم قد اختص بترجمة أديب غربى أمثال : كفكا ، وموباسان ، وتشيكوف ، وألدوس هكسلى ، ولورنس ، وتوماس مان .

وقد أعلن الأدب العربى عن موقفه صريحاً وواضحاً إزاء تيار القصة (الغربية المصدر) وكشف عن رأيه وأعلن أن الفن القصصى ليس عربياً ولا إسلامياً ، وأنه فن وثنى وأنه يجرى مع تطور الوثنية مرحلة بعد مرحلة ، وهو يتطور بتطور أشكالها ونظمها ، وتجدد أربابها ومعابدها . وأن القصة فى العالم الوثنى هى الملهاة التى يقدمها أهل اليسار إلى المحرومين والفقراء .

ومن هنا فإن الخلاف بين الأدب العربى وبين القصة الغربية وليدة الوثنية اليونانية بعيد المدى . . وكذلك بالنسبة للأسطورة الشرقية ومنها (ألف ليلة) وهذا الخلاف بين الأدب العربى والآداب الوثنية (شرقية وغربية) هو خلاف فى الجوهر والتصميم ، كما هو فى الشكل والخصائص ، وفى الدوافع والغايات . . من حيث أن دوافعه مختلفة تمام الاختلاف عن تلك الدوافع التى يتولد منها الأدب الأوربى . . وأبرز هذه المعالم هى الإيمان والتوحيد ، وسلامة الفطرة وصدق التوكل على الله الخالق الرازق . . وكلها تعطى الأدب طابعاً ملؤه الإشراق والتفاؤل والإقبال على الحياة والرضى بقضاء الله عز وجل

إن المسلمين يتطلعون فى مطالع القرن الخامس عشر إلى الأصالة وترشيد الفكر الإسلامى لالتماس مقوماته الحقة . . ولذلك فهم يتطلعون إلى ظهور كاتب عملاق للقصة الإسلامية يوجه الحياة الفكرية الإسلامية وجهة جديدة ، بعد أن ظهر فى خلال القرن الرابع عشر بوادر وإرهاصات كثيرة تمثل

فى كتابات على أحمد باكثير ، والدكتور نجيب الكيلانى (الذى أعطى كثيراً) وعماد الدين خليل وآخرين من الذين أرسوا مفاهيم الأصالة للقصة الإسلامية وفق مفهومها القرآنى الصادق ، والمتمثل فى التحرر من التبعية لمفاهيم الإثارة والفحش والانحلال التى عرفتها مدرسة القصة العربية فى العصر الحديث بأعمدتها (توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس) . .

والتى أفسدت مفاهيم الأصالة ، وفتحت الطريق لهؤلاء المضللين الذين حاولوا إشاعة الفاحشة فى المجتمع الإسلامى ، ورميه بأكبر اتهام . . حين وصفوه بأنه خاضع وذليل ومستعبد للخيانة الزوجية . . هذه المدرسة التى خضعت لمحاذير الغزو الفكرى ، والتغريب . . فعملت على إفساد العقول ، وتسميم القلوب ، وحرفت عقليات وأفكار أجيال متوالية من الشباب المسلم ، والفتاة المسلمة الذين لم تكن لهم حصانة كافية من عقيدتهم لكشف هذا الزيف ، وإطراح هذا الخطر الذى سرى فى الأمة مسرى السم فى العروق . . تحت اسم الفن . .

وكان علينا أن نعرف مفهوم الإسلام للفن أولا . . هذا المفهوم الذى يقوم على استحالة التناقض مع الفطرة . . فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة دين الإسلام فى شيء . . فإذا خالفت الفنون الدين فى أصوله ودعت صراحة أو ضمناً إلى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لمحاربتها . . وعاقت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لإيجابها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقى فى النفس والروح .. إذا خالفت الفنون الدين فى شيء من هذا أو فى شيء غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق . . وأخطأت الفطرة التى فطر الله تبارك وتعالى الناس عليها على حد تعبير الدكتور محمد أحمد الغمراوى . . ومفهوم الفن فى الإسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر يتكامل مع الأدب والاجتماع ، والأخلاق والدين والحضارة . . وهو فى الإسلام له طابعه الأصيل الواضح المباين لمفهوم الفن فى الثقافات ، والحضارات الأخرى . . قوامه الأخلاق ، وطابعه التوحيد . . يتسامى بالغرائز ، ويرتفع بالنفس الإنسانية إلى الكمال دون أن يبعد عن الواقع . . والفن فى نظر الإسلام أداة تجميل الحياة ، ووسيلة الإسعاد الروحى والنفسى

بتحرير الإنسان من عالم الأهواء والغرائز ، وإطلاقه فى نظرة حرة إلى الكون والوجود يعرف فيها قدرة الله وعظمته ، ويزداد بها إيماناً .

ومن أبرز مفاهيم الإسلام للفن أن الإسلام لا يقر الصراع بين ما يسمى بالآلهة والإنسان ، أو بين القدر والإنسان ، على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ، ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر أو ما يسمى بالآلهة ، ولا بأن البطل الصالح يتحطم على يد القدر . . وكل هذه المعانى المأساوية مستمدة من فكرة الخطيئة الأصلية التى عرفها الفكر الغربى ولم يعرفها الإسلام .

إن الصراع المأساوى الذى تعرفه القصة الغربية والمسرح الغربى لا يجد بيئة طبيعية فى إيمان المسلم ومعتقده . . ذلك أن البطل المأساوى هو دائماً فى صراع مع ما يسمون بالآلهة . . أما الإنسان المسلم فهو فى سلام مع الله الواحد الأكبر ، وفى إيمانه بالقدر لا يحول دون السعى وإن كان يحول دون المصارعة والصراع . . ومن هنا فإن العقل الإسلامى لا يتصور الصراع بين الإنسان والله (جل جلاله) على نحو ما كان يتصور اليونان الذين يؤمنون بأن الحرب مع القدر وإن كانت نهايتها هى الهزيمة المأساوية فإنها حرب تدل على شجاعة الإنسان وجبروته وعلو شأنه (كما يردد دعاة الفكر الإغريقى والوثنى أمثال لويس عوض وغيره) .

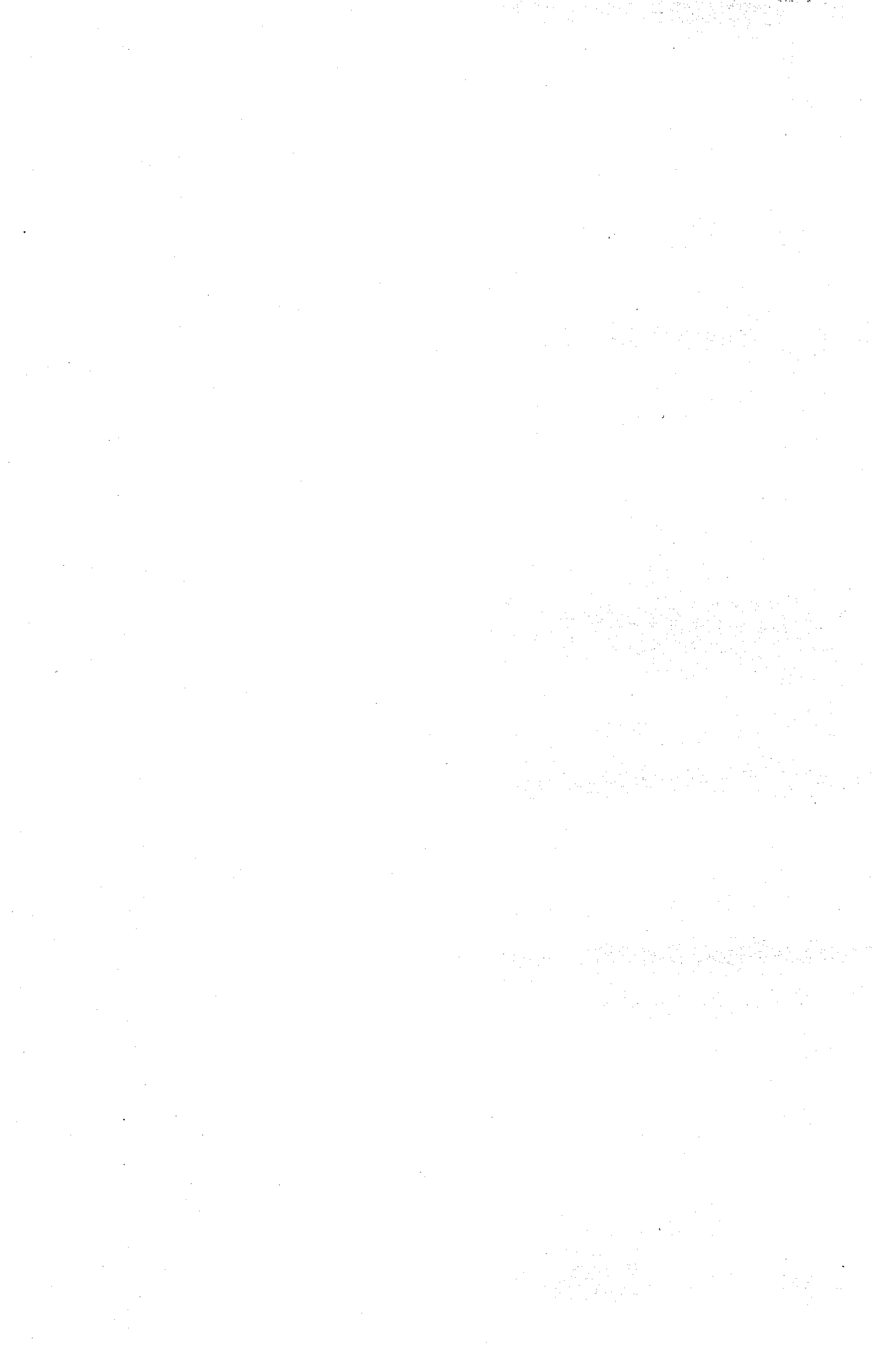
والمسلم لا يفهم ما يسمى صراع الإنسان مع الالهة . . لأن للمسلم إلهاً واحداً . . قادراً . . مالكاً . . متصرفاً . . لذلك فإن هذا المسلم يسلم نفسه ووجوده كله إليه . . فهذا الأمر الذى هو دعامة المسرحية وعقدة القصة أمر لا يفهم فى جو الإسلام ، ولا يقبل مع التوحيد الخالص الذى هو قمة العقائد فى الإسلام . . ولذلك فإن المسلمين لم يجدوا أنفسهم فى يوم من الأيام مع صراع مع القدر ، ولم يعرفوا هذا اللون من الصراع حتى فى فترة جاهليتهم السابقة على الإسلام . . بل إن الوثنية العربية لم تكن مؤهلة لهذه المفاهيم . . إذ لم تكن وثنية أصيلة . . بل كانت صورة مشوهة من دين قائم على التوحيد . . هو الحنيفية دين إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لذلك لم تكن لها جذور عميقة أو تقاليد قديمة كما كان لدى الوثنيات الأخرى .

وتقوم فلسفة المأساة الغربية فى القصة المسرحية على الخطيئة والقصاص والغفران . . وترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية هى خطيئة آدم . . وهناك مفهوم الصراع بين ما يسمى الآلهة والقدر ، وبين الإنسان والخطيئه ، وبين البطل فى صورة المتحدى لإرادة الله تعالى والمتحدى للقدر . . هذا اللون من الاعتقاد الذى تستنبطه القصه العربيه التى بين أيدينا الآن ، والمترجمة أصلا عن القصة الغربية غريب على الذوق العربى وعلى مزاج النفس الإسلامية.. فهو خلاصة لمفاهيم دينية وثنية وغربية ومسيحية تقوم على فلسفة أساسية قوامها الخطيئة التى لا يعترف بها الإسلام ولا يقرها ، والتى ليس لها أى صدى فى الأدب العربى . .فضلا عن أن صراع القدر وصراع ما يسمى الآلهة كلاهما غريب على النفس المسلمة . . بل إن نهاية القصة وخاتمة التراجيديا فى مفهوم الأدب اليونانى والغربى يجب أن تكون شريرة . . ومصدر هذا كله هو أن الإنسان — عندهم — ثمرة الخطيئة ، وأن حياته تكفير عن هذه الخطيئة ، وأنه لا قيمة لها . . بينما يرى الأدب العربى وفكره وآدابه بأن الإنسان كائن حى ، وحياته لها قيمتها الخاصة ، وأنه ليس مسئولا عن خطيئة غيره . . وأن الخطيئة التى تتردد فى هذه الآداب هى خطيئة آدم . . وهذه فى مفهوم الإسلام خاصة به وحده ، ولا تنسحب على أبنائه وقد غفرها الله تبارك وتعالى له ولم يجعل ذنبها لأحد من بعده .

وفى مفهوم الأدب العربى المستمد من الإسلام أن الخير لابد أن ينتصر فى النهاية ، وأن الشر لابد أن ينهزم وينسحق . . ولذلك كانت القصة وكانت المسرحية بهذه المضامين المحجوبة فى داخل نفوس كتابها غريبة عن الإسلام ، ومعارضة له .

هذه هى الخيوط الأولى لفهم شباب الإسلام للقصة والفن والمسرح . . وقد فصلناها فى رسائل (معلمة الإسلام) ونحن إزاء هذه المؤامرة الخطيرة نادى كتاب القصة المسلمين فنقول : عودوا إلى طريق الله ، واحملوا لواء (فن إسلامى أصيل) هذا وبالله التوفيق .

* * *



الفصل الرابع

المؤامرة على الخلافة والدولة العثمانية

عبد الحميد الكاتب : أخبار اليوم

لماذا هذا الحقد الشديد البالغ من أقلام عربية لكتاب مسلمين جغرافياً على الخلافة الإسلامية ، والجامعة الإسلامية ، والوحدة الإسلامية ، والتضامن الإسلامى الذى تشرق فى هذه الأيام شمسه ، وتبدو علاماته ، وتعلو راياته . . بعد أن تعددت كتابات الكتاب عن الصحوة الإسلامية . . ولماذا يوصف عمل مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة الإسلامية بأنه (ضربة موفقة) أو قول أحد المؤرخين الشعوبيين : (وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية إلى الأبد) ! !

وقد نسى هؤلاء وأولئك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون . . ثم يرفعها الله جل جلاله . . ثم يكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعه الله جل جلاله . . ثم يكون ملكاً جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون . . ثم يرفعها الله جل جلاله . . ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل فى الناس بسنة النبى ويلقى الإسلام بجرانه على الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض . . لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته » . وما ينطق عن الهوى . . . وهذا الحديث الشريف الصحيح يؤكد عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى على نحو أوثق صلة بحكم الله ، ونظامه الذى جاء به القرآن الكريم . . ولقد كان سقوط الخلافة الإسلامية (حدثاً) خطيراً لم يكتب عنه بعد . . وكان له أثره فى نفوس العاملين فى حقل اليقظة

الإسلامية . . وقد كان مصدراً لقيام المفهوم الصحيح للإسلام . . بوصفه منهج حياة ، ونظام مجتمع . . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت على أهلها العهد بالعمل لعودة الخلافة الإسلامية متى جاء أوانها . . وما تزال الحركات الإسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة فى هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الإسلامية العالمية هى بشائر الخير فى هذا الطريق . . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية أصبح اليوم عملا ضرورياً بعد أن فسدت الدعوات الإقليمية والقومية . . وفى مقدمتها الجامعة العربية . . ولابد للمسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقيقى لمواجهة تآمر الغرب والصهيونية والشيوعية عليهم . . وهو إحياء جامعتهم ، وإقامة خلافتهم. واست أدرى . . لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسمومة كاذبة مضللة انتشرت زمناً . . وكانت أشبه بالمسلمات . . روجها اليهود والمارون .. ثم تبين زيفها ، وتكشفت الحقائق التى تدحضها ؟

لماذا العودة إلى الزيف بعد أن ظهرت الحقائق ؟ ! ولماذا الادعاء بأن مدحت مصلح . . وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ؟ ! ! والحقيقة أن الرجلين . . ومن بينهما من رجال (الاتحاد والترقى) هم عملاء للنفوذ الأجنبى والصهيونية . . لقد تكشفت هذه الحقائق فى العالم الإسلامى كله . . ولم يعد فى إمكان كاتب ما أن يضلل الناس بإعادة هذه الأكاذيب ووصفها ، وخداع الناس فى أمر رجل كان والده حاخاماً يهودياً مثل (مدحت) أو رجل هو من الدونمة أصلا . . مثل (أتاتورك) . . إن الدعاوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلا بتزييف (صفحة الدولة العثمانية) والسلطان عبد الحميد . . من أجل هدف معروف وواضح هو إسقاط هذا السلطان ، وإزالة الدولة العثمانية ، وهدم الخلافة الإسلامية لتمكين الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستقرار فى القدس ! ! لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تجربة جديدة فاسدة أريد بها القضاء على النظام الإسلامى ، وهدم الشريعة الإسلامية ، وإقرار نظام العلمانية والمادية والوثنية فى المجتمع والتربية والسياسة فى البلاد الإسلامية ، ومحاولة لجعله مثلا أعلى للتقدم والتجديد . . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاماً لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هذا الغزو

التغريبي الذى جاءت إيران اليوم بمثابة الدليل الأكيد على فساد هذه التجربة ، وعلى سقوط هذا المنهج ، ومؤكدة بأن المجتمع الإسلامى الأصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً يرفض العضو الغريب ، ويتأكد له بعد التجربة المتصلة مع الديمقراطية الغربية والاشتراكية الماركسية وفشلهما أن السبيل الوحيد أمامه هو المنهج الربانى الأصيل ، وأن الذين حرضوه طوال هذه السنين بالتماس المنهج الغربى (شرقيه وغربيه) سبيلا للنهضة فى العالم الإسلامى لم يكونوا صادقين فى دعواهم . . فإن هذا الأسلوب فى الاحتواء والعمل على صهر المسلمين فى بوتقة الأممية الغربية كان من نتائجه سقوط الخلافة الإسلامية ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والقدس فى أيدى الصهيونية ، والحيلولة دون امتلاك المسلمين لإرادتهم ، وتطبيق شريعتهم الإسلامية ، والعمل على منعهم من أداء فريضة الجهاد ، أو امتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الإسلامية القائمة على العدل والرحمة والإخاء الإنسانى . إن الصورة التى رسمتها تلك الكتابات المسمومة لمدحت باشا كاذبة ومضللة . . فلم يكن مدحت بطلا قومياً . . ولكنه كان واحداً من قوى المؤامرة التى أعدت بأحكام للقضاء على الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية . . وقد كان أمره مكشوفاً لدى السلطان عبد الحميد الذى كان قد وضع يده على مخطط الدونمة بالاشتراك مع أحرار الترك الذين كانوا قد جندوا لخطة إزالة الدولة العثمانية ، والخلافة الإسلامية من طريق الصهيونية بعد أن حققت قبل ذلك إزالة الجيتو بالثورة الفرنسية . . وما كان مدحت شهيداً فى الحقيقة لأن الشهادة لا تكون لخونة وما قتلوه فى الحقيقة ولكنه قتل نفسه بخيانته لوطنه وللإسلام ، والعمل على تمكين اليهود من النفوذ . . وهو من الدونمة الذين دخلوا فى الإسلام تقية لإخفاء هويتهم ، ولتدمير الدولة العثمانية من الداخل . . وكان يعمل بتوجيه من المتآمرين المقيمين فى باريس ، والمتآمرين المقيمين فى سالونيك . . ولم يكن الدستور الذى دعا إليه مدحت إلا محاولة لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامى والشريعة الإسلامية ، وتغليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتمكينها من الانقضاض على الدولة . وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ما تهدف إليه المخططات الصهيونية . . ولقد شهد المؤرخون المنصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تسامحت إلى

أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، ومكنتهم من أداء عباداتهم ، وإقامة شعائرهم ، وفتح المدارس ، وإقامة الجماعات إلى الحد الذى كان عاملا من عوامل تمكنهم من التآمر على الدولة وإسقاطها . . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة فى الحقيقة . . لأنه وقف أمام مطامعهم وأهوائهم ، ورد هرتزل عن محاولاته ومؤامراته بالرد الحاسم وسمع من ممثل اليهود أن ذلك سيكلفه عرشه أو حياته . . وقد كشف السلطان — عبد الحميد فى مذكراته دور الدونمة ورجال الاتحاد والترقى . وإذا كانت هناك محاولة للانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية ، واتهامها بالتقصير . . فإن هناك ما يؤكد كذب ذلك ، وما أورده جمال الدين فى حديثه إلى المخزومى باشا فى كتابه (خاطرات جمال الدين) يكشف عن مدى قدرة السلطان عبد الحميد على فهم تيارات الغربيين ، وقدرته على ضرب مخططاتهم ، وضرب بعضهم ببعض . . ولقد قام السلطان عبد الحميد بإعلان تلك الصيحة المفزعة التى عجلت به . . وهى قوله : (يا مسلمى العالم اتحدوا) وكان هدفه أن يجمع المسلمين ممن هم خارج الدولة العثمانية (العرب والترك) تحت لواء الخلافة ، والوحدة . . وفزع الغربيون واليهود من ذلك فزعاً شديداً . . فقد مضى إليه بخطى حاسمة ، وحقق نتائج هامة . . ولقد كان عقلاء المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن المحافظة على الدولة العثمانية إحدى العقائد الإسلامية بعد التوحيد والنبوة . . ومن ذلك محمد عبده ، وشكيب أرسلان ، ورشيد رضا . . وغيرهم . . وقد كانت الدعوة الحقيقية هى محاولة إصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتعديل تنظيمات الحكم دون إسقاط الدولة . . كان ذلك فهم أحرار العثمانيين والعرب جميعاً . . وقد كان هذا ممكناً . . لولا ذلك الدور الذى قامت به الماسونية واليهودية العالمية فى سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإحلال نفوذ الاتحاديين أعوانهم الذين تربوا فى محافلهم ، والذين سلموا لهم فى فلسطين ، وسلموا للإيطاليين فى طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يحطموها ويقضوا عليها . كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن كما يدعون علاقة استعمار . . فإن كلمة استعمار لا تطلق إلا على النظام الغربى الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لواء الإخوة

الإسلامية ، واستعانة البلاد المستضعفة بالدولة القوية . . والمصريون ، والجزائريون وغيرهم هم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها خوفاً من تجدد مؤامرات الحروب الصليبية . ولا شك أنه من أكبر أخطاء الباحثين هو إعادة نشر ما جاء فى الكتب المدرسية ، والدراسات التاريخية السابقة لظهور (بروتوكولات حكماء صهيون) عن السلطان عبد الحميد ، وتركيا العثمانية . . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعوانها من الموارنة . .
أما اليوم . . فإن الرؤية التاريخية المنصفة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف الباحثون عند الحملات الكاذبة المضللة وتجاهل الرؤية الصحيحة لإبعاد الواقع التاريخي . . لقد حملت كتب جرجي زيدان وأحمد أمين وغيره صورة مضللة زائفة للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية للاتحاديين الذين علقوا العرب على المشانق ، ومكنوا للصهيونية ، وحطموا الدولة العثمانية . . وهم الذين تربوا فى أحضان المحافل الماسونية . . وعلى الباحث المنصف أن يرجع إلى الإضافات الجديدة التى ظهرت بعد الخمسينات والتى تكشف فساد ما كتبه جرجي زيدان وفارس نمر وسليم سركيس . والجديد يجلو الحقيقة . .
فما كتبه جواد رفعت ، ومحمد جميل بيهم ، وعبد الله التل ، والعقاد ، وخليفة التونسى ، وعجاج نويهض ، وتوفيق برو . . فإن هذه الكتابات قد غيرت تلك الصورة الزائفة التى ما زال يعتمد عليها خصوم الإسلام .
والقضية أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف فى طريقهم نهائياً عملوا على تصفيته ، ومهدوا لذلك باتهامه بالاستبداد والفساد ، وأذاعوا ذلك فى صحف الموارنة فى مصر مثل المقطم والهلال والمقتطف وغيرها . ثم جاء أحمد أمين وأمثاله فنقلوا منهم . . لأن الحقائق لم تكن قد تكشفت بعد ، ولم تكن البروتوكولات قد ترجمت إلى العربية . . فلماذا هذا التزييف يحجب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلاء شأن مدحت وأتاتورك . . وهما من هما فى الخيانة والتبعية . إن أتاتورك فى الحقيقة لم يكن مجاهداً ، ولا مصلحاً . . وإنما كان تتمة الاتحاديين . . لقد أخروا دوره فى المرحلة الأولى قبل الحرب ليتولى الدور الثانى . . فالاتحاديون أسقطوا الدولة العثمانية بأن أدخلوها الحرب لتصفى ماليتها ووجودها .

وجاء أتاتورك ليفرض عليها اللون الغربي ، وينقلها نقلة واسعة من دولة الخلافة الإسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية ، ويقضى على الإسلام تماماً . . ومعاهدته السرية المعروفة التي عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك فى وضوح ، وقد استطاع أتاتورك إخفاء وجهه الحقيقى حتى يؤدى دوره كاملا . . فخدع المسلمين فى المرحلة الأولى بالصلاة وإمساك المصحف ، وطلب الدعاء منهم . . أما دوره فى الجهاد فى أزمير . . فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفاً ، وأن غيره هو الذى قام بدور البطولة ، وأنه استلب منهم هذا المجد وحطمهم ونسبه إلى نفسه . ولقد كان أتاتورك عميلا غربياً كاملا . وعميلا صهيونياً أصيلا . . وقد أدى دوره تماماً ، وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التى تركت آثارها من بعد على العالم الإسلامى كله ، والتى كشفت الأحداث فى الأخير فسادها ، وتبرأ الأتراك المسلمون من تبعيتها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصالة مرة أخرى . . وذلك دليل على أنها كانت تجربة زائفة مضادة للفطرة ولطبائع الأشياء . . والدليل أن المسلمين لم يتقبلوها . . بل رفضوها . . وقد كشف أكثر من مستشرق وفى مقدمتهم (هاملتون جب) أن العرب لن يقعوا فى براثن هذه التجربة التى خرجت بهم من الأصالة وعن الذاتية الإسلامية .

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال أتاتورك أنه عندما أحس بدنو اجله دعا السفير البريطانى ليتولى بدلا منه رئاسة الدولة التركية . . وكان ذلك من علامات الخسة والنذالة والخيانة ! !

وقد صفع المؤرخ العالمى أرنولد توينبى التجربة الكمالية التى يفخرون بها ويمجدونها الآن بعد أن رفضها أهلها وحكموا بفسادها . . يقول توينبى : إن الأتراك كانوا عالة على الحضارة الغربية وأنهم تغربوا ولم يقدموا أى شىء إلى هذه الحضارة . . فكانوا عاجزين عن الإبداع فى أى مجال من مجالات الإنتاج ».

والواقع أن مصطفى كمال أتاتورك لم يكن كما يدعى المدعون شيئاً جديداً . . ولكنه كان حلقة فى المؤامرة التى بدأها مدحت وكان وسطها رجال الاتحاد والترقى للقضاء على السلطان والدولة العثمانية . . ثم ختمها

أتاتورك بالقضاء على الخلافة الإسلامية ولا ريب أن انتقاص قدر الدولة العثمانية وحكامها مجاف لواقع التاريخ ، وهو من عمل أتباع التغريب ، والشعوبية ، وهو عمل ضمن مخطط يرمى إلى إثارة الخلافات والخصومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، ودعوة للوقيعة بين العرب والترك والفرس . . وهم عناصر الأمة الواحدة التى جمعها القرآن ، وقادها محمد صلى الله عليه وسلم وآمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك من خلافات فرعية . . فإنهم جميعاً أمة واحدة . . ولو كان هناك قليل من الإنصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا المصريين لراجع الكاتب ما كتبه استيورت وهو غربى فى كتابه (حاضر العالم الإسلامى قبل أربعين عاماً) وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ، ودورها الذى قامت به فى وجه الصليبية الغربية . أما صيحة العناصر والأجناس التى حاول كاتب أخبار اليوم أن يجعلها قضية . . فإنها لم تكن كذلك فى ذلك الوقت . . وإنما هى عقدة المؤامرة التى عمد النفوذ الأجنبى بها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية . . أما المسلمون فلم يكونوا يعرفون مصرية وسورية وجزائرية وغيرها . . ولا كلمة العروبة نفسها . . ولكنهم كانوا مسلمين فحسب . . وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الإقليميات والقوميات بتحريض عناصر غير مخلصة لتفكيك عرى الوحدة ، وهدم هذه الجامعة الإسلامية التى كان الغرب يخشاها ، ولإقامة قومية زائفة هى القومية الصهيونية .

والمعروف أن الأسلوب الذى اتخذ فى إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الإسلامى فى تاريخه كله . . وهو من صنع المؤامرة الصهيونية التلمودية التى استطاعت أن تحمى وتحرك هذا الخداع عن طريق قوة عسكرية تتحرك هاتفة باسم السلطان ثم تكون فى نفس الوقت متآمرة عليه لخدمة هدف غامض على كل الذين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل . . وهو إعادة اليهود إلى فلسطين . . كذلك فإن ما قام به أتاتورك لم يكن نصراً عسكرياً أو سياسياً وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربى ، وتوقيع ملحق معاهدة لوزان . . وهو الذى فتح الطريق إلى كل شىء ، وبه حلت جميع المشاكل ، وانسحبت كل الجيوش ، وتحقق ما يسمى النصر ،

والاستقلال . . وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب فى تمجيد البطل الذى لم يكن إلا عميلا من عملاء الخيانة لحساب الصهيونية العالمية ، والنفوذ الغربى ، والشيوعية أيضاً . . فإن الشيوعيين هم أول من عاونه لقاء موقفه من عداء الإسلام . ولا شك أن الضربة التى وجهها أتاتورك إلى الخلافة الإسلامية قد فتحت صفحة خطيرة فى تاريخ الإسلام الحديث ، وأن الذين فرحوا لذلك من كتاب يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدى النظر فى فهم الأمور ، وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حافلة بالحقد والكراهية للإسلام ، وأن الخلافة الإسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هى العنوان الحقيقى للجامعة الإسلامية وللتضامن الإسلامى ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الإسلامية . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وعندها ستنكس رؤوس الظالمين .

المعاهدة السرية التى عقدها أتاتورك والتى سميت شروط كرزن الأربعة :

ينص بروتوكول معاهدة لوزان المعقودة بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزن الأربعة على ما يلى :

أولا : قطع كل صلة بالإسلام .

ثانياً : إلغاء الخلافة الإسلامية .

ثالثاً : إخراج أنصار الإسلام من البلاد .

رابعاً : اتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام .

* * *

الفصل الخامس

كتاب الإسلام وأصول الحكم

ليس من تأليف على عبد الرازق بل من تأليف مرجليوث

كان السؤال عن دعوى على عبد الرازق فى كتابه (الإسلام وأصول الحكم) التى لا تزال قوى التغريب والغزو الثقافى والماركسيون والشعوبيون تجدد نشرها . . لخداع جماهير المسلمين عن حقيقة دينهم ، وإذاعة مفهوم الدين العبادى القائم على الروحيات والمساجد وإنكار حقيقة الإسلام . . بوصفه ديناً ومنهج حياة ، ونظام مجتمع . ويقوم الادعاء الخبيث الذى يثيره الاستشراق والشعوبية على أن فى الإسلام مذهبين . . أحدهما يقول : بأن الإسلام دين ودولة . . والآخر يقول : بأن الإسلام دين روحى . . ويضعون على عبد الرازق على رأس الفريق الذى يقول هذا القول . والواقع أن الإسلام ليس فيه غير رأى واحد . . هو الرأى الأول . . وأن ما ذهب إليه على عبد الرازق عام ١٩٢٥ م لم يكن من الإسلام فى شىء . . ولم يكن على عبد الرازق نفسه إماماً مجتهداً . . وإنما كان قاضياً شرعياً تلقفته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم (التجديد) ودعى على عبد الرازق إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التى تروّج للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام وهدم مقوماته . . وأهدى هذا الكتاب الذى وضع عليه اسمه مترجماً إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التى يستطيع اقتباسها من كتب الأدب . أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قرم من أقرام الاستشراق ، وداهية من رجال الصهيونية واليهودية العالمية . . هو (مرجليوث) الذى تقضى الصدف أن يكون صاحب الأصل الذى نقل عنه طه حسين بحثه عن (الشعر الجاهلى) والذى أطلق عليه محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث) ويمكن أن نطلق الآن اسم

(حاشية على عبد الرازق على بحث مرجليوث)، وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور ضياء الدين الريس فى بحثه القيم (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث) .

وهكذا نجد أن السموم المثارة فى أفق الفكر الإسلامى توضع أساساً من رجال التغريب . . ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتذيعها . . إيماناً بأن الاسم العربى أكثر تأثيراً ، وأبعد أثراً فى خداع الجماهير .

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلى) و (الإسلام وأصول الحكم) على أنهما دعامة النهضة فى الفكر الحديث . . ونحن نرى أنهما دعامة التغريب التى حاولت خداع جماهير المسلمين عن حقائق الإسلام العظيم .

ومع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطائه . . فإن قوى التغريب لا تزال تعيد نشره وطبعه ، مع مقدمات ضافية يكتبها كتاب مضللون شعوبيون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم . . وهم يجدون فى هذه الفترة التى يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية . والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث هذه السموم مرة أخرى . . ولن يجديهم ذلك نفعاً . . فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنتشر وتدحض باطل المضللين مهما تجمعوا له وقدموه فى صفحات براقة مزخرفة ، وأساليب خادعة كاذبة . إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ (محمد بخيت) الذى رد على الشيخ على عبد الرازق فى كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) وهو واحد من الكتب التى صدرت فى الرد عليه . . حيث قال :

(لأنه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع اسمه عليه فقط . . فهو منسوب إليه فقط . . ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار ، وألبسوه ثوب الخزى إلى يوم القيامة) :

قد علق الشيخ على عبد الرازق على هذا المعنى حين قال للماركسيين الذين اتصلوا به سنة ١٩٦٤ لإعادة طبع كتابه أن هذا الكتاب كان شؤماً عليه ، وقد ألصق به كثيراً من المتاعب والشبهات . . والحقيقة أنه بعد أن طرده

الأزهريون من (هيئة العلماء) ظل منسياً ومهجوراً وعاش بقية حياته منقطعاً عن الحياة العامة . . بالرغم من أن محاولات جرت لإعادته إلى زمرة العلماء ، وإلى مجمع اللغة . . فقد كان أشبه باللعنة على حياته كلها . ومن هذا الخيط الرفيع بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الريس فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة بأن كاتب الكتاب فى الحقيقة هو مستشرق إنجليزى يهودى الأصل شن الهجوم على الخلافة . . لأن بلاده (بريطانيا) كانت فى حرب مع تركيا . . وقد أعلن الخليفة العثمانى الجهاد الدينى ضدها . . والنصوص فى الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية . . فإنه يذكر بالاسم (السلطان محمد الخامس) الخليفة فى ذلك الوقت الذى كان يسكن (قصر يلدز) وهناك نص آخر عن (جماعة الاتحاد والترقى) وهى التى كانت تحكم تركيا . . أى دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى . . ونقول : أن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين ، وقد تربوا فى محافلهم واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم ، وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين . . وكان السلطان عبد الحميد قد رفض ذلك ، وكانوا هم . . أى الاتحاديون أداة الصهيونية العالمية فى إسقاط هذا السلطان الشهيد . .

ورجح الدكتور ضياء الدين الريس أن مرجليوث اليهودى الذى كان أستاذاً للغة العربية فى أكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب . . لأن آراء الكتاب هى آراؤه التى كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندها الدكتور ضياء الدين الريس فى كتابه (النظريات السياسية فى الإسلام) وأثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية . . وهو يكتب عن الإسلام بنزعة حقد شديد ، ويتسم أسلوبه بالمغالطات والمعلومات المضللة ، والقدرة على التمويه . . كما يتصف بالالتواء . . وهذه الصفات كلها تظهر فى هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ عبد الرازق . . ومعروف أن الشيخ على عبد الرازق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين . . فلا بد أنه كان متصلا بالمستر مرجليوث ، أو تتلمذ عليه . . وكذلك توماس أرنولد الذى يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة قد ألف كتاباً عن الخلافة هاجم فيه الخلافة بوجه عام ، والعثمانية بوجه خاص . . وقد نقدناه (القول للدكتور الريس) فى كتابنا (النظريات السياسية

الإسلامية) . والقصة تتلخص فى أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحروب دائرة بين الخليفة العثمانى وبريطانيا . . أعلن الخليفة الجهاد الدينى ضد بريطانيا ودعا المسلمين أن يهبوا ليحاربوها ، أو يقاوموها . . وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين الهنود بالذات أو ثورتهم عليها . . فى هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام ، ويشوه تاريخها ليهدم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين . . وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب فى الهند وفى غيرها . . وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه . . هذا إن لم يفرض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذى اتصل به حينما كان فى انجلترا أو فى بعض الجهات البريطانية التى كانت تعمل فى الخفاء للقضاء على فكرة الخلافة ، أو التى تحارب الإسلام . . فأخذ الكتاب إلى اللغة العربية ، أو أصلح لغته إن كان بالعربية ، وأضاف إليه بعض الأشعار أو الآيات القرآنية التى تبدو أنها لم تكن فى أصل الكتاب ، وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجه للناس على أنه كتاب من تأليفه . . ظناً منه أنه يكسبه شهرة ، ويظهره باحثاً علمياً ، ومتفلسفاً ذى نظريات جديدة . . غير مدرك ما فى آرائه أو فى ثناياه من خطورة . . ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعى هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله ، وإلغاء لوجوده . . وكانت هذه هى البدعة السائدة فى ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم (حزب الأحرار الدستوريين) . . وهذا هو الذى فهمه (أمين الرافعى) فكتب فى جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ على عبد الرازق على إصدار هذا الكتاب . . لما عرف عنه من الضعف فى تحصيل العلوم ، والإلحاد فى العقيدة . . ثم قال : هذا إلى أنه انغمر منذ سنين فى بيئة ليس لها من أسباب الظهور سوى الافتئات على الدين ، وتقمص أثواب الفلاسفة والملحدين ، وصار خليقاً باسم (الأستاذ المحقق) والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ الرافعى أن المؤلف الحقيقى ربما كان غير الشيخ عبد الرازق . . ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك . . وهناك قرائن أخرى :

أولا : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة عام ١٩٢٤ . . بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ . . وأنها ذكرت اسم السلطان محمد الخامس . . وقيل فى الهامش أنه كتب فى عهده . . وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه . . فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول عندنا . . أو العرب . . أو نحو ذلك . . كما يقول المسلم عادة .

ثالثاً : يكرر الشيخ عبد الرازق عبارة : عيسى وقيصر (مرتين.. ويكرر هذه الجملة التى يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن أى مسلم صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير . . وأن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام . وشنوا الحرب على المسلمين . . فيدافع عنهم . . فى نفس الوقت الذى يحمل على رأى أبي بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فينكر خلافته . . ويقول أن محاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين . . ولكن نزاعاً فى ملوكية ملك ولأنهم (رفضوا أن ينضموا لوحدة أبى بكر) وما هى وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والإسلام . . أليست هى وحدة المسلمين . . ويقول (حكومة أبى بكر) أو ليست هى حكومة الإسلام والمسلمين . . ويتكلم عن أبى بكر هكذا بغير احترام أو تبجيل . . كأنه رجل عادى . . أو كما يتكلم عدو .

هل هذا هو أسلوب المسلم . . فضلا عن الشيخ . . فى الكلام عن الصحابة . . وعن أفضل الناس وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير من دافعوا عن الإسلام ، وجاهدوا فى سبيل الله عز وجل .

خامساً : أن الأسلوب الذى كتب به الكتاب أسلوب غريب . . ليس مألوفاً فى الكتب العربية . . فهو أسلوب مناورات ومراوغة ، ويتصف بالالتواء واللف والدوران . . فهو يوجه الطعنة أو يلقى بالشبهة . . ثم يعود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويفلت منها . . ثم ينتقل ليقذف بشبهة

أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب) . وحين يهاجم يصوغ عباراته في غموض . . وهذا يدل على أسلوب رجل سياسي متمرن في المحاورة والمخادعة . . وهو أشبه بالأسلوب الأفرنجي ، وأسلوب الدعايات السياسية ، أو الدينية التبشيرية . . وليس هو أبداً الأسلوب العربي الصريح . فضلا عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين في الأزهر . . وهذا مما يغلب الرأى بأنه كتاب مترجم .

سادساً : لم يعرف عن الشيخ على عبد الرازق — من قبل — أنه كان كاتباً تمرس في الكتابة ، ومرن على التأليف . . فيكتب بهذا الأسلوب ، ويتعمد الطعن في الإسلام وتاريخه وعظماء رجاله .

ولم يعرف للشيخ كتاب أو مقالات قبل هذا الكتاب (أى في السياسة والتاريخ) بل كل ما كتب من قبل كان (كتيباً) في اللغة أو في علم البيان وهذا كل إنتاجه في أربعة عشر عاماً بعد تخرجه من الأزهر . ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاماً لم يكتب كتاباً آخر في نفس موضوعه أو مثله ، ولم يحاول أو لم يستطع حتى أن يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعاً : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى أن يرجح صحة الخبر الذى رواه فضيلة المفتى الشيخ محمد بخيت نقلا عن كثيرين من أصحاب الشيخ على عبد الرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير المسلمين . . وقد غلبنا نحن أنه أحد المستشرقين . . ولكننا نقيد هذا الخبر بأن الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذى أورد الآيات من القرآن . . الظاهر أنها محشورة . . مجموعات في مكان واحد ، وأبيات الشعر التى استشهد بها . . كما كتب المقدمة التى زعم فيها أنه بدأ البحث في تاريخ القضاء منذ سنة ١٩١٥ . . وذلك ليغطى المفارقة الظاهرية بين وضع الكتاب ووقت صدوره . . فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

ثامناً : كانت هناك أسباب ودوافع مختلفة دفعت الشيخ إلى إصدار هذا الكتاب . . ولكن كان أقواها في نهاية الأمر حب الظهور والرغبة

فى الشهرة ، وأن يوصف بأنه باحث أو محقق أو مجدد . . كما فعل غيره من قبل . . ونحن نعرف أن مسألة انتحال الكتب أو عدم الأمانة فى نسبة الأمور والمعلقات مسألة مألوفة فى الشرق . ولا سيما فى النقل من الكتب الأجنبية .

وفى مثل هذه المسائل بالذات . . فإن هذه الحالة أسهل . . لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول . . أو كانت المسألة بتصريح أو اتفاق لخدمة غرضين فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية والطرف الثانى له مأرب سياسى أيضاً . . ولكن الدافع الذاتى أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الغرور » ا.هـ.

من تقرير هيئة كبار العلماء فى كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

والخلاصة أنه إذا رجعنا إلى هدف الكتاب الحقيقى وجدناه يتمثل فى الحقائق التالية كما فصلها تقرير هيئة كبار العلماء .

أولا : جعل المؤلف الشريعة الإسلامية روحية محضة . . لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا مع أن الدين الإسلامى على ما جاء به النبى (صلى الله عليه وسلم) من عقائد وعبادات ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة ، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة فى أمور الدنيا ، وأحكام كثيرة فى أمور الآخرة .

ثانياً : زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبى (صلى الله عليه وسلم) كان فى سبيل الملك . . لا فى سبيل الدين ، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثالثاً : زعم أن نظام الحكم فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) كان موضع غموض وإبهام ، أو اضطراب أو نقص ، وموجباً للحيرة .

رابعاً : زعم أن مهمة النبى (صلى الله عليه وسلم) كان بلاغاً للشريعة . . مجرداً من الحكم والتنفيذ .

خامساً : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام ، وعلى أنه لا بد لسلامة من يقوم بأمرها فى الدين والدنيا .

سادساً : أنكر أن القضاء وظيفة شرعية . . وقال : إن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً من الخلافة .

سابعاً : زعم أن حكومة أبى بكر والخلفاء الراشدين من بعده (رضى الله تعالى عنهم) كانت لا دينية . . وهذه جرأة لا دينية . .

وهكذا تنكشف تلك المؤامرة الخطيرة التى استغلها الاستشراق وبعض التغريبيين خصوم الشريعة الإسلامية للقول بأن هناك رأيين . . بينما لا يوجد غير مفهوم واحد . . هو أن الإسلام دين ومنهج حياة ونظام مجتمع . . وأن ما قال به على عبد الرازق هو وجهة نظر الاستشراق الصهيونى التلمودى الهدام . . وأنه ليس رأى أى مجتهد أو عالم أو إمام فى الإسلام . . وأن على عبد الرازق لم يكن إلا مضللا أو مخدوعاً .

* * *

الفصل السادس

الذاتية الإسلامية ومعركة المحافظة عليها

كان السؤال المثار عن كمائن الإعلام التغريبي والماركسي والصهيوني المطروحة في أفق المجتمع الإسلامي عن طريق الفن والمسرح ، والأكاذيب التي تثيرها دوائر خارجية كثيرة عن الانفجار السكاني ، ومؤتمر الشمال والجنوب وتحديد النسل وتزويرات التاريخ والسياسة فيما يتعلق بالإقليميات والقوميات بقصد إخضاع المسلمين لمفاهيم مفروضة وافدة تهدف لها رأسمالية صهيونية ، تقوم على مخطط تنفيذ إمبراطورية الربا العالمية التي لا تجد أمامها وسيلة لتحقيق هدفها إلا إغراق المجتمع الإسلامي في أوحال (الفن) بمفهومه الزائف والهابط على النحو الذي نراه هادماً لكل مقومات الأخلاق في الأمة ، والمحطم للقوى الحية القادرة على حمل لواء المقاومة في مواجهة أخطار الغزو العالمي الذي يهدف إلى احتواء عالم الإسلام : أهله وعقائده وخيراته وثمراته جميعاً وتقديمها هدية سائغة لعصبة الألف مليونير عالمي يهودي المسيطرين على الاقتصاد العالمي ، والذين يحولون بكل قواهم دون امتلاك المسلمين إرادتهم وقدرتهم ، وإقامة مجتمعهم الرباني واقتصادهم الإسلامي ومن ذلك فإن أكبر عملية تمويه قامت بها الحضارة الغربية هي محاولة تصوير الإضحاك والرقص وفنون العري والكشف والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما على أنها (فن رفيع) أو (فن مقدس) كما تجري على بعض ألسنة دهاقنة هذا الاتجاه من عصبة المجان القديمة . . والقول بأن هذا (الفن) له أصوله العلمية ، وضوابطه الدقيقة التي يتخرج فيها المخرجون والممثلون من جامعات متخصصة ، والتي يتقدم فيها البعض بأطروحات دكتوراه . . فهناك مع الأسف الشديد في بلادنا الآن دكتوراه في الرقص الإيقاعي ودكتوراه في المسرح الإباحي ودكتوراه في الديكور الفاضح والإخراج المكشوف . . كأنما هذا الفساد

والتهريج البالغ حده من الأقذاع لا بد أن يرتفع ويرتفع حتى يصبح فناً عالمياً وعلماً رفيعاً على أيدى دعاته من الماسونيين والصهيونيين والإباحيين فيما وراء البحر الذين يتلقفون أبناءنا ويصهرونهم فى هذه البوتقة . . وقد خالت هذه الأباطيل المضللة على قومنا فصدقوها ، وكان عليهم أن يكونوا أكثر حنكة وحكمة . فلا يسقطوا هذه السقطة الشنيعة ، وأن يعلموا أن هذا لون من الخداع والتمويه البالغين حد الفساد والإفساد . . أما الذين يعلمون ذلك ولا يعلنونه للناس فإن عليهم غضب من ربهم وحساب عسير ! !

وأنت إذا قرأت الصحافة العربية من أقصى العالم العربى إلى أقصاه تحس أن هناك كتاباً يخضعون لمخططات الماسونية وبروتوكولات صهيون ، وينفذون بدقة هذا الهدف المرتكز على الفن ، وتحس كأن المسلمين والعرب قد استسلموا للغزو الغربى ، وأنهم ينصهرون فى العالمية والأممية ، وأنهم يتنازلون عن ذاتيتهم الخاصة التى صاغها الإسلام والتوحيد والأخلاق رويداً رويداً ، وأنهم مقبلون على انصهار كامل فى بوتقة التغريب .

وأن تلك القوى التى فرضت تلك التحولات فى مجتمعات تركيا وإيران ، والتى فشلت فى تغريب هذه البلاد الإسلامية ، ما تزال تجدد محاولاتها بلا يأس فى العالم العربى ، وتحس أن سموم المسرح والرقص والغناء ومفاهيم مضللة حول الفلكلور والدراما وغيرها من الشعارات الزائفة والمسمومة الوافدة تزحف وتسيطر كأنها حقائق ، وتقدم للناس كأنها علوم .

وأخطر من هذا أن المفاهيم المسمومة الخطيرة تقدم الآن للمسلمين على أنها نقد ومعارضة لواقع موجود بينما هى تطرح مفاهيمها لتدخل النفوس من باب خفى ! !

والسؤال هو : هل يمكن أن يستخدم كل هذا النتاج الحضارى فى معارضة منهج الله تبارك وتعالى وفى معصيته . . هذا النتاج الذى يتمثل فى هذه الأبراج الصناعية من التليفزيون والسينما والإذاعات . . وهذه الأجهزة المستحدثة التى تدار بالعقل الالكترونى وكل الأساليب .

إن من يقرأ ما أوردته بروتوكولات صهيون لا يستغرب ما يجرى تنفيذه من مخطط مسموم :

(سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب لملء الفراغ . . وسندعو الناس للدخول فى مجالات شتى فى كل أنواع المشروعات . . كالفن والرياضة ومباريات ملكات الجمال وغيرها . . وسننشر بين الشعوب أدباً مريضاً قذراً تشمئز منه النفوس . . ويساعد على هدم الأسرة ، وتدمير جميع مقومات الأخلاق للمجتمعات المعادية لنا . . وسنستمر فى الترويج لهذا الأدب وتشجيعه حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمنا) .

وشر هذا كله هو جهاز التليفزيون الذى استطاع خلال تواجده فى كل بيت أن ينفث سمومه فى الملتفين حوله ، وأخطر من هذا أجهزة الفديو وما تقدم من أفلام سرية صارخة تفسد أخلاق الشباب الغض والفتيات العفيفات حين تقدم لهم — ليس الخيانة الزوجية المدعاة فى الأفلام — ولكن العملية الجنسية نفسها . وبالرغم من أن الفطرة الإسلامية الصافية ترفض هذا الزيف الذى يقوم باسم فن المسرح أو السينما . . فإن هناك محاولات يائسة لربط هذين الفنين بالوجدان العربى الذى لا يرى فى هذا كله إلا أنه وسيلة للتسلية والإضحاك . . ولكنه يغفل عن الآثار التى يتركها فى أعماق النفس . . وفى الحوار ، وفى التصرف اللا إرادى . . ذلك أن ما يقدم ليس هو أصيل ، ولا موجه وجهة الخير ، أو الارتفاع بالناس عن مستوى الإقذاع والطفولة البشرية ، ولا يشكل واقعاً حقيقياً . . فالحوار هابط فاسد وبعيد عن المستوى الأخلاقى ، ولا يقدم إلا الأفلام المثيرة ، والمسلسلات الهابطة التى يراد بها إعطاء الجماهير شحنة أكبر من الإثارة ، وتشويه التراث والتاريخ ، والمبالغة فى إضحاك القارئ ، أو المبالغة فى تصوير المأساة . . وهى فى نفس الوقت تقدم وجهة نظر العدو تقديماً واسعاً يعلى من شأن قيمه ويظهره فى مظهر القوة . . بينما يظهر العرب والمسلمين فى موقف المتردى ! !

ولقد استطاعت الصهيونية العالمية التى أحكمت قبضتها على الفنون العالمية لتحقيق أهدافها أن تقدم إلى الصف الأول (بكت ويونسكو) فى فلسفة جديدة للفن ترى أن كل شىء مضحك مزر ، وأن هناك إحساساً باليأس لكون العالم سريع الزوال ، وأنه ليس هناك شىء مهم . . وشىء واحد فقط هو الذى يظل ماثلا فى الوعى بكل حده : التمزق المستمر ، والغربة والعبث :

ولسنا نحن فى عالمنا العربى الإسلامى فى حاجة إلى هذه الفنون المدمرة . . بل نحن فى حاجة إلى فنون ترقى الذوق ، وترفع من قدر الدعوة إلى العمل والوحدة والكرامة والعفاف ، والأمل الكريم فى إطار العقيدة .

أما الدعوة إلى تفاهم الكون والوجود الإنسانى على النحو الذى تطرحه كتابات المسرحيين الجدد ، وهذه الصور القائمة البائسة ،وذلك الصراع والاستخذاء المهين . . فهى ليست صورة مجتمعنا الإسلامى الأصيل . . ولكنها من عوامل تدميره وتمزيقه وإفساده .

وإذا كان المفهوم المسرحى والفنى فى الغرب يرمى إلى القول : بأن الإنسان لا حرية له ، وأن مصيره مصنوع سلفاً ، وأن صراعه مع القوى التى لا يراها من أجل أن يحصل على الحرية تبوء دائماً بالفشل . . فليس هذا مفهوم الإسلام . . فنحن نؤمن بتلاقى قدرة الله تبارك وتعالى وإرادة الإنسان فى انسجام وتوافق من أجل أن تكون خطوات الإنسان أكثر ثباتاً ، ونظراته أشد سداداً ، وأن الله تبارك وتعالى لا يدع الإنسان فى يأسه . . ولكنه يمد إليه يده فى الساعات الحالكة ليرفعه إلى آفاق الأمل ، ويبصره بالطريق الذى يجب أن يسلكه ، وإن مع العسر يسراً ، وأن هناك الفرج بعد الشدة .

هذه هى مفاهيمنا ، وعلينا أن لا تنسينا هذه الموجة العاصفة إياها لحظة واحدة ، وأن نقف من هذه الفنون : تمثيلا . . ورقصاً . . وغناء . . موقفاً واضحاً فى أسرنا وبيوتنا ، وأن لا نندفع وراءها فتفسد فطرتنا وتذهب أصالتنا .

إن المعركة اليوم بين المسلمين والقوى التى تتكاتف لاحتوائهم هى معركة تأكيد الذات أو المحافظة على الذات أو حماية الذات : (الذات الإسلامية) التى كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرناً من الانهيار والتدهور والجمود والمداخلة ، من الانصهار فى الفكر البشرى الأممى .

إن المحافظة على الذات الإسلامية اليوم فريضة من فرائض العقيدة . . بعد أن تبين أن الهدف الحقيقى وراء المؤامرة التى تقودها القوى العالمية هى (تذويب المسلمين) فى الكيان الأممى والعالمى عن طريق ثلاث عبارات

خدعت الكثيرين ، وأصبحت تجرى على ألسنتهم فى سهولة ويسر . . دون تقدير للأبعاد الخطيرة التى ترمى إليها .. وهى : الانفتاح الثقافى – التلقيح الثقافى – إثراء الفكر . . وكل كلمة من هذه الكلمات إنما ترمى إلى قبول أوشاب الفكر البشرى الذى عرفته البشرية فى عصر طفولتها ، والذى تعيد التلمودية صياغته من جديد ، وإدخاله فى المجتمعات الإسلامية لهدمها وتدميرها .

وليست هذه التعليمات إلا الأساطير والوثنيات ، وعلم الأصنام اليونانى القديم . . أما العلوم والتكنولوجيا التى نحن فى حاجة إلى نقلها من الغرب . . فهى محجوبة عنا ، ولا تدخل فى هذه الدائرة مطلقاً ، إنهم يتطلعون إلى تغيير الهوية الإسلامية باقتناص فرائس من أبنائنا تحت اسم التبادل الثقافى والمنح الدراسية . . لصهر هذه الأجيال فى بوتقة الفكر الأممى تحت اسم الحضارة العالمية ، والثقافة الحديثة دون أن يتبين هذا الشباب الغض الذى تنقصه خلفية إسلامية واعية ، عالمه برسالة الإسلام الحقيقية ، ومحاذير الأخطار التى يتعرض لها المسلمون .. دون أن يتبين هذا الشباب تلك الأخطار ، يغريه بها بريق زائف ، وهوى متبع ، وشهوات ومطامع .

وما تزال قضية المرأة هى أكبر قضايا التغريب التى تركز عليها محاولات ضرب الأمة الإسلامية فى صميم عزتها وشرفها ، وعرضها وكرامتها . . وذلك بالتضحية بالأسرة المسلمة والأطفال وهناء البيت ، من أجل دفع المرأة إلى آفاق مضللة تحت اسم (حرية المرأة) . إن التجربة معروضة اليوم أمام المفكرين للنظر فيها على نحو منصف . . هل يستحق هذا الفتات تضييع أجيال الشباب والفتيات جيلا بعد جيل من أجل استمرار المرأة فى غواية العمل فى سبيل قروش قليلة يدعى أنها تساعد الرجل فى مصروف البيت ؟ ! وأين هو الرجل ذو الكرامة الذى يقبل أن تقدم له زوجته ما يعينه على أداء مسئوليته ؟ ! إن أغلب هذا المال ينفق فى زينة المرأة ومصاريف انتقالها ، وفى تفاهات الترف المنزلى التى لا تقدم ولا تؤخر . . وما تزال قضية المرأة وإغرائها وإخراجها من بيتها إلى المحافل والمراقص ، من الأعمال التى تركز عليها المؤامرة : مؤامرة الفن والإضحاك والتسلية . . لتكمل الحلقة

فى تدمير الأسرة وإنتاج ذلك الجيل الذى ترعاه الخادمات والحاضنات ، والذى ينشأ قاسياً . . لأن رحمة الأمهات لم تدركه . . ويعيش حياة مضطربة فى قابل أيامه نتيجة ما يحمله صدره من الحقد والخوف والجفاف .

إن الخطر كله يكمن وراء محاولة تغيير هوية المسلمين عن طريق أجهزة ضخمة تصب السموم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

• • •

الفصل السابع

مصر عربيــــة إسلاميــــة
محاولات للقضاء على الانتماء العربى الإسلامى

كانت التساؤلات كلها تدور حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أثاره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بالتاريخ العربى والإسلامى ، وبالدولة العثمانية والغرب ، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غارقة فى الوثنية أو منحازة إلى الغرب . وتتجاهل هذه الدراسات أن الإسلام هو الذى صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن التاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح . . سواء منهم الغربيون أم العرب ، أنه قد حدث انقطاع حضارى جب كل ما كان قبل دخول مصر فى الإسلام ، وأن تاريخاً ضخماً طويلا استمر أكثر من ألف سنة من تاريخ اليونان والرومان فى هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى إفريقيا كل هذا التاريخ بتراثه ولغاته ومفاهيمه وقيمه قد أصبح فى خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنقت المنطقة كلها الإسلام . . اعتنقه المسلمون ديناً واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات . وقد أشار كرومر إلى هذا المعنى حين قال : إن المسلمين والمسيحيين يصدرون عن أساس أخلاقى واجتماعى واحد مع طول التأثر .

ولكن إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحة ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية منعزلة لم يصنعها القرآن أو الثقافة الإسلامية أو الفكر الإسلامى أو اللغة العربية ، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لغاتها القديمة بعد قرنين من دخول الإسلام إليها ، كذلك فقد كان الإسلام ولا يزال روح المجتمعات وشارة الحضارة ووقود الحركات الوطنية والتحررية ، ولقد كانت الدعوات إلى الإقليمية والقوميات واحدة الفكرة والمنهج .

ولذلك سرعان ما عجزت عن تحقيق أشواق النفس العربية الإسلامية ، وستظل هذه الظاهرة الإسلامية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصناً حصيناً للشخصية المصرية ما عاشت . . لأنها عميقة الجذور من ناحية ولأنها منصهرة فيها انصهاراً عضوياً يعجز خصوم الإسلام عن القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفرعونى الوثنى الذى سار عليه فى كل كتاباته وعرف به ومن ثم فقد أصبح فى تقدير الباحثين غير منصف ولا راغب فى معرفة الحقيقة الخالصة لوجه الحق وحده .

ولقد جاءت تساؤلات عن محاولة توفيق الحكيم فى تحييد مصر عن البلاد العربية وعزلها ، والدعوة إلى جعلها فندقاً عالمياً سياحياً يقدم للوافدين من كل مكان المتعة والترفيه ، وكان فى ذلك مشاركاً للدكتور لويس عوض فى تحطيم دور مصر العالمى الذى عاشت تقوم به فى مواجهة التيارات الغازية والغزوات الطامعة التى واجهت عالم الإسلام ، وكان لها دورها الخطير فى رد هذه الغزوات وحماية عالم الإسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث فى الأعصار التترى وفى الحروب الصليبية وفى الاستعمار الغربى الحديث ، وسوف يكون لها دورها الخطير فى دفع الغزوة الصهيونية ووقاية المسلمين والعرب منها . .

ولا ريب أن دعوة توفيق الحكيم تصدر عن مفهوم بعيد أشد البعد عن الانتماء العربى الإسلامى . . . ولقد كان توفيق الحكيم طوال حياته يفخر بذلك معلياً شأن العنصرية فى حديثه عن مصر ، كارهاً لطابع مصر العربى الإسلامى . . وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية على الإسلام حتى قال قولته المشهورة : (إذا كان الإسلام يقف حجر عثرة أمام مصريتنا وفرعونيتنا لنبذناه) ، بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين يرى أن رأى توفيق الحكيم فى العرب أشد تحاملا وتعصباً من رأى كثير من متعصبة المستشرقين أمثال رينان ودوزى . . ولعل التقارب فى هذا الرأى بين توفيق الحكيم ولويس عوض يرجع إلى مصادر الثقافة الغربية الواحدة التى تأثر بها كلاهما فى فترة كانت البعثات الأجنبية سواء إلى فرنسا أو إلى إنجلترا تستهدف محق مقومات هذه الأمة وإلقائها فى أتون الإقليمية . .
فهى كراهية مشتركة للعروبة والإسلام ، وهى ممتدة إلى اللغة العربية وإلى

القرآن وهى مبثوثة فى الأعماق لا تظهر على السطح ولكنها تبدو فى التصرفات وفى تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم قد لخص تفسير القرطبى وظن بعض الذين يأخذون بظواهر الأمور أنه فى الطريق للتعرف إلى الإسلام إلا أنه لم يلبث أن كشف عن تلك المحاولة المسمومة التى ترددها طائفة معروفة الآن باسم طائفة الخادعين للمسلمين بالحديث عن الشريعة الإسلامية وذلك حين ردد ما كان يقوله منذ سنوات عن تطوير الشريعة الإسلامية وهى دعوى يحمل لواءها من وقت بعيد محمد النويهى وعبد الحميد متولى ومحمد أحمد خلف الله وآخرون بهدف تذليل الشريعة لتبرير أوضاع المجتمعات الحديثة وفى مقدمتها الربا وعلاقات المرأة والرجل خارج نطاق الزواج ، واحتواء الشريعة الإسلامية ونصوصها فى داخل القانون الوضعى على النحو المسموم الذى دعا إليه عبد الرزاق السنهورى منذ سنوات وهى دعوى ممتدة يغذيها النفوذ الأجنبي ليحول بها دون تطبيق المجتمعات الإسلامية للشريعة الإسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالفرعيات ويعتمدون فى ذلك على نص للشيخ محمد عبده والشيخ محمد عبده الذى يعتمد عليه الماركسيون وأعداء الشريعة لا يمثل الإمام المجتهد ولا المتخصص فى هذا الأمر ، وإنما هى اجتهادات كان لها وضعها وظروفها فى وقت كانت الشريعة الإسلامية تضرب بالسياط على أيدى كرومر فى مصر وليوتى فى المغرب وهى لا تمثل اجتهاداً يمكن الأخذ به ، كذلك الخطأ الذى وقع فيه على عبد الرازق حين أراد أن يصف الإسلام بأنه دين روحانى ويلغى نظامه الاجتماعى إلغاء تاماً وتلقف بعض المستشرقين هذه النصوص الزائفة التى لم يعتمد بها على كتاب أو سنة لضرب الإسلام .. كذلك هناك ما يثار من شبهة الثبات والتغير ومحاولة وضع العقيدة فى مكان الثبات والشريعة فى مكان المتغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه . . وإن الشريعة الإسلامية إنما جاءت خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم النمر شبهة توفيق الحكيم هذه التى ما زال يرددها منذ سنوات حين قال له : كان الحكيم يريد أن يجعل كل ما شرعه الله لتنظيم حياة الإنسان خاضعاً للتغيير بتغير المجتمع ورأيه ، ومن هنا تهب ريح الخطأ فى التفكير ، بل والخطر أيضاً على شريعة الله إذ معنى ذلك ومؤداه لو قبلناه أن لنا أن نبيح الزنا والخمر والرقص متى قبل المجتمع ذلك ونتحلل من عقوبات السرقة والحرابة والزنا ومن كل شىء حرمه الله ورسوله لو قبل المجتمع ذلك ! ! وهذا اتجاه خطير يهدم الشريعة ويزلزل كيانها لأنه يجعلها كلها تابعة وخاضعة لهوى الناس وما يتجهون إليه فى حياتهم فى أى مكان وفى أى عصر والله تبارك وتعالى يقول لرسوله : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

ونقول إن الجماعة ينتدبون أحدهم فترة بعد فترة ليثير القضية ثم ينظرون ثمة ليعود آخر إلى إثارتها وكل همهم أن يخرج المجتمع الإسلامى العربى والمصرى من شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والتساهل فى أمر العرض واستعراض المرأة لمفاتن جسدها ومراقصة الأجانب . . وهكذا . .

الحقيقة أن قضية المرأة تأتى فى المقام الأول من عملية تحطيم المجتمع ، وهى تهدف إلى تدمير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كثيرة منها القصة والمسرحية والأغنية والصورة العارية وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون التيارات التى تهدم المجتمع ممثلة فى بعض الروايات الجنسية والكرة والرقص .

وتجرى الصحف لاهثة وراء تفاهات يسمونها نصراً للمرأة ، سواء فى مجال الرقص أو الغناء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تستهدف إخراج المرأة من مكانها الحق ووضعها الصحيح . . وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها بالروتارى والليونز ومخططات الهدم والتدمير . .

* * *

الفصل الثامن

إستعلاء موجه الجنس
فى الإسلام والمسلسلات والمسرحيات

تجدد الحديث عن الأخطار التى تواجه المجتمع نتيجة استعلاء موجة الجنس فى الأفلام والمسلسلات والمسرحيات ، وأمامنا وثائق تشهد بالأخطار المحدقة بالقيم والأخلاق والمتصلة بشبابنا وفتياتنا ومدى أثر ذلك على بناء الأسرة المصرية :

أولا : يقول الدكتور جمال الدين موسى (علوم عين شمس) :

تابعت حلقات مسلسل (العيب) للطبيب (يوسف إدريس) على الشاشة الصغيرة وكان شعورى هو التقزز من هذه القصة الهابطة التى تتجنى على مصر والمصريين ، وتلصق كل أنواع الرذائل بالإنسان المصرى . . امرأة كانت أو رجلا . . ولست أدرى . . كيف يسمح التليفزيون المصرى بأن تعرض مثل هذه المسلسلات على شاشته ، وأن تدخل إلى بيت كل مصرى ويراها الصغار والكبار . . وهى بمثابة سب علنى ، وقذف لا أخلاقى ، وإساءة بشعة لمصر وشعب مصر . . فالتليفزيون يجب أن يحترم مشاعر الناس ، ويجب أن ينتقى مما يقدم إليه الجيد الأصيل الراقى من الإنتاج . . لا أن يسمح بهذا النوع من المسلسلات التى تتهجم على مصر بصورة يصعق لها من يدفع الأجر بالدولار والاسترلينى . . هل هذه هى صورة مصلحة . . مصلحة كاملة خاضعة لنفوذ رجل داعر . . وأغلب موظفيها مرتشون . . بدءاً من المدير حتى الموظف الصغير . . شابات فى مقتبل العمر وشبان فى مقتبل العمر الحياة يبيعون أنفسهم للشيطان هكذا يشوه بهذه الطريقة البشعة الوجه الصبوح لمصر . . نقبل نقد المستوى للمجتمع المصرى . . ولكن لا نقبل على الإطلاق المسخ

الكامل لوجه مصر . . إن محور الأفلام علاقة غرامية ، أو مشكلة اجتماعية . . وعلى صعيد هذين المحورين يعمل المخرج على إضافة مجموعة من المشهيات . . وهى ليست إلا مشاهد جنسية رخيصة مبتذلة . . وحشد الفيلم بعشرات الشخصيات الهابطة التى تظلم نفسها بالعمل فى هذه الأفلام الهابطة .

ثانياً : فيلم (الباطنية) وقد كشف عن خطورته الأستاذ إبراهيم سعده ، وتحدث عن مدى الحرج فى رفع الفيلم أو إلغائه أو وقف عرضه . . وقال :

إن الزقزوقى (إدارة الرقابة على الأفلام) دافع عن الفيلم دفاع الأبطال : دافع عن الشذوذ والبذاءة وعن الحوار الذى وصفه بأنه لا يخدش الحياء وعن اللقطات التى ظهرت فيها بطلة الفيلم بملابس غير لائقة ، واتهم الجميع بالتأخر . . وقال إن الأمور اختلفت الآن . . فمنذ ثلاثين سنة لو أن فخذ امرأة ظهر على الشاشة لضج الجمهور . . أما الآن فإن ظهور الفتيات عاريات أو شبه عاريات لا يثير أدنى تعليق . . وطالب بزيادة جرعة الإباحية فى أفلامنا الهابطة . . تمشياً مع المجتمع . .

أما صلاح عبد الصبور وكيل وزارة الثقافة لشئون الهيئة العامة للكتاب فقد قال عن فيلم الباطنية : أن هذا الفيلم لا يزيد ولا يقل سوءاً عن سواه من الأفلام المصرية التى تتخذ مجالا لها عالم الجريمة والمخدرات وقد ازدحمت الشاشة فى السنوات الأخيرة بهذه الأفلام وأصبحت أنماط تجار المخدرات والعوالم أنماطاً شائعة وفى هذا المجال نقف حائرين إذ أن وقف فيلم كالباطنية يلزمنا أن نراجع أنفسنا وأن نتصدى للتيار كله . . ويقول ابراهيم سعده : الذى رأيته فى فيلم الباطنية شىء لا يصدقه العقل . . إنه أشبه بأفلام الشذوذ التى تباع فى الظلام ، وتعرضها المواخير ، ويقبل عليها الذين يبحثون عن كل جديد ومثير بعد أن ضاع شبابهم وأفقدهم الإدمان صوابهم . . أحداث غريبة لمجتمع لا نعرفه . . وإن كان بيننا فإننا لا نريده . . كل ما يتصوره من شذوذ ومرض . . بالصورة والكلمة والرقصة والإشارة تجده فى هذا الفيلم الذى أجازته الرقابة ، وسمحت بعرضه ، وأغرق منتجه الصحف وشاشة التليفزيون بالإعلانات عنه . . أن الهدف الوحيد لإنتاج فيلم (الباطنية) هو جمع المال ، وملء جيب المنتج . . وليس هناك أى هدف آخر . . اللهم لا الإساءة إلى مصر . . لم أصدق أن فى مصر رقابة على الأفلام . . ولم أصدق أن فى مصر

من يحافظ على الآداب العامة . . ولم أصدق أن فى مصر من يهمه أن يعلم النشء القيم والتقاليد والعيب . . (أخبار اليوم ١٧ / ٩ / ١٩٨٠) .

ثالثاً : هذا ما ذكرته السيدة اعتدال ممتاز (مديرة الرقابة على الفنون) فى مذكراتها التى نشرت جانباً منها فى مجلة المصور . . قالت :

إن قصة قصر الشوق (نجيب محفوظ) التى تحولت إلى فيلم (حلمى رفلة) واجهت الملاحظات الآتية من الرقابة :

أولا : الفيلم فى عمومياته دعوة إلى الفسق والفجور والزنا وهدم الأسرة وإظهار المجتمع المصرى وكأنه لا يشغله إلا العشق والفجور وأنه كله فساد ، فالأب وجيله جيل فاسد ، والابن أى الجيل الذى يليه فاسق أيضاً ويهلل ويكبر عندما انحرف الأخ الأصغر أى أن الجيل الثالث أيضاً فاسق .

ثانياً : الفيلم دعوة قائمة إلى هدم كل القيم الروحية ممثلة فى شخص الابن الأصغر عندما تحطمت صورة الأب الطيب فى ذهنه ، وكذلك تحطم حبه . . وأخيراً صورة الزعيم المثالى للوطن فى خياله سعد زغلول عندما هاجمه زميله ثم هون الأخ الأكبر من شأنه بعد موته .

ثالثاً : الفيلم يحمل فى طياته دعاية مسيئة إلى الإسلام . . فقد حرف فما نسبه الآيات القرآنية فقال «**إذا بليتم فاستتروا** » وإذا استترتم فابتلوا . . وقال أيضاً إن الخمر مفتاح الفرج . . ثم جعل من الصلاة فريضة مظهرية . . فالبطل يصلى فى منزله ويفسق خارجه ولم يمتثل قول الله تعالى : « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » وقالت السيدة اعتدال ممتاز أيضاً فى تقريرها عن فيلم قصر الشوق : إن الفيلم ملىء بالمشاهد الجنسية المحشوة بقصد الإثارة المبتذلة والمقززة . . وهو زاخر بالألفاظ والعبارات الرخيصة المبتذلة الهادمة للقيم المتعارف عليها . . وبالفيلم كثير من العبارات التى تنطوى على السخرية من المعانى الدينية (الخمر مفتاح الفرج) والفيلم يسىء إلى سمعة البلاد . . وهو يظهر الأمة مشوهة بعيدة كل البعد عن الواقع الذى عاشته وهى تكافح ضد الاستعمار .

وقدمت السيدة اعتدال ممتاز مثلا آخر من الأفلام الهابطة هو فيلم (امرأة ورجل) المأخوذة من قصة (يحى حقى) تمثيل نادية لطفى ، ناهد شريف ، رشدى أباظة . . وقالت إنه هابط فى مستواه الفنى لدرجة كبيرة

جداً . . هابط فى مخاطبته للجنس . . وفى مناظره الجنسية المكشوفة ، وفى مخاطبة الغرائز الجنسية ، وفى الفيلم خروج عن الآداب العامة . . وهو إساءة إلى صورة الحياة فى مصر الريفية ويهدم كل قيمنا الاجتماعية من صداقة وقرابة وحياة زوجية .

وقالت السيدة اعتدال ممتاز : إنه فى هذا الفيلم يمارس البطل والبطلة الفعل الجنسى كاملا ، وتلتقطه عدسة الكاميرا من خلال حاجز متموج شفاف إخفاء للتفاصيل مع إبقاء الحركة المثيرة بكل ما توحى به من خيالات .

وتقول : إنه بالرغم مما حذفته من هذا الفيلم من أجزاء . . فإننى كنت أرى أنه ما زال مخلا بالآداب العامة . . وقالت : بعد أن أصبحت مديرة للمصنفات الفنية وجدت أنى كنت مضطرة إلى توقيع إجازات لأفلام لا أرضى عنها . . إما لهبوط مستواها الفنى ، أو لأنى كنت أرى أنها لا تناسب بيتنا جماهيرياً ، أو أعترض عليها كلية لمضمونها . . ولكنى كنت مجبرة على الترخيص لها نزولا على حكم لجنة التظلمات أو رغبة مجلس الرقابة) ا . هـ .

وفى كل هذه الحالات نجد أن هناك لجاناً سرعان ما تجمع بعد الاعتراض على الفيلم فتقرر عرضه ، وتوافق عليه دون حذف أى شىء منه (كما حدث فى فيلم الباطنية) أو حذف أجزاء لا تحول دون بقاء الصورة البشعة من الجنس .

ونحن نسأل : وهذه نماذج قليلة مما جرى الحديث حوله من عشرات الأفلام المطروحة أمام شبابنا وبناتنا فى دور السينما . . ومدى خطر هذه الأفلام على أخلاقنا وقيمنا وأسرنا . . وقد أشار الدكتور إسماعيل السباعى (نحو النور – الأخبار ٣ / ١ / ١٩٧٧) إلى بعض ما يعرض على شاشة التليفزيون ، وأن جانباً كبيراً منه يتركز حول الفن والفنانين والفنانات . . كأنما الدنيا ليس فيها أحد غيرهم وكأن حياة الناس لا تستمر أو تزدهر إلا بوجودهم . . ووجودهم وحدهم . . ويقول : لا أنكر وجود الفن فى حياة الأمة . . ولكن التوازن بين العناصر المكونة لهذه الحياة واجب ، وفقدانه يؤدى إلى اختلال المجتمع اختلالا لا شك فيه ، وإذا ترك دون أن يوقف أو يتزايد أدى إلى الانهيار . . وليس التليفزيون وحده . . ولكن الإذاعة أيضاً . . والسينما . . وسائر أجهزة الأعلام تشترك هى الأخرى فى تعميق هذا المعنى . . الجوائز

المادية والأدبية . . المكاسب . . الأجور . . الشهرة . . الأموال المتدفقة على فنانين لا حصر لها ولا آخر ! ! » .

والواقع أن مؤسسة الفن كلها فى بلادنا فى حاجة إلى إعادة النظر إليها فى ضوء طوابع الإسلام ومقرراته ، وفى ضوء ما قرره دستور الدولة ، وما يتصل بذلك من أمور التربية الإسلامية ، وبناء الأجيال الجديدة على الصمود فى وجه التحديات التى يتعرض لها العالم الإسلامى ، وأخطار المذاهب الهدامة ، والشبهات والمذاهب التى تحاول أن تنفذ إلى مجتمعنا الإسلامى لتدمره وتحطم قوائمه ومعنوياته . . هذه المذاهب الهدامة التى تجد طريقها ميسراً عن منافذ المسرح والسينما ، والروايات والمسلسلات ، والحوار الذى يجرى بين الرجل والمرأة ، والأب والابن فى تلك الروايات والمسلسلات ، والذى يقدم سموماً من الألفاظ والعبارات ، ويحطم الضوابط الحقيقية التى يجب أن تظل قائمة فى محيط الأسرة . . ولقد تعالت فى الحقيقة موجة الجنس فى الأفلام والمسرحيات على نحو خطير جداً . . حتى بلغت إلى حد أن تقدم هذه الأفلام (الفعل الفاضح) بصورة أو أخرى أمام شبابنا المراهق ، وأن تجمع هذه المسرحيات والأفلام ذلك القدر البشع من العبارات الهابطة ، والسموم الناقعة . وإذا كانت هناك مندوحة لوجود هذه المسرحيات والروايات من باب الترويح عن النفس . . فإن من الضرورى أن تقدم وفق أسلوب مهذب لا يجرح ولا يحطم القيم الأساسية للمجتمع ، وأن تكون الفكاهة أو الحوادث على نحو بعيد عن هذا التهريج الشديد ، أو هذه الإباحية الخطيرة . . ولقد قرر علماء الاجتماع أن من أبرز أسباب اندفاع الشباب اليافع إلى الجريمة والجنس هو تقليده لهذه الأفلام وإعجابه بها . . ولقد تعالت الصيحات إلى الكشف عن مدى أخطار نتائج هذه الظاهرة على كتابات الكثيرين حتى نرى أقرب الناس إلى هذه البيئات يتحدث عن هذا الفساد : . يقول الأستاذ نعمان عاشور : لقد امتدت دوافع الربح ، وأطماع الاستغلال إلى المسرح والتليفزيون ، وأنه يستحيل إعادة التوازن المفقود فى حياتنا الثقافية إذا لم تبادر الدولة فتقدم لأجيالنا الصاعدة النتاج الثقافى القويم الذى يزودهم بالقيم البناءة ، والمثل الراجحة المقومة ، والأخلاقيات السليمة الصحيحة ، ودعم الثقافة الحقيقية الجادة الكفيلة ببناء الإنسان الجديد .

إن موجات الجنس والجريمة والعنف تطغى على أفلامنا السينمائية والمساخر الفكاهية الهزيلة التى تسيطر على النشاط المسرحى والمسلسلات العقيمة المتفشية فى التليفزيون وهذا الهزر السخيف الذى تفيض به فقرات البرامج الثقافية . . ناهيكم بالكتابات الفارغة الفجة التى تملأ صفحات الكتب والمجلات إنما يخلفها دائماً الإنهيار الفنى ، والتردى الأدبى ، وهبوط المستوى الثقافى . وكل ذلك منبعث عن مصدر واحد هو اعتبار الفن مجرد أداة من أدوات التسلية والترفيه التى يصلح بيعها كسلعة تدر الربح . . ومجتمعنا لا يجوز أن يتطور إلى ما تطور إليه مجتمع آخر . . سواء أكان المجتمع الأمريكى بما يسوده من قيم وأخلاقيات وتطلعات ترتبط جميعها بالجنس والجريمة ، والقسوة والعنف . . أو مجتمعات أوربا فى انهيارها الأخلاقى تحت وطأة ما تعانيه من مادية خارقة وخواء فكرى وروحى . . لأننا لسنا مجرد مجتمع متفتح ناهض . . وإنما لأننا فى الأصل والأساس مجتمع عتيق وعريق ، مؤسس من أجيال بعيدة عن قيم روحية ناضجة ، ومثل إنسانية ثابتة ، وتقاليد قومية أكيدة راسخة لابد أن نحرص على حمايتها وتطويرها .

وبعد فإن الأمر من وجهة النظر الإسلامية فى حاجة إلى مساءلة شديدة لأصحاب الأقلام الذين يكتبون هذه السموم ، وأولئك المخرجون الذين يقدمونها على هذه الصورة المثيرة ومن تخدم هذه الوجهة فى تجريد مجتمعنا من أوجه حصانته سواء بالنسبة للأسرة أو المرأة أو الشباب . . ألا يجرى هذا فى نطاق المحاولة الخطيرة التى تستهدف تدمير المجتمعات قبل السيطرة عليها والتى رسمتها بروتوكولات صهيون . . فنحن أردنا أو لم نرد كأننا نخدم هذه المؤامرة . . وما أجدرنا أن نبنى أجيالنا على الخلق والكرامة والعفة . . فذلك أجدى فى دعم قوائم المجتمع ، وحماية الأمة من الأخطار والعواصف التى تحاول أن تجتاح المجتمعات الإسلامية ، وتدحر وجودها . . اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

• • •

رأى لفيف من كتابنا وأدبائنا وصحفيينا
فى الأفلام المصرية الهابطة

*** الفيلم المصرى (رجل وامرأة) يشتمل على مشهد يمارس فيه البطل والبطلة الفعل الجنسى كاملا . . وتلتقطه عدسة الكاميرا من خلال حاجز متموج شفاف . . إخفاء للتفاصيل . . مع إبقاء الحركة المثيرة بكل ما توحى به من خيالات . . وما كنت أحذفه من مشاهد مخلة فى بعض هذه الأفلام كان يضيع هباء أمام لجنة التظلمات ! . .

اعتدال ممتاز

*** إن موجات الجنس والجريمة والعنف تطغى على أفلامنا السينمائية والمساخر الفكاهية الهزيلة وهذا السخف الذى تفيض به فقرات برامجنا الثقافية ! . .

نعمان عاشور

*** ما رأيته فى فيلم (الباطنية) شىء لا يصدقه العقل . . إنه أشبه بأفلام الشذوذ الجنسى التى تباع فى الظلام وتعرضها المواخير . . وإن الزرقوق مدير الرقابة على الأفلام بدفاعه عن هذا الفيلم الهابط . . إنما يدافع عن حقيقة الشذوذ وعن البذاءة والسقوط ! . .

إبراهيم سعدة

*** لقد ازدحمت الشاشة المصرية فى السنوات الأخيرة بأفلام هابطة وأصبحت أنماط العوالم وتجار المخدرات هى الأنماط الشائعة فى هذا المجال !.

صلاح عبد الصبور

*** مسلسل (العيب) ليوسف إدريس يلصق كل أنواع الرذائل بالإنسان المصرى ولا أدرى كيف يسمح التليفزيون المصرى بعرض مثل هذه المسلسلات على شاشته وأن تدخل إلى بيت كل مصرى ويراها الصغار والكبار وهى بمثابة سب علنى وقذف لا أخلاقى وإساءة بشعة لمصر وشعب مصر ! . .

دكتور جمال الدين موسى

الفصل التاسع

حقيقة القمم الشوامخ والعمالقة

لا تزال قضية الشوامخ والعمالقة . . والقمم العالية مطروحة طرحاً معوجاً على كثير من أقلام كتابنا وصحفيينا . . ولذلك فقد كانت موضع التساؤل .

والحق أن مقاييس كثيرة وافدة وخاطئة قد طرحت فى مجتمعنا نتيجة تغير الأعراف وانحرافها وما تقدمه المسارح والأفلام السينمائية والفلسفات المادية من إعلاء شأن المغنيين والمغنيات ، والممثلين والممثلات . . وإفراد صفحات متعددة لهم على أنهم نجوم وكواكب يمكن أن يكون ما يقولونه مثلا أعلى لشباب ساذج ليست له خلفية صحيحة من فهم لعقيدته ، ولمقومات الرجولة والبطولة والشخصية السوية . . وكذلك الأمر بالنسبة للفتيات المسلمات اللائى يتخذن من المغنيات والممثلات مثلا أعلى فى كلامهن وملابسهن وحركاتهن التى تحفل بها الأفلام السينمائية أو المسلسلات . . بل إن من أعجب العجب أن باب (أبو نظارة) فى واحدة من صحفنا اليومية يقدم يومياً ثبتا بتاريخ وفيات هؤلاء الممثلين بمناسبة مرور عام أو أعوام على وفاتهم . . بينما لا يحدث ذلك بالنسبة لعظماء الرجال ، وأبطال الأمة والكتاب الصادقين الذين قدموا لهذه الأمة ثمرات عقولهم . . بل إن عدداً من هؤلاء الأعلام مات فى السنوات الأخيرة دون أن يذكره أحد ، أو نشر نعيه فى أعمدة منزوية فى صفحات الوفيات . . بينما نجد الممثلون والممثلات والمغنون والمغنيات . . بل والراقصون والراقصات مكاناً عريضاً فى الصفحات الأولى من صحافتنا (انظر وفاة يوسف وهبى وفائزة أحمد) .

ولا يقف الأمر عند هذا . . بل إن هذه الصحافة تذهب إلى أبعد من ذلك حين تضع هالات عريضة ، وتيجاناً لامعة فوق رؤوس هؤلاء الذين

لم يكن لهم عمل إلا تقديم تلك العبارات الساخرة ، والكلمات المكشوفة فى حوار هابط تقدم به صورة عارية لا تتفق مع كرامة الأمة ، ولا مع حسن العلاقات بين أفرادها ، ولا مع قيمها الأساسية التى جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وإذا كانت هناك دعوة إلى تقدير القمم الشوامخ ، والعمالقة من أبناء هذه الأمة . . فإن ذلك لا ينصرف نحو رجال الفن كما يسمونهم بحال . . وإنما يتصل ذلك بأولئك الأبرار الذين قادوا هذه الأمة فى مجالات البطولة الحقة ، ومقاومة النفوذ الأجنبي . . وإحياء المثل العليا ، والقيم الصحيحة .

ومنذ انطلقت هذه الصيحة فما نسمع إلا عن حلقات عن رشدى أباظة ، وكتابات عن بيرم التونسى ، وكلمات عن نجيب الريحانى ، أو إعادة الحياة إلى سيد درويش . . وأم كلثوم ، أو الاحتفال بعيد ميلاد محمد عبد الوهاب ، أو إعادة تاريخ يوسف وهبى . . وما هكذا تورد الإبل . . وما هذه هى القضية .

إننا حين نعرض هذه القضية على مفاهيم الإسلام نجد أن كل هؤلاء لا يدخلون فى باب القمم والشوامخ والعمالقة بحال . . فقد كان هؤلاء جوقة من المهرجين والنافخين فى أبواب التسلية والإضحاك والتسلية بمفهوم المسرح والفن الوافد الذى حاولوا إعطاءه لفظ القداسة ، ورفعوه فوق دور العبادة ومجدوه ليكون وسيلة من وسائل إخراج هذه الأمة من مفاهيمها الأصيلة ، ومن عقيدتها الحقة إلى أجواء من الخداع والتخدير أشبه بما يحدثه العقار الذى يذهب بالوعى ، دون حاجة حقيقية إلى ذلك ، إلا أن يغفل الناس عن فهم واقعهم ، وحقيقة وجودهم .

إن فن الإضحاك ورد إلى بلادنا مع النفوذ الأجنبى . ثم نما نمواً غير طبيعى معارضاً للفطرة والأخلاق وللقيم ، معلياً لطبقات الغناء والرقص والتمثيل والفن الهابط على نحو خادع ماكر . . تتحدث عنهم الصحف صباحاً ومساء ، وفى مجلات عامة وخاصة . . كأنهم وحدهم البارزون والأعلام والقادة . . حتى خدع بهم شبابنا وقلدهم ، وهم فى الحقيقة يحملون من المفاهيم ما لا يتفق مع جوهر الدين الحق . . فهم يدافعون عن وجودهم

ويحاولون أن يصوروا عملية الإضحاك والتسلية هذه على أنها فن رفيع له قداسته وله قدره . . وهم فى نفس الوقت لم يلتزموا بأخلاقيات الأمة . . فأدخلوا إلى مسارحهم وقصصهم سخريات بكثير من القيم ، وأفسدوا بالحوار العلاقات بين الأب والابن ، والزوجة والزوج . . فسارت تلك الكلمات الرخيصة المبتذلة على ألسنة الناس فى الأتوبيسات والشوارع ..وكان لما طرحته هذه الروايات والمسلسلات من مفاهيم أثر عجيب فى تقليل أهمية العرض والكرامة والغيرة ، وفتحت هذه الصور أمام الشباب الغض ، من الجنسين صوراً تبدو كأنها مشروعة للجنس والجريمة فى وقت واحد مما كان نتيجته ما تقرأه عن الأحداث الذين يقلدون فيها أفلام الجريمة والجنس .

ولقد أعطت الصحافة قدراً كبيراً لأمثال سيد درويش ، وبيرم التونسى على نحو لم يعط لشوقى وحافظ إبراهيم . . ذلك لأن الهدف هو إعلاء شأن الفلكلور التافه المتصل بالعامية وبالمشاعر الساذجة التى عرفتها البشرية فى طفولتها وطبقاتها الدنيا . . بينما قدم الشعر البليغ والأدب الرفيع دوراً خطراً فى رفع عقليات الأمم ومشاعرها إلى المعانى العليا والقيم الحقيقية .

الحقيقة التى لا شك فيها أننا يجب أن نفرق بين هذه الشخصيات الممسوخة التى لا تعرف إلا تفاهات الإضحاك ، أو كلمات الغناء ، أو أساليب التمثيل الفاضح وبين البطولات الحقة فى تاريخنا ، والقمم الشوامخ التى أعطت لأمتها الكثير والكثير .

هل يستوى الذين جاهدوا وضحوا وقالوا كلمة خالصة لله تعالى ، وقادوا الأمة إلى النصر والحق ، وعرضوا حياتهم الخاصة للخطر مع هؤلاء الذين يدخلون على أبنائنا أساليب من الخداع والتضليل والغثاثة . . هؤلاء الذين يخرجون أبناءنا من قيم الأخلاق والكرامة ، ويلفتونهم نحو التفاهات ، ويحاولون تجريدهم من وجهتهم الخالصة لمعرفة معالى الأمور ومكارمها .

لا ريب أن الأدب العربى المعاصر قد انحرف عن جادته حين يتحدث عن مرسى جميل عزيز ، وحسين السيد ، وأحمد رامى ، وبيرم التونسى وتجاهل عشرات من الأعلام أمثال عبد العزيز جاويش ، وأمين الرافعى ، وأحمد زكى باشا ، ومصطفى صادق الرافعى ، وفريد وجدى ، ومحب الدين

الخطيب ، وكامل كيلانى . . هذا فى مصر . : أما فى العالم الإسلامى فهناك عشرات من أمثال شكيب أرسلان ، وعبد العزيز الثعالبى ، وطاهر الجزائرى ، وعبد الحميد بن باديس ، ومصطفى الغلايينى ، وعلال الفاسى ، وهناك عشرات من الأعلام فى مجال الأدب وحده . : وأمثالهم فى ميادين الفكر والاجتماع ، كانوا من الأمثلة العالية فى الكفاح من أجل حماية القرآن ، واللغة العربية الفصحى ، وتاريخ الإسلام، لم نجد من يتحدث اليوم عن طه حسين وما قدمه من سموم فى هذه المجالات كلها . . كأنما كان مكلفاً بأن يفسد هذه القيم جميعاً ، ثم يقال لنا : إنه من القمم الشوامخ . : إن قاعدة الترشيح للقمم الشوامخ لابد أن تكون متصلة بالعطاء الحقيقى الذى قدمه هذا الرجل لدينه وأمته ولغته . : إن الذين يدافعون عن طه حسين اليوم هم الذين يدخلون بيرم التونسى ، ونجيب الريحانى ، ويوسف وهبى فى قائمة القمم الشوامخ . : لأنهم يدافعون عن العاميات ، وعن نشر الفلكلور والأزجال ، والحواديت والخرافات والأساطير بهدف إفساد أديم الفكر الإسلامى . . والأدب العربى ، وتحكيم هذه الجوانب الفاسدة فى عقول شبابنا . : وهى جزء من تيار ظهر منذ سنوات بعيدة على أيدى المبشرين والمستشرقين . : ومن ذلك كتاب لويس عوض الذى أخرجه أخيراً عن (فقه اللغة العربية) وهو كتاب مسموم يحاول أن يهدم جميع القيم الحقيقية المتصلة بالبلاغة العربية، وإعجاز القرآن . . وهو يعاود الترويج لقضية خلق القرآن وغيرها . : بل إنه يذهب إلى أبعد من هذا حين يدعى بأن العرب جاءوا من القوقاز إلى الجزيرة العربية قبل ألف سنة من تاريخ المسيح ، وأن لغتهم لم تكن إلا من لغات القوقاز . : إذن فليس هناك لغة عربية خالصة . : وإنما هى فرع من اللغات الآرية . : يقول هذا لويس عوض ويدعيه معارضاً لسنن الهجرات التى تبدأ من الصحراء إلى منابع الأنهار . : يدعى هذا وليس معه أى دليل علمى . : وإنما هى نصوص مخطوطة من هنا وهناك فى سبيل التدليل على هوى قائم فى النفس .

ونحن نتساءل : لماذا تحجب هذه الأسماء العظيمة من القمم الشوامخ الحقيقية ولا تقدم للشباب ليعرف حقيقة البطولة . : ولماذا تتجاهلها الصحافة

بينما تعنى بهذه الأسماء من المضحكين والتافهين والذين عاشوا حياتهم على موائد الضلال ، والذين كانوا فى الحقيقة عاملين على هدم كل قيم الخير والهدى والرشاد والرجولة فى نفوس الأجيال . . والذين لم يقدموا لهذه الأمة إلا كل ما أراد النفوذ الأجنبي أن يذيعه من تفاهات ترمى إلى أن ينحرف هذا الشباب عن الجادة . . ويحيد عن الصواب ؟ ! .

يا قوم . . إن القمم الشوامخ ، والعمالقة فى هذه الأمة لها مقاييس حقيقية ولا يمكن أن تدخل تحتها هذه الأسماء من الأقزام والتافهين والمضللين . . إن مقاييسنا مستمدة من مفهومنا الإسلامى الأصيل . . وليس من مقاييس التغريب والغزو الثقافى

إن لدينا تفصيلات كثيرة فى هذا المجال عن تاريخ هؤلاء الشوامخ الزائفين . . ولكن القلم يعف عنها . . والحر تكفيه الإشارة .

* * *

الفصل العاشر

خلفاء طه حسين وغلمان المستشرقين

زكي نجيب محمود ـ توفيق الحكيم ـ حسين فوزى

كان السؤال عن مخططات التغريب والغزو الثقافى فى هذه المرحلة لمواجهة حركة اليقظة الإسلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبشير ، وافتضاح كل خيوط المؤامرة التى جند لها عدد كبير من التغريبيين بقيادة (المعلم) طه حسين . . ثم تحطم كل هذه المخططات قبل رحيله . . والحقيقة أن النفوذ الأجنبى قد غير جلد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاً جديداً بقيادات جديدة . . بعد أن هلك هذا التغريبى الكبير ، ووضح أمر ذلك فى عدة خطوات اتخذت بسرعة لتغطية الفراغ . . منها عقد مؤتمر ثقافى مغلق فى الكويت ضم مجموعة من أتباع الاستشراق والتغريب ، واليساريين ، وأتباع الفلسفة المادية . . وكان على رأسهم (زكى نجيب محمود) . . و (محمد النويهى) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذى كان يمر فى السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضار . . وكذلك كلف المستشرق (جاك بيرك) بالطواف فى البلاد العربية ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين فى محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطمت تماماً نتيجة للأبحاث التى كشفت دخيلته . . وخاصة ما كتبه شاكر ومحمد نجيب البهبيتى ، وكاتب هذه السطور . . كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام فى فى عهد هيكل أن تجمع فى نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمثال توفيق الحكيم الذى وصف إسرائيل بأنها دولة متحضرة . . وحسين فوزى الذى تنكر لعروبته . . واعتز بفرعونيته . . ورضى لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراة من جامعات العدو . . ونجيب محفوظ . . الذى عرف بتلمذته لزعيم التغريب . . وهى ما تزال تحتفظ بهم إلى اليوم بعد أن أضيف إليهم أنيس منصور ، ويوسف إدريس .

وقد بدأ فى السنوات الأخيرة أن الأضواء كلها قد ركزت تماماً على الدكتور زكى نجيب محمود كقائد لهذه الكتيبة التغريبية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن أنه أعاد النظر فى التراث الإسلامى (وأسماه العربى) فى محاولة لخداع البسطاء ، ولتغطية ماض طويل فى الفكر المادى كانت قمته كتابه المعروف (خرافة الميتافيزيقا) أى بمعنى صريح اتهام مفهوم الغيب الذى جاء به الإسلام بأنه خرافة . . وانكار كل ما سوى المحسوس ، والمعقول . . متابعة فى ذلك للمذهب الفلسفى الذى اعتنقه طوال حياته مقلداً فى ذلك فيلسوفاً أوربياً مادياً ملحداً ينكر الأديان المنزلة ، ويفاخر بأنه يمثل مدرسته . . وفى طريق كسب الأنصار والتقرب إلى الشباب الواعى المثقف يتحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن الإيمان بالله . . وعن الإيمان باليوم الآخر ، وعن أعلام التراث الإسلامى : الغزالى وغيره . . وذلك كله محاولة لإلقاء حاجز بين الماضى والحاضر . . وإحراز الثقة التى تمكنه من بث مفاهيمه وآرائه . . ونحن لا نتهم أحداً فى عقيدته ، ولا نتعقب العورات ، ولا نلتقط ما تتكشف عنه السرائر من وراء الوعى . . ولكننا نقرر بداءة بأن المنهج الذى يدعو إليه زكى نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة . . وخاصة بالنسبة لتلك القضية الكبرى التى يثيرها فى كل كتاباته . . وهى مسألة العقل والعقلانية ، فالإسلام لا يعطى العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . . وإنما يرسم للعقل طريقاً كريماً فى ضوء الوحى . . والعقل فى الإسلام مناط التكليف » . ولكنه ليس حكماً على كل شىء . . ذلك لأن العقل أداة تصلح إذا صلح تكوينها . . وتفسد إذا فسد تكوينها . . وهى إن اهتدت بالوحى أضاءت وأشرقت عليها أنوار الفهم . . أما إذا اهتدت بالفكر البشرى . . فإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل شر ، ولكل أهواء النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذى يدعو إليه زكى نجيب محمود . . نظرية مادية صرفة ، ومرفوضة تماماً . . وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والتغريبيين يعتزون من التراث بالجانب الخاص بالمعتزلة . . فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا انحرافاً فى مفاهيم الفكر الإسلامى . . فالمعتزلة خرجوا عن مفهوم الإسلام

الجامع المتكامل بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، والدنيا والآخرة . . وأعلوا مفهوم العقل : . فانحرفوا وتحطموا وحكمت عليهم الأمة كلها بأنهم خرجوا عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا الخلفاء على المسلمين والعلماء . . وقد هزمهم الله شر هزيمة على يد الإمام أحمد بن حنبل ، وأعاد للإسلام مفهومه الأصيل الجامع .

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعاة إلى التصوف كمنطلق وحيد لفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها . . ولقد كان هوى زكى نجيب محمود فى دراساته للتراث مع ذلك المفهوم العقلانى الذى انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذى استمد مادته من الفلسفات اليونانية الوثنية المادية ، والإلحادية الإباحية التى غامت سحابتها على الفكر الإسلامى ، ثم انقشعت تحت تأثير أضواء المفهوم القرآنى الأصيل .

* * *

كذلك فإن مفهوم الدكتور زكى نجيب محمود للألوهية مفهوم ناقص وقاصر لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذى أورده فى مقاله فى الهلال) .

لقد مرت البشرية بمراحل كثيرة فى فهم الألوهية ناقصة ومنحرفة . . وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق : . فلم يعد هناك مجال لإعادة ترديد تلك المفاهيم بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزول دعوة التوحيد الخالص

إن الذى يقبله شباب الإسلام اليوم من الباحثين : . هو مفهوم الله الحق . . لا مفهوم الآلهة كما فهمه الوثنيون أو المعددون ، أو المشركون الذين كانوا يؤمنون بالله خالقاً ولا يؤمنون به مصرفاً للأمور كلها . . وقد جاء الإسلام ليكشف هذه الحقيقة وحدها ، ويدعو إليها وهى : (إسلام الوجه لله) .

أما مفهوم الإيمان بالله على النحو الذى كتب عنه الدكتور زكى نجيب محمود : : فهو مفهوم عرفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام : : ولعل من أكبر الخطأ عرض مفهوم أرسطو وأفلاطون فى الألوهية ، ومحاولة تفسيره بمفهوم الإسلام : : مع أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك : : بل ان القرآن الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية والوثنية والغنوصية : . لنقصها وقصورها : : وخاصة ما ادعاه هؤلاء من

أن الله تبارك وتعالى يدبر ظهره للكون ولا يعلم الجزئيات . . وأن المادة خالدة . . إلى غير ذلك من تلك التفاهات . . بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون للألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأصنام) فكيف يقدم هذا المفهوم للشباب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحقة ؟ ! ولقد كشف علماء المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشرى ونقصه . . وكيف أنها منحرفة . . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها **« وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس . . . »** .

وإن هذا الكون ليس مخلداً ، ولا باقياً . . وان له نهاية كما كانت له بداية . وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الكون لحظة بعد لحظة ، ويديره ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقوله الفلاسفة هراء .

والمسلمون يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيرت مفهوم الألوهية الحقة (**الله رب العالمين**) فنسبه البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود ، وربهم وحدهم . . وقال الآخرون : بأن لله ولداً . . وكذبوا : **« ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه . . . »**

وليس مفهوم الألوهية صحيحاً ولا كاملا إلا فى الإسلام وحده . . مفهوم إسلام الوجه لله : **« إياك نعبد وإياك نستعين »** .

ولقد حاول الفكر البشرى أن يزيف مفهوم الألوهية الحقة . . وأخطأت الماسونية حين قالت : (المهندس الأعظم) وهناك انحرافات الباطنية ، والماديين ، والوجوديين ، ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على النحو الذى عرف عن كثيرين . . وهناك مفهوم الإسلام بوصفه ديناً لاهوتياً . . والحقيقة أن المطلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى . . ولكن المطلوب معرفة حقيقة هذا الوجود . . بعيداً عن هذه المفاهيم المنحرفة ، ويستتبع الإيمان بالله تبارك وتعالى . . الإيمان بشريعته .

ولكن الدكتور زكى نجيب محمود لا يلبث أن ينقص من شأن هذه الشريعة ويصفها بأنها قاصرة ومجافية للعصر ، ويطالب بتخطيها فى سبيل تحقيق المعاصرة . . وهو يقبل بالحضارة الغربية كما كان يقبل بها سلفه طه حسين (حلوها ومرها . . وما يحمد منها وما يعاب) فما عرف عنه أنه

دعا المسلمين إلى أخذ العلوم مثلا دون أسلوب العيش . . ولكنه يدعو إلى شيء غريب . . هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة . . وهو ادعاء باطل وظالم . . فكيف يمكن أن يقال لأصحاب القرآن الذى وضع منهجاً للحياة والمجتمع غاية فى الإحكام . . جربته الشعوب والأمم ألف عام . . فأقام لها حياة الرحمة والعدل والإخاء البشرى . . كيف يمكن أن يقال لهذه الأمة : إنها لا تمتلك منهج حياة . . وكيف يقبل وهو العقلانى الحصيف هذا المنهج الذى يعيشه الغرب . . سواء الغرب الليبرالى . . أم الماركسى ، فى ذلك الخضم العفن الفاسد المتآكل من الشهوات والإباحيات ، والانحراف والتحلل والغربة بشهادة كتاب الغرب والشرق على السواء . . وكيف يغضى وهو الأمين على الكلمة عن أزمة الحضارة وأزمة الإنسان الغربى . . وقد قرأ عشرات من الكتابات آخرها ما كتبه (سلجوستين) ودمغ به حضارة الغرب التى يكبرها زكى نجيب محمود ، وحسين فوزى ، وتوفيق الحكيم . . ويشيدون بها . . ويغوصون بأقلامهم فى تلك الحمم من الدماء والعفن والفساد . . وهم يقولون « لا إله إلا الله » على الأقل وراثة ، ويرون كيف يقدم الإسلام ذلك المنهج النقى الطاهر . . الأخلاقى الكريم . . الذى يرفع من قدر الإنسان . . وكيف يحق لأمة تحمل لواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخلى عن رسالتها فى تبليغ كلمة الله الحق إلى العالمين ، وتنصهر فى بوتقة الأممية والحضارة المنهارة التى تمر بآخر مراحلها . . وهل من الأمانة أن يدعون أمتهم إلى هذا وهم روادها . . والرائد لا يكذب أهله ولا يغشها . . إن مسئولية القلم وريادة الفكر هى أضخم المسئوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب . . وقد كان أولى بهم جميعاً أن يصدقوا أمتهم النصح ، ويدعونها إلى أن تقيم حضارة الإسلام مجددة فى إطار « لا إله إلا الله » والأخلاق والرحمة والإخاء الإنسانى ، وأن يلتمسوا أسلوب العيش الإسلامى ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً تقياً تتطلع إليه النفوس والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها ، أن الغرب يتطلع إلى ضوء جديد . . ولن يكون غير الإسلام . . وسوف يدمغهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير مؤتمنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم فى سجل الذين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوا لأمتهم وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد مناهجه وأساليب حياته ، وعرفوا

آن هذه الأمة الكريمة على الله أعز من أن تسحق فى أتون الشهوات وأن تدمر بأيدى أبنائها ودعاتها الذين تلمع أسماؤهم ، وتخدع الناس شهرتهم .

إن الدكتور زكى نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامى ذلك الفهم الذى جعله يكرم أمثال (ابن الراوندى) . (ومزدك) ، (ومانى) ، (والحلاج) ، (الباطنية) ، (والشعوبية) ، (إخوان الصفا) ، وتلاميذهم . . كذلك فهو مؤمن بمجموعة من المسلمات الخاطئة من عصارة مفاهيم الفكر البشرى الوثنى المادى . . فضلا عن أن إيمانه بالعلم والعقل وحدهما بينما مفهومه عن الإسلام يتسم بقصور شديد عن المفهوم الجامع .

وإنى لأسأل الدكتور زكى نجيب محمود : هل يؤمن بالوحى ؟ . . هذا هو مقطع المفاصلة بيننا وبينه . . وإذا كان يؤمن به . . فلماذا لم يعلن فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) ، ولماذا لا يؤمن بهذا الوحى الذى جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة . . وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود قد تراجع عن (خرافة الميتافيزيقا) وغيرها من آرائه . . أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفة بعض الناس.

إن محاولة اقتعاد مكان طه حسين اليوم هو أمر مضيع . . فقد انتهى ذلك العهد وصحا الناس ، وخطت حركة اليقظة الإسلامية خطوات واسعة . . فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الزائفة التى قدمها الآباء العتاة الذين كانوا يستقبلون أبناءنا فى الجامعات الأوربية وهم من اليهود أمثال مرجليوث ، ودور كايم وغيره .

أما قول الدكتور زكى نجب محمود : إن الثقافة الإسلامية فى العصر العباسى قد اغترفت ثقافات الدنيا بغير حساب . . فهو قول باطل . . لقد وقفت الثقافة الإسلامية موقف التحليل والغربلة لكل ما ترجم ، وأخذت منه ما وجدته صالحاً ومطابقا لمفهوم التوحيد الخالص . . أما ما عدا ذلك . . فقد رفضته وشنت عليه حرباً عنيفة ، وأخرجت دعاته من طريق الفكر الإسلامى فأطلقت عليهم اسم (المشاؤون المسلمون) إعلاناً لتبعيتهم للمشائين اليونانيين . . ولم تقبل منهم ما جاءوا به . . وأعلن المسلمون أن منهج اليونان أو منهج الغنوصية الشرقى . . كلاهما باطل وأن للإسلام منهجا خاصا مستقلا

كما نفعل نحن اليوم إزاء ما يقدمه التغريبيون من فكر الشرق والغرب . . مما هو ليس مقبولا فى الإسلام بحال . . كذلك فإن نظرية زكى نجيب محمود بالتوفيق بين المترجم الوافد الغربى وبين المحدد من التراث الإسلامى (وهو ما يسميه التراث العربى استنكاراً وتجاهلا لانتمائه الحقيقى) هذه نظرية ليست مستحدثة . . بل هى نظرية طه حسين، وهيكل، والزيات . . وغيرهم . . وهى نظرية اتضح بطلانها . . أما ما تعارفت عليه اليقظة الإسلامية فهو أن يقوم أساس إسلامى أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع) وفى ضوئه يحاكم التراث كله ، والوافد كله ، ولا يقبل إلا ما يزيد هذا المنهج قوة ودعماً مع الاحتفاظ بأسلوب العيش الإسلامى (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) ودعوى زكى نجيب محمود بالمواءمة مرفوضة . . فالمسلمون على استعداد للتضحية بالتقدم المادى فى سبيل الاحتفاظ بالقيم الأساسية التى هى فى حقيقتها ليست معوقة للتقدم المادى . . ولكنها حائلة دون فساد الحضارة الغربية وزيفها وانحلالها الذى يود هؤلاء القوم إغراق هذه الأمة فيه . . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

* * *

زكى نجيـــب محمـــود

القائد الجديد لكتيبة التغريب بعد سلفه الراحل طه حسين

كان لابد بعد أن رحل الدكتور طه حسين زعيم التغريب الأصيل من تعيين خليفة له . . فوقع الاختيار على الصيد الثمين . . وكأن هذا الصيد الثمين يتمثل فى الدكتور زكى نجيب محمود كخليفة للصنم الذى هلك . . وتولى زكى نجيب محمود قيادة كتيبة التغريب . . وما لبث أن انكشف أمره كما انكشف أمر سلفه من قبل أمام حقائق الإسلام وأباطيل الغرب .

إن للإسلام منهج حياة جربته الأمم والشعوب أكثر من ألف عام . . فأقام لها حياة الرحمة والعدل ، وبنى لها صرح الإخاء البشرى . . ثم يجىء التغريبى العجوز زكى نجيب محمود ليقول : (إن الأمة الإسلامية لا تملك منهج حياة) ليعض بالنواجذ على منهج الغرب العفن المتآكل بإباحياته وانحرافاته . . وتحلله وشهواته . . وكيف يسمى الدكتور العجوز نفسه مسلماً وهو الرجل الذى استنكف أن يسمى تراثنا باسمه الحقيق فوصفه بالتراث العربى بدلا من التراث الإسلامى استنكاراً ثم بعد ذلك ينقص من شأن الشريعة الإسلامية وينعتها بأنها قاصرة ومجافية للعصر الذى نعيش فيه كذب والله ؟ ! !

* * *

الفصل الحادى عشر

سقــــوط مـــــذهب الوجوديـــــة

جرى التساؤل حول نظرية الوجودية بعد أن هلك سارتر . . وما هى وما هى الآثار التى تركتها على جبين الأدب العربى والفكر الإسلامى ؟ . .

والواقع أن نظرية الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل . . وإن حاول هذا الشقى أن يمد من عمرها بانتمائه فى السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية . . إذ هو نصف يهودى كما كان يطلق عليه عباس العقاد . . لأن أمه يهودية . . وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حين أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين فى غزة . . فما أن غادرها حتى كشف عن هويته الصهيونية اليهودية وأعطى الماركسيين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عمالتهم هم . ومكره هو والذين رافقوه . . ومع هذه اللطمة القاسية فإن كتاباً مصريين وعرباً ما زالوا يذكرون سارتر ، ويتحدثون عنه ، ويشيدون بمذهبه . . وبما يسمونه الوجودية العربية التى قادها عبد الرحمن بدوى وكان لها على فترة طويلة أعواناً . . وكانت كتب سارتر تظهر فى باريس بالفرنسية وفى بيروت بالعربية فى وقت واحد . . وربما ندم بعض الكتاب عن تبعيتهم لسارتر ، وأحسوا أنهم أخطأوا الطريق بعد أن قرأوا ما كتبه (جاك بيرك) مثلا حين قال :

(إن سارتر عقل كبير . . ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسى . . وليس من الضرورى أن يكون العقل الكبير عقلا سياسياً . . ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يجابه من التيارات اليسارية . . ومنها الشيوعية بنوع من العقد النفسية . . ومن المؤسف أن سارتر الذى يبنى

معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به . . لم يستطع سارتر أن يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيونى . . فاعتبر إسرائيل (ضحية) . . وقلب القصة فاعتبر إسرائيل (مدعى عليها) . . الدعاية الصهيونية بلغت أن يقلب الحقيقة التاريخية فى أوربا كلها . . إنهم ينفون أن يكون الوجود الصهيونى استعماراً) .

ويردد كثير من أنصار سارتر فشل سارتر ، وكيف تبخرت مفاهيمه التى ضللت الشباب الغربى ردحاً من الزمن ، وكيف انقشع بريق اسمه ، فظهرت الوجودية فلسفة للفوضى والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا النزعتين : الرأسمالية والشيوعية ، ورفضوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية فوضوية.. ومن ثم حاول سارتر أن يتقرب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثير من آرائه السابقة .

وفى مصر تقدم عبد الرحمن بدوى برسالة دكتوراه عن (الزمان الوجودى) ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك مع المستشرق الألمانى بول كراوس وأعلن طه حسين أن عبد الرحمن بدوى أول فيلسوف وجودى مصرى ، وقد قدم بدوى الفكر الوجودى وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلبث عبد الرحمن بدوى أن اختفى وطوته الموجة التى تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة ، وكشف الفكر الإسلامى عن أصالته فى أنه يرفض كل ما ليس متصلا بقيمه الأساسية مهما بدا يوماً وله بريق أخاذ .

لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه . : فقد أضفت عليه ظلا مظلماً ما زال يلاحقه . .

وقد كان عبد الرحمن بدوى قبل سارتر تابعاً للفلسفات الباطنية والمجوسية . . يحيها ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات قلقة فى تاريخ الإسلام ، ويشيد بأمثال الراوندى والحلاج وغيرهما من الزنادقة . . وإلى جانب ذلك فقد قدم فى الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفى المتصل بوحدة الوجود والحلول ، وأشاد بالسهروردى وابن عربى وابن سبعين . . تلك الشخصيات الضالة التى عمل أستاذه الأول (ماسنيون) على إحيائها . . وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها فى الأدب العربى منذ أعاد انبعاث (إخوان الصفا) وكما

سقط الفكر الباطنى سقط الفكر الوجودى وانهارت تلك الصروح على رؤوس أصحابها (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم) .

وإذا كان الأدب الغربى قد عرف وجوديه كبر كجارد ، وكامى ، وسارتر . . فإن ذلك كله مستمد من أصول أصيلة فيه تقوم على فكرة الخطيئة المسيحية : . أما فى الفكر الإسلامى فإن محاولة زكى نجيب محمود عن المنطق الوضعى ، وفؤاد زكريا عن الفلسفة الماركسية ، وعبد الرحمن بدوى عن الفلسفة الوجودية هى محاولات ضالة باطلة سرعان ما لفظها الفكر الإسلامى صاحب الصرح الشامخ القائم على فكرة التوحيد الخالص ، والإخاء الإنسانى والعدل والرحمة . . وقد ذابت محاولات إحياء الفلسفة الصوفية التى قام بها (ماسينون) أربعين عاماً بإحياء الحلاج . . لأن المسلمين عرفوا طريقهم إلى التوحيد الخالص : . فقد أسقطت حركة اليقظة محاولات إحياء الفلسفة ، والتصوف الفلسفى ، والكلام ، والاعتزال ، وجعلته ركاماً حين أحيت (المنهج القرآنى) الأصيل حيث بدت كل محاولات الفلاسفة الإسلاميين المعاصرين : . وكأنها مقدمات موقوتة انطوت صفحتها حين برز نور المفهوم القرآنى : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذى واجه المشائين القدامى أمثال ابن سينا والفارابى : . وقد تكشفت نزعتهما إلى الباطنية الاسماعيلية فى الأخير بعد أن خدع بهما الكثيرون ، وحين يتنادى باسمه اليوم بعض غلمان المستشرقين فإن الأمر لا يخدع أحداً . : ذلك أن الحقائق التى تكشفت فردت بعض كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف : . يقول أنيس منصور : (من الضرورى أن تفلت من جاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعه حريتك . : لقد وقعنا فى غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوى . : كثيراً مما رآه كان رؤيته هو . : والذى وجده شاقاً كان مشكلته هو . . : والذى أحبه كان مزاجه هو : . ولكن فى السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينابيعها التى أفزعنا منها عبد الرحمن بدوى فلم أجدها كذلك) .

وهكذا تبين أن هذه الهالة كانت باطلة : . بل إن أنيس منصور يبشرنا بأن سارتر عندما مات قال على فراش الموت : لا شىء . : كل شىء عدم .

ويستطرد أنيس منصور قائلا : سارتر الفيلسوف الوجودى الملحد كانت آخر كلماته لا شيء . . أى لا فائدة من أى شيء . . فهو يرى أن الوجود والعدم لهما نفس القوة . . ولهما نفس المعنى . . فهى كالليل والنهار لا ينفصلان ، ولا تعرف على أى شيء أجاب سارتر لآخر مرة بكلمة لا شيء . . لا فائدة . . لا معنى . . لا هدف . . كل شيء عدم . . أو كل وجود عدم . . أو كل موجود معدوم . .

مجلة أكتوبر ٨/ ٥/ ١٩٨٠

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين عاماً من عمره قضاها فى تحسين هذا الفكر وزخرفته وتقديمه إلى الشباب فى عشرات من الكتب التى طبع منها مئات من الألوف لتخدعهم عن الحقيقة ولتزيف لهم الواقع ولتردهم عن النهج الأصيل ، عندما كتب مقالاته عن رحلته إلى الأراضى المقدسة ، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والعقائد ، وأن يصحح موقفه أمام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة . . واليوم يصف فلسفة الوجودية بأنها فلسفة المقابر . . لأن سارتر تحدث عن الموت والدمار والخراب ، والوحدة والقلق والفزع ، والخوف والغثيان والعدم ، والتصقت كل هذه المعانى السوداء فى قلمه وفى خياله . . هناك وجودية ملحدة عن سارتر وكامى وهيدجر وواسبرز وأونامونو . . ووجودية مؤمنة عند جابريل مارسيل ، وبرديانف ، وجاك مارتيان . . وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامى الأصيل ويعرف زيف الوجودية جملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التى رسمها الدين الحق ، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما كانت تمثل تحدياً خاصاً مر بالشعب الفرنسى بعد سقوطه فى قبضة ألمانيا إبان الحرب . . هذا السقوط الذى كشف كما قال زعيمه (بيتان) عن انهياره الأخلاقى العاصف . . ولما كانت الصهيونية العالمية هى التى صنعت هذا بالثورة الفرنسية فإنها قدمت سارتر على جميع أجهزة الأعلام والدعاية لتفتح صفحة أشد عنفاً من الانهيار الخلقى والاجتماعى . . تلك التى صنعتها فلسفة سارتر بظهور جماعات الوجوديين الذين تشكلوا فى الغرف المظلمة ، والحوارى الضيقة وتحت أسطح العمارات

يمارسوا أسوأ صور الجنس ، ويعلنوا احتقارهم للمجتمع . . ومنهم نشأت بذرة (الهيبية) التى تعم الآن العالم كله .

ولقد كان أخطر ما فى الدعوة الوجودية إنكار الله تبارك وتعالى ، والسخرية بالأديان . . واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان ، وأن أثر التعاليم الربانية على الإنسان جد خطير . . لأنه يضيع عليه فرصة التمتع بالأهواء ، والتمرغ فى الشهوات . . فالوجودى لا يؤمن بوجود الله (تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلقى يسود على الإنسانية . . الإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه فحسب . . لا أمام الله . . وهكذا نجد سارتر يدعو إلى الحرية المطلقة من كل قيد ! !

ولقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دى بوفوار ، التى قالت لنساء مصر فى صراحة تامة : نحن نريد أن نحطم (قوامة) الرجل ودعت إلى حياة زوجية محررة من (العقد الشرعى) كحياتها هى مع سارتر . . ولقد كشفت إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر فى الفترة الأخيرة خفايا كثيرة فى هذه الزيارة اللعينة . . فأشارت إلى أن (رفيق) سارتر وسيمون كان رجلا يهودياً (كلود لانزمان) وهو الذى وجه الزيارة على النحو الذى أرادته الصهيونية . . وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلوا سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشته هو أساساً . . وذلك مثلا حين كتب أحد الشيوعيين مقالا عنوانه (سارتر ضمير العصر) وكان سارتر يتساءل بعدها : (أنا ضمير العصر كله ؟ ! . . أنا لست حتى ضمير نفسى) ثم يطلب ضاحكاً من لانزمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب !

وتقول الكاتبة : (لقد سمع ورأى .. ولكنه لم يتأثر قيد أنملة بما سمع ورأى) .

لقد كان استقبالنا لسارتر أشبه بمظاهرة . . وكان كلامنا معه أشبه بالصدى فى واد مهجور . . إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة فى قيادته إلى أهدافها . . فقد دست (كلود لانزمان) بفكره الصهيونى المغلف بطبقة مزيفة من الفكر التقدمى للتضليل . . دسته على سيمون فى وقت كان فيه سارتر يتأرجح بين وجوديته والشيوعية . . فاستطاعت سيمون بتأثير من (لانزمان) أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءها منوماً أو كالمنوم . . فانبهر بما قدم إليه فترة . . قبل أن يعود إلى قواعده

سالماً . . وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف فى الظل وراء سارتر فى كل زياراته ليسمعه صوت (هرتزل) واضحاً مجلجلا وهو يهمس به إليه .

كان هذا فى مارس عام ١٩٦٧ وفى نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة . . فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر فى سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسواز جيرو وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التليفزيون الفرنسى كلمة سارتر التى قال فيها :

(إن قبولى لهذه الدرجة العلمية التى أتشرف بها له مدلول سياسى . . فهذا القبول يعبر عن الصداقة التى أحملها لإسرائيل منذ نشأتها) .

هذا سارتر الذى كتب (المسألة اليهودية) وهو الذى زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذى شارك فى المظاهرات ، ووقع على البيانات المؤيدة لإسرائيل . . وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية ، وهو الذى رفض من قبل كل الجوائز التى أهديت له بما فيها جائزة نوبل . .

وكان سارتر قد قام بزيارته لإسرائيل قبل حرب عام ١٩٦٧ ببضعة شهور . . وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت فى الأفق فى مايو عام ١٩٦٧ فسارع سارتر ومجموعة من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان فى تأييد إسرائيل التى سيدمرها العرب . . ولكن إسرائيل بدأت الهجوم ، واحتلت من الأرض ، وقتلت من العرب ، ودمرت . . فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه إلا بعد أن اشتعل أوار النضال الفلسطينى بعد الهزيمة ، وامتدت نيرانه إلى بعض العواصم الأوربية . .

وبعد فلقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب . . لأن دعوته هى نوع من هوى النفس . . وهى مواجهة لتحد عاشه فى عصره . . ولكن الزمن يتحول ، والفكرة التى تكون اليوم استجابة لوضع معين . . فإنها سرعان ما تسقط مع تحولات الزمن والبيئات . . ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهباً قائماً أو مستمراً . . وهكذا كل الأيدلوجيات البشرية التى صنعها الفلاسفة . . وظنوا أنهم قد استطاعوا حل مشاكل عصرهم . . ذلك أن هناك منهجاً واحداً : هو الذى يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان فى كل العصور والبيئات . . ذلك هو منهج الله الحق (لا إله إلا الله) .

الفصل الثانى عشر

المؤامرة على الفصحى لغة القرآن

لويس عوض

ما تزال المؤامرة على الفصحى لغة القرآن مستمرة منذ قدم النفوذ الأجنبي إلى العالم الإسلامى وحاول السيطرة عليه ومنذ ذلك الوقت ما تزال المعاول تضرب فى جدار اللغة العربية بهدف إدخال اللغة العربية إلى المتاحف كما دخلت اللغات اليونانية والسريانية والفرعونية وعشرات من اللغات ، ولكن هيهات فإن اللغة العربية الفصحى خالدة باقية لأنها تحمل على جناحيها آيات القرآن الكريم التى لا تزول .

هذه المؤامرة تلبس فى بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمى وتحاول أن تعتمد على بعض النصوص التى وردت فى كتابات الباحثين المسلمين فى فترة من الفترات التى غلبت فيها الفلسفة اليونانية وتأثر بها بعض العلماء أو بعض الشعراء على النحو الذى نراه فى كتابات المعتزلة عن قصة خلق القرآن على النحو الذى كتبه القاضى عبد الجبار أو من تأثر بالمفاهيم اليونانية الفلسفية من الشعراء أمثال أبى العلاء المعرى ، ثم يجىء اليوم بعض الباحثين ليستخدم هذه النصوص فى الغض من شأن اللغة العربية أو الادعاء عليها بدعاوى مختلفة يراد بها نقاصها و نقاص شرفها فى حمل آيات القرآن إلى العالمين .

ونحن نعرف أن قضية الفلسفة اليونانية وترجمتها إلى اللغة العربية وتأثيراتها ليست قضية مستقلة ، وإنما هى موجة من موجات هذا الفكر قد واجهها العلماء المسلمون بالرد الواضح الذى زيف هذه الآثار التى لبستها بعض أقلام الفلاسفة أو الكتاب أو الشعراء .

وقد كان واضحاً وضوحاً لا شك فيه أن علوم فقه اللغة والنحو والتاريخ قد نشأت وترعرعت وتكامل مفهومها الإسلامي قبل ترجمة الآثار اليونانية وهي علوم عربية أصيلة ، لم تتأثر بالفكر اليوناني وإنما الذي تأثر هو علم الكلام والبلاغة وهي تأثرات لم تستمر كثيراً ، فإن المحاولات التي حاول بعض الباحثين التأثير بها على المضامين العربية قد لفظتها اللغة والآداب العربية كما يلفظ الجسد القوى الجسم الغريب ، ولذلك فإنه سرعان ما ارتفعت صيحة الأصالة التي حررت الفكر الإسلامي كله من هذه التأثيرات وبرز مفهوم السنة الجامعة الذي استصفى وصهر في أعماقه كل إيجابيات فرق المعتزلة والشيعة والخوارج ، ولم تبق هذه الكتابات لا بمثابة وثائق تاريخية ولكن التغريب والاستشراق يحاول أن يعيد هذه القضايا الجزئية خارجة عن إطارها في المعركة العامة بين الفلسفات اليونانية وبين أصالة الإسلام التي ردت كل ما يتعارض مع التوحيد الخالص ، وقضية خلق القرآن ، هي إحدى القضايا التي جرت حولها أبحاث كثيرة وانتهى الرأى فيها إلى مفهوم أهل السنة وهي أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

وإن كتابات أمثال القاضي عبد الجبار في هذا المعنى ليست إلا جزء من هذه القضية التي انتهت والتي كانت تمثل تلك المحاولات التي حاولها قدامة بن جعفر في البلاغة أو الفارابي وابن سينا في الفلسفة أو ابن عربي والحلاج ، والسهروردي في التصوف ووحدة الوجود ، كل هذا رده الفكر الإسلامي الأصيل وكشف زيفه وتأثره بالفلسفات اليونانية وقد تعالت هذه الصيحة إلى تحرير الفكر الإسلامي من آثار الإغريق والمجوسية وغيرها في عشرات من الدراسات والأبحاث التي قطعت معها جهيزة قول كل شعوبي في القديم والحديث .

تاريخ متصل في الطعن على اللغة :

ومن هنا فإن هذه المحاولة التي يقدمها الدكتور لويس عوض في كتابه : (مقدمة في فقه اللغة العربية) ليست إلا حلقة جديدة من حلقات حربه المتصلة للغة العربية الفصحى التي بدأها منذ ظهور ديوانه (بلوتولاند) الذي طبعه عام ١٩٤٧ وأعلن فيه الحرب على الفصحى وما يتصل بذلك من دعوته إلى

العامية وكسر عامود الشعر ، وقد ادعى من قبل أن استخدام العامية سيؤدى بعد قرنين إلى ترجمة القرآن إلى العامية ، وقد أراد الدكتور لويس عوض فى كتابه الجديد الدخول إلى هذا الموضوع بأسلوب جديد ومن ذلك دعاوى زائفة منها دعواه العريضة بأن العرب لم يكونوا إلا قوماً من القوقاز هاجروا إلى الجزيرة العربية وقد ادعى هذه الدعوى المعارضة لطبائع الأشياء ولمختلف صور الهجرات التى ترى أن المهاجرين يخرجون من الأرض الجافة إلى الأرض الخصبة ، وأن الصحيح الذى ثبت أن الجزيرة العربية هى التى كانت منزحاً لهجرات كثيرة منها إلى خارجها ، ولكن الدكتور لويس عوض يعارض كل نواميس الكون والحضارة من أجل أن يصل إلى غرض بعيد المدى هو الادعاء بأن اللغة العربية ليست إلا فرعاً من فروع الشجرة التى خرجت منها المجموعة الهندية الأوربية وأن هناك من الأداة ما يشير إلى وجود علاقة بين العربية وبين القوطية والجرمانية القديمة .

وبدلا من أن يقال : إن اللغة العربية قد دخلت إليها عشرات أو مئات الكلمات من اللغات الأجنبية يجىء الدكتور لويس عوض ليعلن هذا الرأى الخطير الذى لم يقدم له أى دليل علمى أو تاريخى أو حتى مجرد افتراض افترضه باحث قبله فهو يحاول إلقاء هذه الشبهة على نحو غريب لم يعهده البحث فى العلماء الذين يقدمون بين يدى أبحاثهم بالوثائق والأسانيد ويقول فى جرأة غريبة :

(وقد انتهيت من أبحاثى إلى أن اللغة العربية هى إحدى فروع الشجرة التى خرجت منها اللغات الهندية الأوربية) ، ثم يصل بعد أن يعتبر اللغات اليونانية فرعاً من هذه الشجرة ، واللغات العامية فرعاً آخر ، إلى القول : فالأمر إذن يتجاوز أن يكون مجرد اقتباس اللغة العربية لمئات الألفاظ أو آلاف الألفاظ من اللغات الهندية الأوربية المحيطة بها كاليونانية واللاتينية والهندية وأكثرها من ألفاظ الحضارة كما كان يظن بعض فقهاء اللغة ، لأن اللغة كغيرها من اللغات السامية ليست فى صلبها وسمتها الأصلى إلا تطوراً طبيعياً من نفس الجذور التى خرجت منها السنسكريتية وإيرانية الزند واليونانية واللاتينية والمجموعة التيوتونية وأن ما نجده من أسماء الأعداد والحيوانات

والنباتات مشتركة فى الجذور يشتبه فى أن هذا التواتر ليس نتيجة للتأثر والتأثير وإنما نتيجة لوحدة فى الأصول .

ولا ريب أن هذه النظرية مرفوضة أساساً لأنها لا تقوم على أى دليل علمى ولا سند واضح وأنها ليست سوى فرضية تحيطها كلمات الاحتمال المغرض الذى يطوى من ورائه غرضاً مبيتاً وهدفاً مقصوداً لا يخرج عن الخط الذى سار عليه الدكتور منذ مطالع حياته .

ولقد ترددت محاولات الدكتور لويس عوض بين امتعاض اللغة العربية والغض من قدرها أو محاكمتها إلى منهج علم اللغات الغربى الذى وضع تحت ضوء تطور اللغات الأوربية بعد انفصالها عن اللاتينية وتحولها من لهجات محلية إلى لغات ، هذه الظاهرة التى تختلف فيها عن اللغة العربية التى حماها القرآن من التحول إلى لغة تاريخية كما تطمح أهواء الاستشراق ، وكما جرت المحاولات المتعددة لإعلاء العاميات العربية للقضاء عليها دون جدوى .
إن محاولة إخضاع اللغة العربية لعلم اللغات الأوربى هى محاولة فاسدة ومضللة ، وإذا كان الدكتور لويس عوض يحاول أن يغض من شأن العرب واللغة العربية لأنها من نتاج الألف الأولى قبل الميلاد وقد سبقتها أمم وحضارات كآشور ، وبابل ، والبطالسة ، ويونان ، ومملكة سبأ ، ومعين ، وفينيقيا فأين هى الآن هذه الأمم كلها من العرب الذين خلد ملكهم باللغة العربية التى اتخذها القرآن الكريم أداة له وهى اللغة التى لم يقل العرب والمسلمون يوماً بأنها مقدسة وإنما كرمها نزول القرآن بها وأعطاها هذه الميزة ، التى تعلو فيها وتختلف عن اللغات التى نزلت بها التوراة (العبرانية) والإنجيل (الإرامية) وهى لغات انطوت وانتهت بالرغم من محاولة الصهيونية إحياء لغة جديدة عبرية تختلف عن لغة التوراة .

والدكتور لويس عوض يعرف كيف سيطرت اللغة العربية بفضل حملها رسالة القرآن على اللغات المختلفة التى كانت تعيش فى هذه المنطقة كالإرامية والقبطية وغيرها ، وكيف قطع القرآن الامتداد التاريخى فى هذه المنطقة بين ألف سنة من حكم الرومان والفراعنة وبين ظهور الإسلام ، وكيف انتهت وثنية فارس والهند والرومان عن هذه المنطقة العربية هذا

الانقطاع التاريخي الذى تحدث عنه المؤرخون المنصفون غير ذوى الأغراض والأهواء .

والدكتور لويس عوض يعرف أن هذه (السامية) المدعاة هى زيف من الزيف ، وأنها ليست حقيقة تاريخية ، وإنما هى من مبتكرات أحد المتزلفين إلى اليهود حتى تنسب إليها أمجاد التاريخ العربى القديم وسلبه من أصحابه الحقيقيين وخاصة إسماعيل بن إبراهيم وأبناءه وأحفاده وإضافة ذلك كله إلى مصدر غامض ليس له سند علمى ويستمد مصدره الأساسى من التوراة التى كتبها اليهود بأيديهم وليست التوراة الحقيقية المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وذلك بهدف إشراك اليهود مع العرب فى هذه الأمجاد بينما لا يوجد لليهود أى اتصال بإنشاء هذه الحضارة .

ذلك أن (الإبراهيمية الحنيفية) هى أم هذه الحضارة الحقيقية ولما كان مطمح اليهود هو طمس هذه الحقيقة فقد ابتكر شلوسر هذه الدعوى (السامية) اعتماداً على ما جاء فى التوراة المكتوبة بأقلام الأحبار فى بابل ، بينما لم يرد هذا المصطلح مطلقاً فى كتابات العرب والمسلمين على مدى التاريخ وهذا (شلوسر) الذى اتكأ عليه الدكتور لويس عوض فى دعواه وهو موضع الشبهة نتيجة لهذه الخطة الواضحة الهدف .

وقد برز هذا المعنى فى ظل تقسيم مستحدث ظهر فى أوربا أبان استعلاء نزعة العنصرية الأوربية التى قسمت العالم إلى ساميين وآريين لتضع العرب والمسلمين فى قائمة موازية للجنس الآرى غير أن المحاولة التى رمت إلى ترويج مصطلح السامية فى دراسات اللغات فى الجامعات إنما كان يرمى إلى حجب الإبراهيمية الحنيفة الأم الحقيقية للعرب والعربية وهى محاولة ماكرة خطيرة تهدف إلى نسبة أمجاد التاريخ الإسلامى إلى اسم قديم لا يعرف التاريخ له مصدراً واضحاً أو صحيحاً وهو السامية .

والغربيون يعرفون أن التوراة التى فى أيدى الناس اليوم هى توراة مكتوبة بأيدى الأحبار ، وقد تطور الفكر الاستشراقى مرحلة أخرى هى التى يقدمها لنا اليوم الدكتور لويس عوض بدعواه أن اللغة العربية فرع من شجرة واحدة مع اللغات اليونانية .

يقول الدكتور لويس عوض : (القضية التى حاولت طرحها وإثباتها فى هذا الكتاب هى أن صلب اللغة العربية ذاته كان من نفس الشجرة التى تفرعت منها المجموعة الهندية الأوربية حتى قبل هجرة العرب من موطنهم القوقازى إلى شبه الجزيرة التى تحمل الآن اسمهم وبالتالى فإن ما نجده من عناصر غير هندية أوربية هو الدخيل وليس صلب الأصلاب) .

وهذه مغالطة واضحة وادعاء باطل لا دليل له ، ترمى إلى ما ذكره الدكتور لويس عوض بعد ذلك بقليل وهو الغض من شأن مكانة اللغة العربية ، والقول : بأنها واحدة من اللغات التى نزلت بها الكتب المقدسة من ناحية وأن ما يقال عن إعجاز القرآن لا يعدو أن يكون فى صرف الله قلوب العرب عن محاولة الإتيان بمثله وهو ما كان يقول به فريق من المعتزلة ومن أجل ذلك ركز على كتاب القاضى عبد الجبار . وقد التقط الدكتور لويس عوض بعض عبارات من كتب فقه اللغة (المزهر للسيوطى ، والألفاظ والحروف للفارابى الجوهرى ، والخصائص لابن جنى) ليثير بها الشبهات حول إعجاز القرآن ، وهاجم الدكتور لويس عوض ما أسماه تطرف الإحساس بشرف اللغة العربية وعلوها على غيرها من اللغات بعد العربية نظرهم إلى شىء نجس ينبغى أن تنزه عنه اللغة أو عورة ينبغى — الاعتذار عنها .

ولا يهدف من هذا التقول غير الإلحاح بالإشارة إلى إزالة مكانة اللغة العربية (بوصفها لغة القرآن) ومحاولة هدم مكانتها بالنقل من الكتب بعض النصوص المبتورة التى تؤيد وجهة نظره ، أو الاستعانة برأى القائلين بخلق القرآن والتشكيك فى قدم اللغة العربية أو مكانتها لأن هذه مكانة تشترك فيها مع كل اللغات التى نزلت بها رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونحن نعرف أن القاضى عبد الجبار ومفاهيمه كلها داخلة فى دائرة الفلسفة اليونانية وأنها تقلل من فكرة تقبل الألفاظ المستعارة من اللغات الأخرى ، ولقد كان المسلمون على خطة تختلف بل وتتعارض مع رأى القاضى عبد الجبار ، فقد كافحوا هذا التدخل وصنعوا الألفاظ العربية لكل المفاهيم التى قدمتها العلوم المترجمة ، وكشفوا عن أن هذه الألفاظ الأعجمية المدعاة فى القرآن (مثل سندس واستبرق وسجيل) هى كلمات عربية الأصل .

بل أن الدكتور لويس عوض يريد أن يعلى من شأن القاضى عبد الجبار على الإمام الشافعى صاحب الصيحة الأولى فى رد المسلمين عن الفكر اليونانى المستمد من علم الأصنام ، ويعترض على قول الإمام فى : إنه يقرر أنه حينما يجد لفظين متشابهين فى اللغة العربية وفى لغة أجنبية ، أن اللغة الأجنبية هى التى أخذت من العربية وليس العكس لأن الناقص يأخذ من الكامل ويشكك الدكتور لويس عوض فى رأى الإمام الشافعى بأن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ويقول : إن هذا الموقف ينسب إلى العرب ولغتهم عراقة ليست لهم دلالتها بين الحضارات القديمة .

وفى ثنايا البحث يدس الدكتور لويس عوض كثيراً من السموم فهو يعتمد على كتاب (الخوارج والشيعة) ليوليوس فلهاوزن فى الوصول إلى القول : بأن القول بشرف اللغة العربية هو مصدر الخلاف الذى نتجت عنه فرقتا الخوارج والشيعة ، وأن دعاة السيادة العربية هم الذين كانوا حريصين أشد الحرص على إثبات نقاء القرآن من كل كلمة أعجمية ، أما الشعوبيون فقد حرصوا على أن يثبتوا أن القرآن قد داخلته ألفاظ أعجمية عديدة ولا شك أن هذا ادعاء غير صحيح ، فإن نظرية الموالى التى ركز عليها لم تكن على هذا النحو الذى ضخمه المستشرقون ، أن أبناء الأقطار المفتوحة كانوا أشد اعتزازاً بالقرآن وباللغة العربية من أهلها العرب وأن الأمور لم تكن على هذا النحو من أنحاء الخلاف بين الحاكمين العرب فى عهد الدولة الأموية والمحكومين من كافة المسلمين .

علماء لا رجال دين :

كذلك فقد أخطأ الدكتور لويس عوض عندما وصف الحكومة بأنها حكومة (تيوقراطية) على نحو الحكومة الدينية التى عرفتها أوربا ، وهذا النوع لم يعرفه العالم الإسلامى ولا يقره مفهوم الإسلام الصحيح فليس فى الإسلام أساساً رجل دين وإنما هناك عالم دين لا يعدو مكانه فى توجيه الحاكم والنصح له .

ويحاول الدكتور لويس عوض أن يقدم نصاً من رسالة الغفران للمعرى يسخر فيه من أن اللغة العربية هى لغة الجنة ، وأن آدم كان يتكلمها فى الجنة

فلما نزل إلى الأرض تكلم بالسريانية ، ونحن نعرف أن المعرى كان من ضحايا الفلسفة اليونانية وأنه تردد كثيراً بين هذه المفاهيم الزائفة .

ولا ريب أن فكرة خلق القرآن هذه فكرة دخيلة على الفكر الإسلامى ، وأن هناك من كان يقول بخلق التوراة ، وإنها جاءت مع سموم الفكر اليونانى وقد صفت حركة اليقظة الإسلامية هذه المفاهيم جميعاً ولقد كان مفهوم أهل السنة والجماعة الذى قال به الإمام أحمد بن حنبل : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولم يقل : بقدم القرآن ، وإن المفهوم العقلانى المطلق الذى ذهب إليه المعتزلة لم يكن مفهوم الإسلام الصحيح وهذا ما صححه من بعد ظهور الإمام الأشعرى ومن العيب الذى وقع فيه الدكتور لويس عوض ومن قبله الدكتور زكى نجيب محمود ، هو التقاط (شبهات) من خلال معركة طويلة استمرت قرنين كاملين لطرحها من جديد اليوم وبلبلة الأفكار بها ولقد كان حقاً على الباحثين المنصفين أن يتحدثوا عن هذه القضايا فى إطار عصرها وأن يكشفوا الحقيقة التى انتهت إليها وهى سقوط مذهب الشعوبية كاملا واستصفاء السنة الجامعة لكل ما هو إيجابى من هذه المذاهب والفرق وليعلم هؤلاء إن محاولة إعادة بث هذه الشبهات من جديد للنيل من شأن القرآن أو اللغة العربية هو عمل مكشوف مفضوح قد تنبه إليه المثقفون المسلمون فلم يعد يخدعهم وأنه لمن المؤسف حقاً أن يعتمد الدكتور لويس عوض فى إثارة هذه القضية الكبرى على مصدر غربى مشبوه هو (شلوسر) ومصدر إسلامى له وجهة نظر جزئية هو القاضى عبد الجبار فى إثارة مثل هذه القضايا وما أظن هذه الإثارات ببالغه شيئاً ولن تحدث من الدوى والإثارة ما أحدثته كتابات طه حسين على عبد الرازق من قبل ، فقد مضى ذلك العهد وانقضى مذاهب الاستشراق ودعاواه وتساقطت أهواؤه وسمومه فلم يعد يخدع بها أحد .

* * *

الباب الثاني

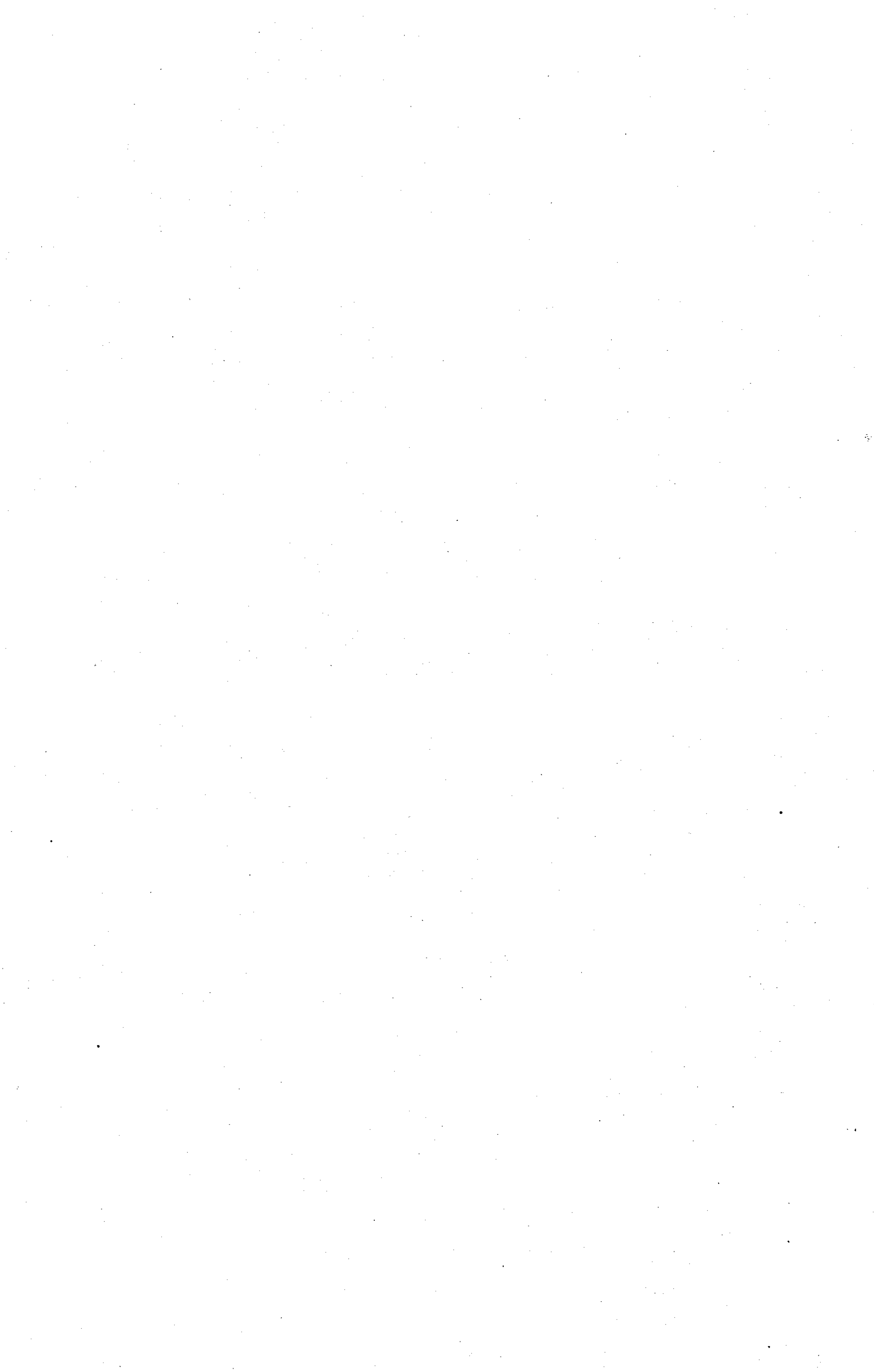
كتـــاب العصـــر

الفصل الأول : جيل الرواد .

الفصل الثاني : كتاب لبنان المارون .

الفصل الثالث : الفن والمسرح .

الفصل الرابع : دعاة التغريب .



الفصل الأول

جيـــل الرواد

١ ـ رفاعة الطهطاوى .

٢ ـ لطفى السيد .

٣ ـ على عبد الرازق .

٤ ـ أمين الخولى .

٥ ـ حسين فوزى .

٦ ـ عباس محمود العقاد .

٧ ـ محمد حسين هيكل .

٨ ـ طه حسين .

(١)

رفاعة الطهطاوى

كان رفاعة الطهطاوى إمام البعثة المدنية التى أوفدها محمد على إلى باريس عام ١٨٢٦ وهو تلميذ حسن العطار ، وخريج الأزهر الذى أمضى ست سنوات فى باريس وشهد الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠ وتعلم الفرنسية ، وكانت له أعمال نافعة بعد عودته مثل إنشاء مدرسة الألسن ، وتولى رئاسة تحرير الوقائع المصرية عام ١٨٤٢ ، كما رأس مجلة روضة المدارس — عام ١٨٧٠ م .

وله كتاباه الخطيران :

تخليص الإبريز فى تلخيص باريز .

مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية .

ودعوة رفاعة الطهطاوى لها عوامل إيجابية وعوامل سلبية ، فلا شك أن الدور الذى قام به وأصحابه وتلاميذه فى ترجمة الفكر العلمى الغربى كان عملا نافعاً لا شك فيه ولكن مجموعة آرائه لم تكن الفكرة الإسلامية فيها واضحة بل ربما شابها لون من الإقليمية من ناحية والانبهار بالفكر الغربى من ناحية أخرى ذلك أن محمد على كان قد حمل فى هذه الفترة لواء الإقليمية المصرية فى مواجهة الدولة العثمانية ، كما كان للفرنسيين الذين خرجوا من بعد الحملة الفرنسية مهزومين من مصر ، وقد عادوا مرة أخرى مؤازرين له فى بناء الدولة ، أبعد الأثر فى ذلك الاتجاه المضطرب الذى عرف به رفاعة الطهطاوى .

إن رفاعة لم يستطع أن يتعمق الفكر الغربى ولم يتبين انحرافه وفساده ، فقد خدع إذ ظن أنه هو الفكر الإسلامى مترجماً ، وهو كذلك من بعض جوانبه

(وربما فى القانون الذى أخذه نابليون من مذهب مالك) ولكن الغربيين أخضعوه لأوهامهم وأدخلوا إليه إباحة الربا والزنا ، فكانت نظرة رفاعة لهذا مضطربة أو مهومة ، أو لم يستطع أن يستبين الفوارق العميقة بين الشريعة الإسلامية وبين قانون نابليون .

ولذلك فقد وقع فى أخطاء كثيرة منها تنازلاته بالنسبة للهجة العامية على حساب الفصحى ، وعبارة حب الوطن من الإيمان (وكان الوطن فى مفهوم الإسلام) هو الوطن الإسلامى كله وليس مصر وحدها ، كذلك فقد كانت ترجماته للفكر الغربى مطلقة وكان يجب أن تحاط بسياج واضح من التعريف والتحذير ، ومعرفة الوجهة وبالفروق الواضح بينه وبين الفكر الإسلامى . بل لقد ذهب رفاعة إلى أبعد من ذلك حين ترجم كتاباً عن مصر الفرعونية وحاول أن يؤلف عن مصر قبل الفتح الإسلامى . وقد عرفت له كتابات وقصائد وقد امتلأت بمشاعر الفخر بأمجاد قدماء المصريين ، ولا ندرى لماذا ضيق رفاعة النظرة الإسلامية الرحبة فى ذلك الوقت إلا إرضاء لمحمد على الذى كان على خلاف مع الدولة العثمانية ، أو ربما إرضاء لأساتذته من مستشرقى فرنسا وبذلك يكون من أوائل من تأثر بمنهج الاستشراق .

وقد كانت هذه الدعوى التى حمل لواءها مقدمة لما قام به (محمد عثمان جلال) من ترجمة القصص الفرنسية إلى العامية المصرية ، وظهور السوريين مترجمى القصص الفرنسية الجنسية وبروز طابع العامية المصرية مختلطاً بالقصص الهابطة (وإن كان رفاعة الطهطاوى قد حافظ على مفهوم الترجمة الأصيل فى نوعيته وأسلوبه ، ولكن النفوذ الأجنبى استطاع استخدام هذه الخيوط الدقيقة لتحريك دعوته وتنمية فكرته التغريبية ، فى الدعوة إلى العامية ، وإلى الإقليمية ، وإلى استغلال رفاعة فى إبراز ما يسمونه عظمة الحضارة الغربية ، ثم تردت حركة العامية فيما بعد على نحو خطير بدعوة ولكوكس ، ولطفى السيد ولكن حركة البارودى كانت عاملا هاماً فى العودة إلى الأصالة ثم جاء كامل كيلانى ، والهراوى ، والرافعى حماة الفصحى فى السنوات الأولى للحملة الضارية وفى الحقيقة أنه ليس هناك أى وجه للمقارنة بين الطهطاوى والأفغانى ، فقد كان الأفغانى داعية الوحدة الإسلامية وإحياء

القرآن كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وكان منادياً بالتنظيمات السياسية : من نيابية وجمهورية فى نطاق الإسلام ، أما رفاعة فإن الأمر يختلف وهناك فارق بعيد وليس هناك أى خيط يمكن أن يقال : أنه يربط بين رفاعة والأفغانى إلا الضدية ، فهذه دعوة إسلامية خالصة وهذه إقليمية علمانية ، أما رفاعة فهو أستاذ للطفى السيد ، وطه حسين ، وسلامة موسى . . نعم ، إن تنبيه الذهن الذى قام به رفاعة الطهطاوى لم يكن نحو الأصالة ولكن كان نحو التبعية ، نحو الخط الذى اتسع من بعد ، هذا الاتجاه الذى أعلن طه حسين أنه تجاوز طريق محمد عبده وأسلوبه فى الإصلاح إلى التغريب الواضح الصريح ، من الحق أن يكون طريق رفاعة هو طريق سعد زغلول أو طريق لطفى السيد ولكنه ليس طريق الأصالة .

لقد استطاع التغريبيون والماركسيون اتخاذ رفاعة قنطرة إلى دعواهم المضللة تحت اسم التقدمية والعصرية والعلمانية ولكن الواقع أن رفاعة لم يكن مفكراً أصيلا إلا فى بعض المجالات الفرعية كالتعليم والترجمة ، أما كمفكر فقد كانت نظريته العامة مشوبة بروح الانبهار بالغرب .

* * *

(٢)

لطفى السيد

(التغريب)

يسمونه أستاذ الجيل : ذلك الجيل الذى كونه كرومر واختاره ليرأس تحرير صحافة التغريب (الجريدة) الذى كان لسان حزب الأمة : حزب التبعية الفكرية والسياسية للنفوذ الأجنبى ، دعا لطفى السيد إلى أمور :

أولا : إقامة الوطنية على أساس المنفعة والمصلحة والتفكير تفكيراً مادياً . نزع صفة القداسة فى الوطنية التى حاول مصطفى كامل أن يغرسها فى قلوب الناشئة والمواطنين والنظر إلى الوطن نظرة مادية خالصة .

ثانياً : تأييد الاتجاه البريطانى الذى حمل له من بعد سعد زغلول وزير المعارف وهو عدم تعليم العلوم باللغة العربية وتعليمها باللغات الأجنبية بحجة اشتباه مصالح الأمة ومعاملاتها مع الأجانب وضعف التلاميذ فى اللغة الإنجليزية .

ثالثاً : مقاومة تعليم سواد الأمة ومعارضة الاتجاه إلى المجانية وذلك حتى يمكن المحافظة على وجود طبقة معينة تحكم البلاد وهو تأييد للاتجاه الاستعمارى .

رابعاً : تمجيد مزايا السياسة البريطانية ومدح كرومر واعتباره رجلا من أعظم الرجال ليس له ند يضارعه فى عظائم الأعمال ، ومحاسنه المحتل والدعوة إلى التعقيل .

خامساً : معارضة الدعوتين إلى العروبة وإلى الوحدة الإسلامية الحركة التى قامت لمعاونة طرابلس الغرب عند ما احتلتها إيطاليا عام ١٩١١ م .

سادساً : مؤامرة خطة ولكوكس فى تمصير اللغة العربية والتقرب من العامية والتقليل من أهمية اللغة العربية الفصحى .

وقد كانت دعوة لطفى السيد تمهيداً للنظام السياسى الذى حكم بعد الحرب العالمية الأولى والذى تمثل فى حزب الوفد من ناحية وفى حزب الأحرار الدستوريين بمعنى أن هذه الأحزاب كانت تتحرك فى دائرة الولاء للنفوذ الأجنبى ، ودون الاختلاف معه أو معارضته فى الأمر الأول وهو بقاء الاحتلال مع التبعية الكاملة للفكر الليبرالى الغربى وكان سعد زغلول من أكبر زعماء هذا الاتجاه الذى صنعه كرومر . وقد قام حزب الأمة على الإقطاعيين ووقف موقف المهادنة مع الإنجليز وتحول إلى العمل السياسى بعد الحرب تحت أسماء جديدة فكان وريث ثورة عام ١٩١٩ م .

* * *

وعلى طريق حياة لطفى السيد كان عمله الذى طالما ردده مؤرخوه وهو مترجمات أرسطو التى ترجمت من الفرنسية :

(الأخلاق ـ السياسة ـ الكون والفساد) .

وهى منسوبة إليه ولكنه ليس هو مترجمها فى الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية (ويشهد بذلك أحد مديرى دار الكتب الأستاذ أحمد عابدين)(١) .

كذلك فقد كان حامياً وحاضناً لدعوة التغريب التى نمت فى الجامعة المصرية وفى كلية الآداب بالذات وقد عاش مدافعاً عن الدكتور طه حسين كلما تعرض للخطر . وقد استمرت كراهيته للعالم الإسلامى وللدعوة إلى العروبة ما بقى من حياته وأقام على مفهوم الأقليمية المصرية .

* * *

أصدر نيابة عن حزب الأمة (جريدة الجريدة) جريدة تنطق بلسان مصر ومتحررة تماماً من المفهوم الإسلامى العربى الجامع ، والقصة معروفة ، فقد دعا كرومر بعد ظهور الحزب الوطنى إلى الالتقاء ببريطانيا فى منتصف

---

(١) هذا الكشف عن ترجمة كتب بارتلمى سانت هيلار الفرنسية التى وصفها كل قرائها بالتعقيد يدحض كلام الدكتور طه حسين الذى وصف لطفى السيد بأنه ليس له نظير فى الكتابة والترجمة قال : وازعم أنه ليس بين المصريين وغير المصريين من يستطيع أن يجد له نظيراً فى هذه الوجوه الثلاثة كاتباً ومفكراً أو مترجماً) .

الطريق وجمع لحزب الأمة مبلغاً ضخماً من المال وكانت الجريدة إحدى الدعامتين اللتين أقام عليهما كرومر نفوذه فى مصر (سعد زغلول فى نظارة المعارف) ولطفى السيد فى الجريدة

وقد قدم هذه النظرية الاستعمارية التغريبية فى الجريدة من عام (١٩٠٧ — ١٩١٤ م) ولم يضف إليها شيئاً من بعد حتى نهاية حياته ١٩١٥ — ١٩٦٣ بالرغم من التغيرات الخطيرة التى حدثت خلال حربين عالميتين وهى فترة تقل قليلاعن خمسين عاماً ولقد كانت أيدلوجيته هذه هى النظام الذى حكم مصر بعد الحرب الأولى مباشرة حتى سقطت الحزبية السياسية بحركة الجيش عام ١٩٥٢ .

قال عبد الحميد الكاتب فى حديث مع لطفى السيد فى أواخر أيامه هل ما زلتم تعارضون فكرة الوحدة العربية ؟

قال لطفى السيد : أنت لست طبعاً مصرياً ، لو كنت يا بنى مصرياً لما أضعت وقتى وأضعت تفكيرك ومجهودك فى الكلام فى موضوع قضيت على فكرته الضارة منذ أن كتبت ستاً وعشرين مقالة موضوعها :

(أقيموا الأسوار حول مصر)

وتحدثت فيها عن اللبنانى والسورى اللذين كان يدعوان إليها .

ثم قال : لقد ماتت الفكرة بعد أن كاد خطرها يتسرب إلى عقول بعض المصريين ،حاولت أن أناقشه وأحاوره وأذكره أن الفكرة قائمة فى أذهان بعض السياسيين والمفكرين ، والمفكرين الذين قابلتهم ، فلا يصدق ، أولا يريد أن يصدق، ويرى أن لكل شيء تفسيراً غير الاقتناع بفكره الوحدة العربية.

قال : ولم يكن لطفى السيدوحده فى هذا الاتجاه فقد كان تلميذه طه حسين وإلى حد ما تلميذه الثانى :الدكتور هيكل قريبين من هذا الاتجاه .

وقد وصف الأستاذ عباس (حافظ لطفى السيد أستاذ الجيل) بأنه رجل متحذلق ، ضيق الاطلاع ، يملأه الغرور .

ولا يزال شباب العاصمة الأدباء يتضاحكون من قولة التى فضحنا بها فى تقديم الشاعر الهندى طاغور فقد كان يجب أن يقول شيئاً وهو مدير الجامعة وهو مدير الجامعة المصرية فماذا قال .

قال : إن طاغور مزيج من عمر ابن الخطاب وتولستوى ، وهى كلمة أقل ما فيها من الدلالة أنه لا يعرف تولستوى ولا عمر بن الخطاب ، ولا طاغور إذ ليس فى العالم ثلاثة رجال بينهم من المسافة أبعد مما بين هؤلاء الثلاثة المختلفين فى نزعة الفكر وطبيعة العمل وتركيب المزاج وسأله بعض الأدباء المتخابثين عن (نيتشة) قبل سنوات فلم يشأ أن يظهر الجهل به وأبت له الحذلقة إلا أن يقول شيئاً فقال : آه نيتشة : إنه رجل متصوف ، إنه رجل محب للكمال وكانت سخرية الأدباء به فى تلك الآونة بالغة لأن الذى يقول فى أبى نواس فلا رضى الله عنه ونفعنا بكراماته أنه كان من أولياء الله الصالحين لا ينم عن جهل الذى يصف نيتشة بالتصوف أياً كان معنى التصوف الذى يريد .

أما ضيق اطلاعه فالدليل عليه بسيط حاسم كهذا الدليل الذى لا لجاج فيه ، فإن لطفى السيد قد ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو فاسألوه أين مقدمة وهو على ذلك الكتاب ليس فيه إلا ترجمة المقدمة الفرنسية مع أن تقديم أرسطو إلى العربية ألزم وأليق بنا من تقديمه إلى الفرنسية أما إن هذه المقدمة غير لازمة فلا ، وأما أن كتابتها فوق طاقة الأستاذ الفيلسوف وفوق مقدور اطلاعه فذلك هو التعليل الوحيد المعقول ويزيده عجزاً فى عجز ، أنه قضى فى ترجمة الكتاب خمس سنوات أو ستاً فلم تكفه هذه المدة لاستيعاب بعض المعلومات التى يدارى بها ذلك النقص المعيب (ولم يكن قد ظهر بعد أنه لم يترجم الكتاب وإنما وضع اسمه عليه) .

مضى زمان كانت الحذلقة فيه مع قليل من البروباجندا هى غاية الفلسفة وغاية الشهرة وكان أستاذنا الفيلسوف يتحذلق وكان ينطق اسم كرومر (كرومير) وكان مراسل وادى النيل يسأله : هل أنتم موفدون فى مهمة سياسية فلا يجيبه الأستاذ قبل أن يلخمه بما فتح الله عليه من العلم الواسع .

أتعنى مهمة دبلوماطيعة أو مهمة بوليطيقية ومن كان يعرف ذلك فبالله كيف لا يكون فيلسوفاً . ولا نذكر ما كتبه فيلسوفنا عن شكسبير فقد ضحك منه حتى الطلبة الذين يدرسون روايات شكسبير فى المدارس الثانوية وغاية علمه أنه واحد من المفتين الذين يضجعون على كراسيهم فى أمان واسترخاء

ثم يفتون فى الأكوان والأمم والرجال وهم أضعف ما يكون الإنسان عن عمل عمل ، أو رأى يسلم من الخيال والاضطراب لم يفلح فى مجلة الشرائع ، ولا فى النيابة ، ولا فى المحاماة ، ولا فى الجريدة ، التى أنفقوا عليها ثمانين ألف جنيه ولا فى الوفد ولا فى المكتبة الملكية ولا فى الجامعة المصرية .

(كوكب الشرق — ٣١ يوليو عام ١٩٢٨)

* * *

يعد لطفى السيد أول من ضرب وحدة الفكر الإسلامى العربى وفرقه إلى تيارين ، قومى ودينى وسارت الأحزاب المصرية المنبثقة من حزب الأمة على نفس الطريق الذى رسمه كرومر ونفذه لطفى السيد ، حتى عام ١٩١٤ ثم حمل لواءه سعد زغلول بعد الثورة المصرية ، واستطاع هذا الاتجاه أن يسيطر بعد الاستقلال وأن يمتلك نفوذ الحكم والسيطرة السياسية بينما وقف الاتجاه الآخر على الأرض الشعبية وبرز من خلال مؤسسات الجمعيات والأزهر والصحف والكتب ،وكانت كراهة لطفى السيد للعالمين ، العربى والإسلامى ومعارضته للانضمام إلى أحدهما وإلحاحه حتى وفاته على الاقليمية المصرية من أبرز معالم حياته وكانت الجريدة ممثلة لهذا الاتجاه (فالجريدة شركة يرأسها محمود سليمان باشا) متعاونة مع المحتل وهى جريدة تنطق بلسان مصر ، لا تميل إلى تركيا ولا إلى بريطانيا ويعنى هذا أنها من صنع بريطانيا والقصة معروفة فقد دعا كرومر بعد ظهور الحزب الوطنى (مصطفى كامل) إلى الالتقاء ببريطانيا فى منتصف الطريق وقدم لطفى السيد من (١٩٠٧ — ١٩١٤) فى الجريدة نظرية كاملة للتفاهم مع الاستعمار ، قوامها دعوته إلى قصر التعليم على أبناء السراة ، هذا وقد كانت الوزارات التى اشترك فيها جميعها تتسم بطابع واحد فهى وزارات انقلاب ضد الدستور (الذى كتب لطفى السيد مقالات مطولة يطالب به) والبرلمان والحريات العامة ،والباحث فى حياة لطفى السيد ليس بوسعه أن يتجاهل ذلك التناقض ، كيف يشترك داعية الدستور فى وزارات عبثت بالدستور وصادرت الحرية ، ولقد بدا لطفى السيد مدفعاً عن الحرية ، وانتهى به الأمر وزيراً فى وزارات الانقلاب والإرهاب ،

وحزب الأمة الذى كان يمثله بالجريدة يقوم على الإقطاعيين أصحاب المصالح الحقيقية ، وكان يرى أن السلطة الفعلية هى المعتمد البريطانى ويقف موقف المهادنة مع الاحتلال ، وكان من حزب الأمة المعلنين مهادنة سلطات الاحتلال فضلا عن أنه احتضن الفكر الوافد والتعريب ، هذا فضلا عن أن مترجمات أرسطو هى منسوبة إليه وليس هو مترجمها فى الحقيقة وإنما قام بترجمتها قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية ومن أبرز المواقف المؤسفة فى حياة لطفى السيد زيارته لفلسطين المحتلة وحضور افتتاح الجامعة الصهيونية فوق جبل صهيون .

* * *

لطفى السيد : (فصل من كتاب بناء الأسرة القرآنية) :

ثلاثة محاور فكرية :

١ – الدعوة إلى القومية المصرية .

٢ – الدعوة إلى مذهب الحريين .

٣ – الدعوة إلى مذهب التعقيل .

١ – جاء لطفى السيد بفكرة الجامعة المصرية لتحل محل فكرة الجامعة الإسلامية التى عاشت مصر لها ورأت فيها عزها ومجدها بل عز الإسلام ومجده ومن المعروف أن دولة الخلافة العثمانية كانت تحمل لواء الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ووحدة الشعوب الإسلامية ، فجاء لطفى السيد بفكرة القومية كما بشرت بها الفلسفة الغربية الوثنية وكما أوحت بها المنظمات الماسونية ، جاء ليخالف ما اجتمعت عليه اتجاهات المواطنين المصريين ليخوض فى تركيا وليعلن الحرب عليها متضامناً مع القوى الاستعمارية الغربية المتآمرة على تفتيت دولة الخلافة ، هذا فى الوقت الذى يجثم فيه العدو البريطانى على صدر مصر مخضعاً كل شىء فيها لأمره ونهيه عاملا فيها بسلاح التفرقة تحت مبدئه المعروف (فرق تسد) .

ووقف لطفى السيد معاونا للزعيم مصطفى كامل فى موقعه ضد الاحتلال وما كان يرمى إليه بإخراج إنجلترا دولياً لأن مصر بمقتضى معاهدة لندن عام ١٨٤٠ م ، كانت داخلة فى نطاق دولة الخلافة العثمانية ولكن أستاذ الجيل لم يرض هذه السياسة وذهب يشنع عليها بدعوى القومية المصرية ليقدم للاستعمار أكبر فائدة بفصل مصر عن مصدر القوة الوحيدة التى تستمده ومن نسبها الإسلامى وعلاقتها بدولة الخلافة .

٢ – بالنسبة لمذهب الحريين يدعو إلى حرية التعلم والقضاء والخطابة والصحافة ولكن فى ظل الاستعباد والاستعمار فهو المسئول عن صحيفة الجـــريدة التى أنشئت برأسمال مصرى مختلط من مسيو فلان والخواجة

اندراوس ، وأحمد فتحى زغلول وغير هؤلاء من أصحاب المصالح فى الوجود الاستعمارى الذين وصفهم كرومر بأنهم أصدقاء راضين عن الاحتلال وإصدار هذه الجريدة كان إرهاصاً لتكوين حزب الأمة لمناهضة الشعور الوطنى فى جريدتى اللواء والمؤيد ، فكان بهذا أول حزب شكل بوحى الاستعمار وصنع على عينه وبالدعوة إلى الحرية الاجتماعية كان لطفى السيد أول من أدخل نظام الاختلاط بالجامعة ، يقول دكتور عبد اللطيف حمزه : (فى غفلة من الرجعيين والمحافظين على الخلق والتقاليد قبلت الجامعة الجديدة الفتيات المصريات طالبات منها مع الطلبة وحرص لطفى السيد ومؤيدوه على الاتثار حمره هذه المسألة فى الصحف حتى يضعوا الحكومة والرأى العام أمام الأمر الواقع .

٣ ــ أما مذهب التعقيل فقد وصفه دكتور حمزه بقوله : (عندى أن القصد من حركة التعقيل إنما هو إعادة النظر فى الإصلاح المصرى على أساس جديد هو العقل من ناحية ، والمنفعة الذاتية لمصر وحدها من ناحية أخرى .

وهذا كلام ينم عن جهل بالتعقيل فى المنهج الإسلامى ، فالعقل المسلم عقل مؤمن مستهدى فى نظره وبحثه بالوحى بخلاف التعقيل فى المنهج العربى الذى يدين به لطفى السيد ، فالعقل الأوربى وثن يعبد من دون الله وهو عقل جهول مغرور تجاوز حدود عمله فى عالم الشهادة المادى إلى عالم الغيب وما بعد الطبيعة . إن الدعوة إلى الفلسفة العقلية دعوة يهودية خبيثة ترمى إلى إحلال العقل محل الدين نقلها هؤلاء المبشرون من تراث الفلسفة الغربية لهدم الإسلام، أما مسألة المنفعة الذاتية لمصر من وراء هذه الدعوى فالواقع يكذبها فلم تجن مصر طوال قرن استغرقته الأنظمة التى قامت قرنا على أساس هذه الدعوة وحلولها المستوردة إلا الضعف والفقر والتمزق والذل .

* * *

(٣)

على عبد الرازق

(التغريب)

(قد يكون الخلاص من العمامة راحة وفراقها سروراً ، ولكنها على ذلك جديرة بأن تودع بكلمة ، فرب أذى مفارق وهو جدير بأن تتبعه كلمة وداع) .

إن الشيخ على عبد الرازق لم يترك وسيلة من وسائل انتزاع الثقة من القارئ لإثاره إلا اصطنعها حتى لا تظن أن قارئاً يثق بشيء مما يقول ، فهو الأزهرى الذى يهاجم الأزهر ويكتب عنه تحت عنوان : (على أطلال الجامع الأزهر) ، فيقول : إن السنين الأخيرة دمرت ما شيدت أيدى البناة والمعمرين ونزعت عن هيكله ما استوعته الأيام من معانى البركة ونفحات القدس والجلال . فيا عجباً لهذا البناء الشامخ كيف يتصدع ، وما تصدع البناء ولكن لأن الرجل أخطأ فتعثر ، فهو لا يرى فى الأزهر شيئاً باقياً ، وهو المنكر لعمامته المفارق لها فى احتقار شديد بمقال ينشره فى السياسة ويرسله من باريس على النحو الذى ذكرنا .

ولا يتوقف الشيخ على عبد الرازق عند هذا الحد بل يذهب إلى أبعد من ذلك عنتاً وشططاً فيكتب فى يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل عام مقالا فى جريدة السياسة فيه سخرية وغمز وقد واجهه السيد محب الدين الخطيب فى الرد عليه (الفتح — سبتمبر عام ١٩٢٧ م) فقال :

كتب على عبد الرازق فى يوم ذكرى المولد النبوى الشريف مقالة فى جريدة أعداء الدين الإسلامى ، تطاول فيها على المقام المحمدى الاسمى ، فاستعرض بزعمه حياة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وأخذ يبحث فيها عن وجوه العظمة ومعانيها فلم تبصر عيناه للعظمة أثراً لا فى حكم محمد

صلى الله عليه وسلم ونفاذ كلمته فى أصحابه ، ولا فى معانى العلم كما يفهمها هذا الكاتب ولا باعتبار ما للإسلام من أثر على هذه الأرض مما أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم بين أهلها من انقلاب اجتماعى أو سياسى أو تهذيبى أو مدنى ، كل ما يراه الشرق والغرب من عظمة الإسلام الرحيم ونبيه صلى الله عليه وسلم الكريم لم تقشعه عينا على عبد الرازق لأن عينيه لا تشعران إلا بالمسلة والأهرام والحديد ، وأذناه لا تسمعان غير فقعقة أسلحة الجيوش التى تزحف باسم الملوك الطغاة ، أما فتح القلوب للفضائل وتكوين النفوس وإعدادها لا يجاد خير انقلاب حدث فى الكون فهذا ليس عظيماً ولا محل لذكره يوم يبحث على عبد الرازق عن العظمة .

يقول : وما محمد صلى الله عليه وسلم وكلمته فى أمر هذه الحرب عليها إلا بين طرفين ليس لها ثالث : فإما أن تكون حقاً تلك الكلمة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وإما أن تكون باطلا ، إن تكن باطلا كلمة التوحيد – هكذا يقول على عبد الرازق – فسوف تذهب من الوجود كما تتلاشى قضايا العلم الباطلة وسوف تذوب إذا طلعت عليها أنوار العلم والعقل ، وإما أن تكون حقاً كلمة التوحيد فسوف يشق لها العلم والعقل طريقاً إلى هذا العالم حتى تستولى عليه وتشيع بين جوانبه) .

يريد أن يقول : إن ما ينسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم من عظمة فى العلم والإصلاح والفتح وغير ذلك كله باطل ، وأنه إنما جاء بكلمة لا تزال موضع الشك عند على عبد الرازق وتحتاج إلى زمان لتبين صدقها أو كذبها ، فعظمة محمد صلى الله عليه وسلم الآن موقوفة على كلمة – مشكوك فيها .

أنا كنت أقول دائماً : إن مصيبتنا فى على عبد الرازق ليست من ناحية كفره ولكن من ناحية جهله . أرأيت رجلا فى الدنيا يبحث عن حل مسألة هندسية فى علم الكيمياء . أرأيت قط (أبله) يراجع معنى كلمة لغوية فى كتب التشريح . إن على عبد الرازق يحاول ذلك . يقول : إن الدائرة التى تنحصر فيها مباحثه هى المادة . وهذا الرجل لا يصدق بما فوق المادة . وفى مقاله علامة أخرى تدل الناس على جهله وهى خلطه بين العقل والعلم

فى مسألة إثبات صحة « لا إله إلا الله » وتعريضه نفسه للفضيحة عند الناس بأنه لا يفرق بين المحيط الذى يجول فيه العقل والمحال الذى يجول فيه العلم الطبيعى فيظن أن « لا إله إلا الله » غريبة عن الاثنين .

* * *

وعندما أشرف على عبد الرازق على مجلة (الرابطة الشرقية عام ١٩٢٨) أصدر مجلة لا دينية — على حد تعبير السيد رشيد رضا — تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر اللا دينى وتحرير المرأة المسلمة ، وهى تدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولونه من تجديد مفهوم الإسلام على احتراس قليل من التعبير هو أقرب إلى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خان منه إلى الهجوم عليهما وإذا بنا نرى مقالة الدكتور طه حسين الذى اشتهر بالطعن فى الإسلام وتكذيب القرآن (العظيم المجيد الكريم الحكيم) خلاصة لبحثه الجهلى السخيف فى ضمير الغائب واستعمال اسم الإشارة فى القرآن وفى العدد الثانى سلامة موسى عدو الأديان كافة والإسلام خاصة وعدو الآداب ، والفضائل الروحية وعدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك الذى يعتمد عليهما بالأدب المكشوف ويرجحه على ضده من التصون والحياء .

فمن ذا الذى جعل هذه المجلة ميداناً لسباق أشهر فرسان الثقافة الإلحادية وجعلها لسان حالهم ومقالهم ومما اختارته المجلة مقاله عن (مسيلمة الكذاب) مخالفة فى مبدأها ولحمتها عما عند المسلمين يسمى صاحبها مسيلمة نبياً ، كما يسمى محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً يعنى أن كلا منهما كان نبياً لقومه ... إلخ

* * *

هذه هى صورة على عبد الرازق صاحب كتاب الإسلام وأصول الحكم الذى أحدث فى الإسلام حدثاً لم يقل به أحد من قبله وهو أن الإسلام دين روحى والتشكيك فى دولة الإسلام التى أقامها النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن الإسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم كدين المسيح عليه السلام لا رسالة له ولا حكم ولا دولة . وقالوا : إن الكتاب إنما أريد به معارضة الملك فؤاد

فى سعيه نحو إقامة الخلافة فى مصر بعد سقوطها فى تركيا وهى قوله : خادعة ، فإن الكتاب إنما استهدف ضرب مفهوم الإسلام القائم على أنه دين ودولة فى الصميم .

ولقد كشف الشيخ محمد بخيت فى رده على المؤلف عن خيط من حقيقة استطاع الدكتور ضياء الدين الريس أن يتابعه ويصل إلى أن هذا الكتاب فى الأصل من تأليف المستشرق اليهودى (مرجليوث) وأنه أهداه للشيخ وطلب إليه أن يذيعه بعد أن يضيف إليه بضع آيات من القرآن وجملة من الأحاديث .

وكان مرجليوث قد شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده بريطانيا كانت فى حرب مع تركيا وقد أعلن الخليفة العثمانى الجهاد الدينى ضدها ، والنصوص الواردة فى الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية والمعروف أن الشيخ على عبد الرازق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين ولابد أنه كان متصلا بالمستر مرجليوث أو تتلمذ عليه (كما أسلفنا فى الباب الأول).

ونجدا المؤامرة تتجدد اليوم مع المد الإسلامى وصيحات اليقظة الإسلامية بكتابات عبد الحميد الكاتب فى أخبار اليوم ، وبكتاب جديد أصدره محسن محمد يردد نفس الكلمات التى يتعللون بها عن الخلافة والملك فؤاد والحقيقة إن على عبد الرازق كان تابعاً للنفوذ الغربى فكراً وسياسة وأنه بالرغم من تلقيه علوم الإسلام فى الأزهر فإنه سرعان ما سقط فى مصيدة الاستشراق والتغريب من أجل الحصول على لقب (الأستاذ المحقق) بديلا عن الشيخ القاضى ، وقد استطاع مرجليوث خداعه بأن وهبه كتابه ليصدره باسمه وهذا أمر يوحى بمدى ما تحمل هذه النفس من مهانة فى قبول ترديد آراء الآخرين وهى ضد الإسلام وخاصة ومرجليوث مستشرق يهودى شديد الحقد على الإسلام ولا عجب عندما كان طه حسين يدافع عنه أن يكتشف المرء تلك الوحدة الجامعة بينهما وهى أن كلاهما كان تابعاً لمرجليوث ، فإن كتاب الشعر الجاهلى لم يكن إلا حاشية طه حسين على متن مرجليوث ، كما

ذكر محمود محمد شاكر ويمكن أن يقال : إن كتاب الإسلام وأصول الحكم هو حاشية على عبد الرازق على متن مرجليوث أيضاً .

ولعل هذا يعطى صوره عصر التبعية الذى وقعت فيه أقلام كثيرة لامعة خدعت المسلمين يوماً ولكن الأمر لم يعد الأمر خافياً .

وقد سجلت سنوات ما بعد هذا الكتاب على الشيخ على من الخزى و الذل مهما كانت محاولات إعادته إلى الحياة وتوليه منصب وزير الأوقاف يوماً وما يستوى الذى حكموا على كتابه معه ، وأن إخراج على عبد الرازق من هيئة كبار العلماء إنما يعنى رقة دينه وعجزه عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً وأنه فتح ثغرة فى الإسلام عليه وزرها ووزر من قال بها إلى يوم القيامة .

وقد اتسعت دائرة فهم الإسلام على حقيقته اليوم ولم يعد ينفع التغريب إعادة إثارة هذه الشبهات من جديد .

* * *

(٤)

أمين الخولى

(التغريب)

لقد استطاع الشيخ أمين الخولى أن يترك بصماته على تلاميذ أشربوا منهجه وساروا على طريقه الذى علمه إياه من المستشرقين والمبشرين فى روما ، عندما سافر إليها إماماً للسفارة المصرية ووقع فى شباك المتآمرين ووجدوا فيه صيداً ثميناً . يظهر على عبد الرازق فى نتاج محمد أحمد خلف الله عن الفن القصصى فى القرآن ويظهر أيضاً فى عمل تغريد عنبر وكتابها عن القراءات فتلك أثارنا تدل علينا وتكشف حقيقة الأهداف الخفية ، فقد كان مشرفاً على الرسالتين ومن وراء النصوص التى حاولت أن تتحدث عن بشرية القرآن وعى التشكيك فى صدق قصص القرآن .

وقد حدثنى أحد تلاميذ الشيخ أمين الخولى ، فكان مما قاله : إن لأمين الخولى كما لغيره آراء لم تكتب دائماً وإنما كانوا يقولونها لتلاميذهم وأهم أفكار أمين الخولى أن الوحى ما هو إلا شعور داخلى من عند النبى صلى الله عليه وسلم وأن القرآن قسمان : قسم يمثل النواميس الكونية والقسم الثانى : المعاملات . والمعاملات قسم خاص بمجتمع خاص ، وبالعرب ، وهو قابل للتغيير . أى أن الإسلام ليس نظاماً اجتماعياً ، وإنما هو دين لاهوتى كالمسيحية .

هذه كانت روح الجامعة المصرية وكلية الآداب فى الثلاثينات وكان أمين الخولى على طريق الدكتور طه حسين يروج لعدة شبهات :

أولا : بشرية القرآن وأنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم (ويبدو هذا واضحاً فى إشرافه وتوجيهه لخلف الله وتغريد عنبر) .

ثانياً : دعوته إلى إقليمية الأدب ، ونظرية الأدب المصرى واستبعاد فكرة عروبة مصر ، أو القومية العربية .

وقد تولى أمين الخولى تنمية هذه البذرة وبذل فى هذا السبيل جهوداً كبيرة طوال مدة توليه التدريس فى كلية الآداب سعى إلى دعم هذه النظرية ونشرها بوجه خاص بين طلابه ، وشرحها فى محاضرة عامة (أوائل عام ١٩٣٤) بقاعة محاضرات الجمعية الجغرافية وفى مجلة كلية الآداب، واعترض على درس الأدب العربى على أساس التقسيم الزمانى وقال : (بضرورة العدول عنه إلى التقسيم المكانى ودرس الأدب العربى إقليماً بعد إقليم لا عصراً بعد عصر (مصر فى تاريخ البلاغة) .

وادعى أن ليس للأمة الإسلامية على أى حال تلك الوحدة فى تاريخ الأدب العربى وقد راجعه فى رأيه هذا كثيرون فى مقدمتهم ساطع الحصرى .

أما بالنسبة لدراسة القرآن فى كلية الآداب فقد كانت مصدر اعتراض من الكثيرين بما انتهى إلى منعه من هذا العمل ، فقد كانت دراسته لبلاغة القرآن نوعاً من السخرية بالقرآن الكريم ، وكانت دراسته للبلاغة عاملا على هدم البلاغة العربية التى قامت على أساس القرآن الكريم وإقامة فن جديد استورد اسمه من الآداب الغربية وهو (فن القول) . وقد كشف الكثيرون عن زيف دعواه وهدفها الخبيث فى التوهين من العلوم التى أنشأها القرآن الكريم ، إلى جوار ما كان يدعو إليه طه حسين بالنسبة للنحو وغيره مما يراد به القضاء على وسائل فهم القرآن الكريم ، وقال فى الدفاع عن خلف الله (إنه لا يلزم أن تكون حوادث القصص القرآنى قد وقعت بل منها ما هو تصوير وتمثيل للمعانى) وهو الذى حاول أن يقنع خلف الله بهذا بالاعتماد على نصوص محرفة أو غير صحيحة أو من وجهة نظر أى للشيخ محمد عبده .

وهكذا هوجم القرآن من ناحيتين : هاجمه محمد حسين هيكل من ناحية المعجزات، وهاجمه أمين الرافعى وخلف اللهمن ناحيةالقصص وقال فى هذا :

— للمؤمن حق تأويل هذا القصص على أساس أن القرآن يعبر عن المعانى ويصورها بالحكاية وأسلوب الحوار .

— إن وجود شىء من قصص القرآن لا يقتضى صحته لأنه يحكى من حال الأقدمين الصحيح والفاسد والصادق والكاذب .

— متابعة الشيخ محمد عبده فى تأويله الملائكة بالروح والقوى والشياطين وإبليس بدواعى الشر وتأويل قصة آدم عليه السلام .

— قوله : إن المدول أعلى كعباً فى الإيمان فمن يسلم لأنه أكثر اطمئناناً وأقل تعرضاً للشكوك .

(قدمنا الرد على هذه الشبهات فى كتابنا المساجلات والمعارك الأدبية) .

* * *

بل إن الشيخ أمين الخولى ذهب إلى أبعد من ذلك فقد كتبت ابنته عنه تقول :

لم يقنع بالمسلك التقليدى الذى سلكه أغلب معاصريه وأبناء طبقته بالاكتفاء بالتعليم الدينى ولكنه استطاع بطموحه وسعة أفقه أن يغزو آفاقاً جديدة ، آفاق حضارة الغرب ، وعندما سافر بعد تخرجه من مدرسة القضاء الشرعى إلى أوربا حيث عين إماماً فى المفوضية المصرية فى روما ، ثم فى برلين كانت السنوات الخمس التى قضاها هناك فى العمل والدراسة لقاءه الأول والمباشر مع الحضارة الغربية ، وكان كما كتب صلاح عبد الصبور يخدم الحضارة الغربية فى مظاهرها الثقافية والفكرية دون أن يستخذى أمامها ويرى أن من واجبنا أن نفيد منها فى تنقيح مفهوماتنا وتصحيح نظرتنا وإثراء أرواحنا .

ونحن نسأل أين هذا العطاء الذى تقدمه الحضارة الأدبية غير إفساد البيوت بإدخال الفنون المنحرفة التى تشغل عن الوجهة الصحيحة التى رسمها الإسلام . إن أمين الخولى لم يحضر لنا من الغرب غير مفاهيمه تلك فى الأدب وفى التفسير وفى احتقاره للبلاغة العربية وفى تفسيره للقرآن ، هذا الذى يحاولون تصويره بأنه موقف الباحث المستنير البعيد عن التزمت والتعصب ، وهل التمسك بالإسلام على حقيقته والإيمان بمفاهيمه الأصيلة هو بمثابة تعصب وأين موقفه من الإسلام وهو داعية الفن والحياة على النحو الذى أشاعه فى مجتمعه ، هذا الجانب الذى كشفت عنه الدكتورة سمحة الخولى حين تقول : جانب من شخصيته أدين له بوجهة حياتى وهدفها ، ذلك هو صلتى بفن الموسيقى فقد بدأت تلك الصلة من الطفولة المبكرة وبتوجيه (رشيد) منه

لماذا اتجه هذا الاتجاه وهو ابن القرية والشيخ المعمم الذى ظل طوال حياته محافظاً على زيه الإسلامى ، ولعله كان الوحيد من أبناء جيله من خريجى مدرسة القضاء الشرعى فى احتفاظه بزيه وكان يقول :

أنا مؤمن بالتطور ، أنا أحب المسرح والموسيقى الكلاسيك وفى بيتى معمل علمى وتفسيرات القرآن وفى بيتى أركستراً صغيراً . إن ما خرج به أمين الخولى من قراءاته وأسفاره ، أنه عاد لمصر متفتحاً على الغرب رافضاً كل أشكال الجمود النفسى والانغلاق على التراث داعياً إلى الاستفادة من الثقافات الأجنبية ، لقد تفتحت طفولتنا على ذكريات تجاربه مع المسرح ليس كعاشق للمسرح فحسب ، بل كمؤلف مسرحى مارس الكتابة المسرحية فى بداية حياته رغم ما كان يحف بالمسرح حينذاك من محظورات الدين والتقاليد وخاصة بالنسبة لطالب يدرس الشريعة الإسلامية .

وتشربنا فى طفولتنا ذكريات أسفاره ومشاهداته للأوبرا فى إيطاليا وحفلات موسيقية حضرها ومعارض فنية زارها .

وكان يردد أمامى بإعجاب اسم عازفة بيانو مصرية سمعها تعزف فى أوربا موسيقى كلاسيكية ، وكان حديثه عنها عنصراً جوهرياً فى اجتياز طريق حياتى فيما بعد ، فقد كان النموذج الذى اختاره والدى ليحدثنى عنه كمثل وقدوة هو هذه العازفة المصرية ونمت معى تلك الهالة التى نسجها عقلى الصغير حول (عايدة علم) وامتدت إلى عشق أصيل للموسيقى وقبل أن أبلغ الثامنة عاد والدى إلى البيت يوماً متهللا وبشرنا بأنه قد اشترى لى بيانو ، ويا فرحتاه ، هل أصبح يوماً عازفة بيانو حقيقية مثل (عايدة علم) وعندما إحتل البيانو مكانه فى حجرة الصالون بدأت حياتى تدور حوله وبدأت خطواتى الأولى على طريق الموسيقى .

واستمرت هذه الدراسة أعواماً طويلة وأصبحت من معالم حياة الأسرة وعندما عاد من رحلته إلى الصين عام ١٩٥٥ أحضر معه بعض النوتات الموسيقية وعرفت جمال أنشاد الربابة ،وعزف الأرغول ، والناى ، والمزمار وروعة المواويل كأنه اتفق معهم أن يقدم لهم أولاده عن طريق الفن » .

الحق أن أمين الخولى خدعه بريق الحضارة وبريق التبعية للفكر الغربى ولمفاهيم المستشرقين وظن كما ظن طه حسين وغيره أنها منطلق للشهرة والتبريز ولكن أضواء الحق لم تلبث أن ظهرت فكشفت هذه البوارق الخادعة والمخدوعة على السواء .

وقد قرر العلماء إلغاء رسالة تغريد عنبر التى كتبها بتوجيه الشيخ أمين الخولى لمجافاتها لروح البحث العلمى فى مسائل متصلة بالدين وقد ذهبت إلى الاستشراق فى روما فطبعها ونشرها فى إهتمام كبير .

وكان الشيخ على الخفيف قد كتب يقول : اطلعت على الرسالة فلاحظت أن بالمقدمة جملا تدل على أنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم اختبار شخصى فى إبدال لفظ بآخر فى القرآن يراه من المصلحة وفى تغيير جملة بتقديم كلمة فيها على أخرى لزيادة الإيضاح والبنيان، كما انتهيت من بحثها فى الخاتمة إلى أن الآراء فى القراءات المختلفة لم يكن توفيقيا وإنما كان مرده أحيانا إلى عوامل بعضها شخصى وبعضها مكانى ، ذلك ما أثار الضجة ، وترتب عليه اتهام الكاتبة بالزيغ فى العقيدة وهى شبهة لا يؤيدها دليل وهى فيها مخطئة قطعا ولكن ذلك لا يترتب عليه اتهامها بأى زيغ ولا يستتبع إلا نسبة الخطأ إليها وتهافتها فى الحكم بلا سند بناء على مجرد ظن واستنتاج شخصى) .

المهم أن هناك شبهات أوحى بها صاحب فكرة الرسالة ، وضعت بين يدى طالبة قليلة الخبرة بالتحقيق العلمى وتقدير ظروف النص وليس لها أرضية أساسية فى دراسات القرآن إلا ما تعلمته فى كلية الآداب .

* * *

عمل الشيخ أمين الخولى فى حقول خمسة :

١ ـ إقليمة الأدب .

٢ ـ طمس البلاغة العربية وتغليب مفهوم (فن القول) .

٣ ـ العامية من مولدات الفصحى .

٤ ـ تغليب الجماليات على الأخلاقيات والدعوة إلى الفن بمفهومه الغربى .

٥ ـ الدعوة إلى الاحتكاك بالغربيين احتكاكاً مباشراً وعملياً بالسفر والمراسلة .

(٥)

حسين فوزى

(التغريب)

منذ وقت بعد بدأت حملة الدكتور حسين فوزى عل التراث الإسلامى ووقوفه منه موقف الازدراء والانتقاص ، فقد علت فى نظره الأساطير الغربية وكتابات الجنس واللهو والموسيقى فاغتر بها وملأت نفسه وكانت كلماته دائماً تحمل ذلك الطابع من الأغضاء نحو الثقافة الإسلامية وهو من أجل هذا الاتجاه يعلى من شأن الإقليمة والفرعونية وينظر إلى اللغة العربية فى ازدراء ، وبالرغم من بلوغه سن الثمانين فما زال مبهوراً بالحضارة الغربية فى مرحلتها المضطربة الفاسدة التى تعيشها الآن ، ويتحدث عنها فى إعجاب شديد ، بل أنه يقول : إنه لا توجد إلا حضارة واحدة هى الحضارة الغربية وهو فى كل هذا الاتجاه إنما يجرى مجرى التبعية للاستشراق والتغريب ونظرته إلى الحضارة نظرة مضطربة غامضة ، مسرفة فى التبعية والعصبية التى لا نجد فى الغرب نفسه من يتعصب لأخطائها وفسادها ، وهو يعلن دائماً أن الحضارة ليست هى البحث العلمى والمعاقل ، ولكنها هى إلى ذلك المسارح والتصوير والفنون المنحرفة كلها ومفاهيمه فى الدين هى مفاهيم التفسيرات الغربية والمادية والعلمانية ، حيث يقول : إن الدين وإن المجتمعات الحديثة لا يسرها الدين اليوم ، كذلك فهو يتنكر عن الناحية الخلقية فى المعاملات الإنسانية .

وهو يتابع الاستشراق وخصوم الإسلام فى انتقاص الحضارة الإسلامية ويرى إنها مقتبسة من الحضارات الفارسية والهندية واليونانية .

ومن أخطائه قوله : إن الإنسان حر فى عقيدته ، وأن الدين للديان ، وأن الإنسان له علاقة بالله بينه وبين نفسه وأنه من الخطأ أن يملى على شعب متقدم نحو الحضارة أن يلتزم بمبادئ أو قواعد سلوكية وضعت فى عصور وفى أمكنة غير هذه العصور .

ومن جماع هذه الآراء نرى الدكتور حسين فوزى ليس إلا مستشرق يتحدث باللغة العربية وأنه بعيد كل البعد عن أن يعطى الفكر الإسلامى شيئاً ولكن نشره لهذه الآراء المسمومة ومداومة ترديدها يوحى بأنه مقيم عليها فى إصرار وعناد وتعصب بالرغم من النوافذ الجديدة التى فتحت أمام الفكر الإسلامى سواء بما كتبه المفكرون المسلمون من كشف عن مفاهيم الإسلام واختلافها اختلافاً واضحاً عن المفاهيم التى كان يرددها التغريبيون فى الثلاثينيات والمأخوذة من مفهوم الدين فى الغرب على أنه لاهوتاً وعبادة وهو المغنى المستمد من مفهوم المسيحية بعد أن هزمتها الدوائر العلمية وحجبتها عن المجتمع ، أم أن أمثال هؤلاء معلمون ملقنون لا يكفون عن ترديد هذه الأفكار لإفساد القلوب والعقول . إن الدكتور حسين فوزى لو قرأ — ولابد أنه قرأ لبعض كتاب الغرب الذى يعجب به لوجد إحساساً واضحاً بالإنصاف نحو الإسلام من ناحية ، ومحاولته لتفهمه ، ولوجد تلك الظاهرة الواضحة بين مفكرى الغرب للكشف عن زيف الحضارة الغربية وفسادها وهزيمتها وأزمتها الواضحة التى لا يمكن للنظر الصادق أن يتجاوزها ولكنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، ومارأيك فى رجل فى سن الثمانين يتحدث عن مقارنته بين الرقص وبين الموسيقى ، ولا يخفى هذا الاتجاه ولا يخشى سخرية الناس به ويقول : (لقد نشأت فى أجيال الإعجاب بالغرب إلى درجة الإيمان بمقومات الحضارة النابضة المتحركة) وهل إذا نشأ المفكر الحصيف فى جيل وعلى مفهوم ، أفلا يمكن أن يتغير تفكيره مع الزمن وأن يكتسب معلومات أوسع وأن يغير نظرته إلى أشياء كثيرة . ذلك هو الجمود الذى يصيب بعض القلوب فيختم عليها فلا تستطيع أن تتجاوز واقعها وهو ممتلىء بالعفن والفساد .

من يتصور أن مفكرا عالماً من العلوم تشغله تفاهات حضارة أوربا ويقضى حياته فى البحث عن تسريحات الشعر والرقص والنظر إلى الفاتنات الخارجات فى الصباح إلى العمل فى باريس ليتحدث عن ملابسهن وأزيائهن ، ويتحدث عن الكاتدرائيات والفن القوطى فى أوربا ، وزياراته للمعابد

والكنائس ولعل أسوأ ما يحاول الدكتور حسين فوزى أن يردده فى السنوات الأخيرة هو متابعه ليثار التغريب :

حين يتحدث عن الحضارة يتحدث عن حضارة : أثينا (روما) الغرب .
وحين يتحدث عن الفن يتحدث عن الموسيقى الغربية .
وحين يتحدث عن اللغة يتحدث عن العامية .

وحين يتحدث عن التاريخ يتحدث عن الفلكور الشعبى والعامى ، يقول : إن تحولى إلى العامية فى بعض الألفاظ والتراكيب مذهب قديم ، ويقول : إنه معجب بالعامية المصرية التى تتكلمها الأمهات وهو فى هذا يزدرى الفصحى ، ويهاجم النحو والبلاغة ويحاول استخراج كلمات من الجاحظ ، وابن جنى فى الدفاع عن العامية ، فإذا عرضت له تساؤلات حول فساد الحضارة الغربية دافع عنها بحرارة وقال : إن كل الحضارات عرفت الخير والشر ، وأن الإنسان صانع الحضارات لم يتخل عن أسهم البهيمية فيه ، ويشك فى أنه يتخلى عنها ثم يسخر سخريته فيقول :

(إذا أردت مدينة فاضلة فاحشد لها الأنبياء والرسل المعصومين ، وانظر إلى يوم الفردوس وحضارته وهذه لن تقوم إلا بعد قيام الساعة وبعد يوم الحساب مع التحفظ على الحور العين والحذر منهن) .

أيه سخريته بالدين واليوم الآخر ، وبحقائق الحياة والوجود ، ألا فليعلم الدكتور حسين فوزى أن ذلك كله حق ، وأنه إن لم يرجع فسوف يجد يديه صفراً من كل شيء نافع يوم يقوم الحساب وسوف لا يشترك فى هذه الحضارة التى يسخر منها ، ويكفى حسين فوزى لإعادة النظر فى كتاباته قوله فى إسرائيل : (إن المصريين لديهم شعور عميق بأنهم ليسوا عرباً . كما أن العرب ليسوا فراعنة وأن جمال عبد الناصر فشل فى إكراه الشعب بالقوة على أن يؤمن بأنه عربى) ، ونقول : إن الشعب يعرف أنه مسلم ، أما الإكراه على القومية بمفهومها الوافد فقد رفضه المصريون ولكن إيمانهم بالعروبة متصل بمفهومهم الإسلامى الجامع .

يقول الأستاذ جابر رزق : (هذه هى المرة الثانية التى يذهب فيها الدكتور حسين فوزى إلى إسرائيل ليحاضر هناك مفترياً بالكذب على

الشعب المصرى جاحد لعروبته إرضاء لليهود المغتصبين لفلسطين ورغم الاستنكار الذى وجه به الدكتور (الفرعونى) لما قال فى زيارته الأولى فهو لا يزال يمعن فى التبجح والافتراء والكذب فى دعواه بأن مصر فرعونية وليست عربية ، والسر وراء تملق الدكتور العجوز لليهود هو أنه قد باع نفسه لليهود من قديم ، من قبل أن تقوم دولة الاغتصاب الصهيونية على أرض فلسطين العربية المسلمة وهذه حقيقة تاريخية كشفت عنها الباحثة المصرية (سهام عبد الرازق) فى رسالتها صحافة اليهود العربية فى مصر ، حيث كشفت الباحثة عن أساليب اليهود فى السيطرة على أصحاب الأقلام الكثيرة أمثال الدكتور طه حسين ، والدكتور لويس عوض ، وتوفيق الحكيم ، والدكتور حسين فوزى وغيرهم .

وقد أشارت الباحثة إلى أن اليهود لجأوا بانشاء مجلة الكاتب المصرى إلى مصادقة كبار الكتاب والأدباء المصريين والتقرب إليهم حتى يمنعوهم بطريق غير مباشر من الكتابة ضد اليهود .

ومن هؤلاء الدكتور حسين فوزى فالعلاقة بينه وبين اليهود قديمة عمرها أكثر من ثلاثين عاماً .

وهكذا نرى الدكتور حسين فوزى محبوساً فى عصر الإحياء الأوربى وعصر التنوير الذى امتد عبر القرنين السابع عشر والثامن عشر متضمناً الثورة الفرنسية ، دون أن يطلع أبناء أمته على الحقيقة : من أن عصر التنوير هو عصر اليهود الذى أخذوا يزيفون الفكر العربى المسيحى ويدخلون إليه الألحاد والإباحة والمادية ليعدوه بالماسونية إلى الثورة الفرنسية التى قضت على وحدة الفكر المسيحى وأنشأت تلك التيارات التى حطمت الدين فى أوربا.

لقد كان أساتذة حسين فوزى فى الغرب ، وأساتذة طه حسين ، هم هؤلاء اليهود صانعوا علوم المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى رضع لبانها توفيق الحكيم فى الاتجاه نحو الفن القصصى الذى تسير مصادره من التوراة والتلمود فى قصة سليمان وأهل الكهف والذى دفع حسين فوزى إلى هذه الوجهة الغارقة فى الأوبرا والموسيقى والإعجاب بهذا الجانب وحده من

حضارة الغرب ، جانب الفنون الإباحية الراقصة الماجنة ، متحدثاً عن تلك المعرفة الواسعة بالعزف والنغم والموسيقى الغربية الصاخبة ، والتى كان وسولها وداعيها والمتحدث عنها — يقول توفيق الحكيم : لقد كتب القدر عليه وعلى صديقه حسين فوزى أن ينهيا العمر فى الوحدة المظلمة المؤلمة ، ذلك أن النفوس لم تنطو على ضوء واحد من الإيمان بالله تبارك وتعالى الخالق ، إلا تلك الصيحات الهستيرية التى يصدرها توفيق الحكيم والتى لا تمثل عوده إلى الله ولا التماس التوبة .

ذلك الإصرار الذى يجمع بينهما على أننا فراعنة ولسنا عرباً ، وعلى تلك الدعوة الجريئة على الإسلام التى يدعيها حسين فوزى باتهامه بأن التشريع الإلهى لم يغطى كل تفصيلات الحياة ، وهى عبارة من عبارات المستشرقين الساذجة التى لا معنى لها ، فهل من شأن التشريع الإسلامى أن يقدم كل تفصيلات الحياة أم يعطى الخطوط العامة ويدع للفقهاء على مدى العصور إيجاد الفتوى لكل ما يطرأ من جديد وبذلك يظل الإسلام قادراً على العطاء المتجدد وفى رأى حسين فوزى أنه يمكن التخفيف من غلواء المادية وذلك بإعطاء الحياة الروحانيات التى هى فى نظره هى الفنون (الروحانية هى الأدب والمسرح والأوركستر) .

فهل هذا رأى سليم يتفق مع مفاهيم العلوم ، أم أن الروحانية هى إعلاء الجانب الربانى فى الحياة وكسر جمود المادية . إن الأدب والمسرح والأوركستر اليوم هو أسود صفحات المادية التى تدعو إلى الجنس والإباحية والجرى وراء الأهواء .

إن كل دعوة حسين فوزى هى المصرية (بمعناها الإقليمى) هذه المصرية المجردة من العروبة والإسلام ، مدعوة لاعتناق الحضارة الغربية بلا تحفظ ولا احتباط .

وتلك دعوة باطلة قد تجاوزها الزمن وماتت ولن تقوم لها قائمة

* * *

(٢)

عباس محمود العقاد

(أخطاء المنهج)

درس الأستاذ العقاد الفكر الإسلامي في العقود الأخيرة من حياته (سن الخمسين) ولذلك فقد درسه من خلال الفكر الغربي الذى تأثر به طويلا ومن ثم فقد كان مرجعه فى الفهم نظريات غريبة قامت أساساً على مفهوم المسيحية أو على معارضة مفهوم الإسلام الجامع مثل كتابات اليهود والنصارى الغربيين فى مفهوم التوحيد ولذلك فقد لقى كتابه عن (الله) معارضة من الباحثين المسلمين (راجع كتابنا : الشبهات والأخطاء الشائعة) .

كذلك فإن العقاد لم يدرك الفرق بين العبقرية والنبوة ، فوصف النبي صلى الله عليه وسلم بما وصف به أبو بكر وعمر رضى الله عنهما – مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يتميز بأنه نبي مرسل يوحى إليه .

كذلك فإن الأستاذ العقاد حاول أن يفسر شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أساس نظرية لمبروزو فى الوراثة وليس على أساس أن الإسلام هو الذى غير الكيان النفسى له وحوله من حال إلى حال .

ومن أخطائه استعمال الألفاظ القرآنية فى المعانى السياسية الحزبية ، كقوله فى قصيدة إلى سعد زغلول(أنا جبارك) ، وكلمة جبار من صفات الله تبارك وتعالى ، وقد أخطأ سعد الذى تربى فى الأزهر فى استعمالها ، كما أخطأ العقاد فى تداولها . وفى الشعر استعمل كلمة (رحمن) للشاعر ، وهى خاصة بالله تبارك وتعالى .

ومن ذلك كتابه عن (ديمقراطية الإسلام) حيث نقل جميع ملامح الفكرة الديمقراطية الغربية وطبقها على الإسلام مع أن الإسلام يختلف اختلافاً واضحاً عن الديمقراطية الغربية وإذا كان هناك لقاء فى بعض المفاهيم

الديمقراطية أو الاشتراكية فهو لا يدل بالطبيعة عن أن الإسلام ديمقراطياً أو اشتراكياً وانما للإسلام ذاتيته الخاصة المتميزة .

كذلك فإن الأستاذ العقاد عالج الفكر الإسلامى معالجة فلسفية على النحو الذى كتب به (الفلسفة القرآنية) و (التفكير فريضة إسلامية) والإسلام منهج متميز له مفهوم قرآنى خالص ، أما التفسير الفلسفى فهو بمثابة مرحلة من مراحل التفسير الإسلامى التى مر بها الشيخ محمد عبده واقبال وغيرهما والتى لم تحقق أثراً كثيراً للإسلام .

وعندما ألف العقاد كتابه عن محمد عبده : كتب أحد الكتاب (كامل الشناوى) يتحدث عن ما أسماه صفحات ناقصة عن علاقة محمد عبده وكرومر وقال : إن القارئ فى حاجة إلى من يتحدث عن هذه الصداقة ويفسرها ويبرر موقف الأستاذ الإمام منها . وقال العقاد : إن محمد عبده لم يكن صديقاً لكرومر ولكنه كان خصماً للخديو عباس ، وسر هذه الخصومة أن الإمام أراد أن ينهض بإصلاح الأزهر وإصلاح الأوقاف وإصلاح المحاكم الشرعية وكان الخديو يرى أن هذه الإصلاحات إفساداً لسيطرته ومطامعه .

وكان كرومر يعارض الخديو وكان طبيعياً ألا تقوم الحرب بين كرومر والمفتى الذى يتخذ من وظيفته وسيلة للإصلاح .

وقال العقاد : لقد استغل كرومر خصومة المفتى للخديو فكان يزور محمد عبده فاضطر محمد عبده إلى أن يرد له الزيارة ولكن هذا لا يعنى أن محمد عبده كان يخدم الاحتلال .

وعارض بعض الكتاب أن يضاف كتاب العقاد عن (بنيامين فرانكلين) إلى عبقريات العقاد : يقول سامى داود وقد مر بعد عهد الأنبياء والصحابة أربعة عشر قرناً خطاها العقاد جميعاً فلم يجد فيها عبقرية واحدة تستحق الذكر ثم جاء العصر الحديث بكل العبقريات العلمية والفلسفية والسياسية والاقتصادية فمر العقاد بهذه العبقريات جميعاً ، ثم اختار عبقرية واحدة منها ليبدأ بها عبقريات العصر الحديث : هى عبقرية بنيامين فرانكلين الأمريكى الذى نسبت إليه هذه المؤسسة . وقال إن تأثر العقاد قد جعله يرفع بنيامين فرانكلين إلى مستوى عبقريات الأنبياء والصحابة والخلفاء الراشدين أو على الأقل

يخصه وحده بهذا الارتفاع دون كل العباقرة الذين مروا بهذه الأرض . وكان سامى داود يقصد أنه كتاب دعاية للناشر الأمريكى .

وقال العقاد فى الرد على ذلك فى إبانه أنه كتب عن سعد زغلول وغاندى وابن الرومى وأبى نواس وبيكون ، وبرنارد شو ، ودار النقاش حول مهاجمة العقاد لأودلف هتلر وسفر العقاد إلى السودان خوفاً من وصول الألمان إلى مصر . ولا ريب كانت حملة بعض الكتاب اليساريين على العقاد نتيجة كتابه عن الشيوعية وعن كارل ماركس . ولكن البعض كان يرى أن العبقريات كتبت لمهاجمة مفهوم الماركسية فى معارضة البطولة الفردية وهاجم البعض مقالاته فى المصور عن الشركات المختلفة وقالوا انه كانت إعلانات .

* * *

(٧)

محمد حسين هيكل

(أخطاء المنهج)

لا نستطيع أن نتجاهل الحقيقة وهى أن الدكتور هيكل كتب (حياة محمد) فى وجه التحديات التى قامت فى البلاد العربية والإسلامية بانتشار التبشير وتوسعه ، وقد وقف فى وجه هذه الموجة وقفة شريفة ، ولكنه حين لجأ إلى كتابة سيرة النبى الأعظم ليجعلها سبيلا إلى مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة لم يتمكن من امتلاك الأداة الإسلامية الصحيحة فقد كان لا يزال خاضعاً للأسلوب الغربى فى التفكير فى إطار المفاهيم العلمانية والمادية ، ومن ذلك أنه بدا كتابة السيرة بترجمة كتاب مستشرق فرنسى هو (درمنجم) له موقفه الطبيعى من الإسلام وإن كان فى كثير من مواقفه يحاول البحث عن الحقيقة ، غير أن الدكتور هيكل تبنى كثيراً من آراء الاستشراق ومفاهيمه فجاءت دراسته عن (حياة محمد) مشوبة بكثير من الأخطاء :

أولا : محاولة تصويره أن الإسراء بالروح ، تحت عبارات براقة كقوله أن محمداً صلى الله عليه وسلم فى لحظة الإسراء والمعراج انتفى لديه حجاب الزمان والمكان واجتمع الكون كله فى روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده ليصل بعد ذلك إلى أن الإسراء تم بالروح وذلك لأن الإسراء بالجسد — كما يقول الأستاذ على العُرينى فى بحثه فى مجلة دعوة الحق — يتنافى مع المناهج الغربية إذ العلم كما يقول هيكل فى عصرنا الحاضر يقر هذه الإسراء بالروح ويقر المعراج بالروح ، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة ويخلص من هذا إلى أن الإسراء والمعراج وقعا بالروح أو الرؤيا فقط .

ثانياً : يرفض الدكتور هيكل الأحاديث المروية عن شق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام فى طفولته من قبل ملكين كريمين ويدعم هذه الأحاديث

فى سورة الانشراح وحجته فى ذلك (١) عدم اطمئنان المستشرقين وجماعة المسلمين إلى رواية الملكين ، ويرونها ضعيفة السند ويرى المستشرق وليم موير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصابته نوبة عصبية ، وإن كان « درمنجم » يرى أنها لا تستند إلى شىء صحيح غيرما جاء فى ظاهر الآيات (٢) إن شرح الصدر كان روحياً بحتاً (الغاية منه تطهير القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية خالصة ويؤديها مخلصاً تمام الإخلاص

ثالثاً : أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس فى حاجة إلى الخوارق ، كما تيسرت لسابقيه من الرسل وأن حياة محمد كانت كلها إنسانية سامية وينساق هيكل مع ما أسماه الموضوعية والروح العلمية حتى فيما أخبر عنه القرآن بصريح القول وواضح العبارة فيما يختص بالكارثة التى وقعت لجنود أبرهة عندما هاجم مكة بجيوشه قصد تهديمها ، ولما فر السكان لشعاب الجبال ، وخلا الجو لأبرهة وجنوده لتخريب بيت الله الحرام ، يرى هيكل أن وباء الجدرى قد تفشى بالجيش ، وبدأ يفتك به ولا يقبل قصة الطير الأبابيل التى رمت المغيرين بحجارة صغيرة فقضت عليهم ، وعلى فيلهم فهذا منطق العقل يقول بالجراثيم والوباء ، أما ما سوى ذلك من قدرة القادر الحكيم فيدعى أنه أمر لا يقره العلم وترفضه الحتمية فى القوانين العلمية ، يقول على العربى : الحقيقة أن هيكل أراد أن يتقرب إلى أصدقائه من المستشرقين . كما أنه كان يتقرب إلى بعض الوزراء المسيحيين فى الحكومة المصرية ، وكان السائد فى عصره ١٩٣٥ موجة المناهج الغربية والروح العلمية الموضوعية التى كان يصدرها الغرب بواسطة المبشرين والمستشرقين وتلاميذهم وشعرائهم فى الدول الإسلامية فنجدها تطبق على الأدب العربى ويتسلل إلى الحكم فتثار قضية الفصل بين الدين والدولة وكتاب على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) أكبر شاهد ، ألفه بعد سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ .

ويقول إن الشيخ مصطفى صبرى قد هاجم هذا المنهج هجوماً واسعاً فى كتابه (موقف العلم والعالم من رب العالمين) .

وقد أورد الشيخ محمد زهران فى مجلة المنار أخطاء هيكل فى السيرة

١ ــ أن كلامه فى بدء الوحى يفيد أن أول سورة (اقرأ) نزل مناماً .

٢ – ما أورده فى قصة إبراهيم والكعبة .
٣ – قصة شق الصدر .
٤ – الإسراء والمعراج .
٥ – معجزة الغار .
٦ – قصة سراقة .
٧ – إنكاره المعجزات .

وقد عالجنا هذه الظاهرة فى بحث مستقل نورده بعد :

أخطـاء فى كتابة السيرة

إن هناك ظاهرة عميقة تبدو فى أفق الفكر الإسلامى الحديث جديرة بالرصد والدراسة : تلك هى انطلاقته إلى آفاق الرشد ودخوله مرحلة الأصالة استمراراً من المنابع الأولى وتحرراً من زيف المحاولة التى أجرتها حركة الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى خلال السنوات الخمسين الأخيرة ، وقد انبعثت هذه الحركة المتجهة إلى التأصيل على يد حركة اليقظة الإسلامية التى حملت لواء الدعوة لالتماس المنابع فى المنهج القرآنى بعيداً عن مناهج الفلسفات أو الاعتزال .

والظاهرة كما يلى :

فى خلال فترة الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى كانت المحاولة ترمى إلى (تفريغ الإسلام من مفاهيمه الأصيلة) وقد جرت هذه المحاولة باستخدام مذاهب ترمى إلى عزل مفهوم الجهاد كما حدث فى القاديانية ، أو إعلاء شأن المفهوم العقلانى أو المفهوم الوجدانى ، اعتماداً على صور قديمة فى الاعتزال أو التصوف الفلسفى أو الباطنية . وقد كان لهذا الاتجاه الفلسفى أثره الوقتى فى رد عادية الاتهامات التى وجهت إلى الإسلام بأنه ضد العقل أو أنه جبرى ينكر الإرادة الفردية .

وقد حاول كثير من الباحثين الدفاع عن الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج الغربى للبحث أمثال محمد عبده ، وإقبال ، والعقاد ، والدكتور هيكل .

ولكن منهج القرآن كالماء لا يستغنى عنه أحد ، ومنهج الفلسفة أو الكلام

كالدواء لا يحتاج إليه إلا المريض حسب ما عبر الإمام الغزالى فى مثل هذا الموقف إبان هجمة الفلسفة اليونانية .

وقد مرت مثل هذه التجربة من قبل ووقف منها الإمام الغزالى والإمام ابن تيمية مثل هذا الموقف لقد كان المسلمون يرون إبان هذه المحاولات بأن علماء من المسلمين يدافعون عن الإسلام ، ويردون عادية خصومه ولكننا حين نعاود النظر الآن نجد أن هذا الأسلوب لم يكن أصيلا وأن منهج القرآن هو الأسلوب الوحيد للدفاع عن الإسلام وليس أسلوب الفلسفة أو أسلوب المتكلمين .

وأن محاولة الرد على شبهات موجهة إلى الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج العلمى الغربى من شأنه أن يبدو بريقه فترة ما ثم تتجاوزه التغيرات وتعتوره التطورات . أما مفهوم القرآن ومنطقه ومنهجه فإنه خالد وباق لا يعتريه تحول أو اضطراب .

عنى محمد عبده بدور العقل فى مواجهة التحدى الذى كانت تقدمه آراء الاستشراق من اتهام الإسلام بالجبرية الصوفية أو القدرية فحاول أن يعلى العقل حتى يضع الإسلام فى مستوى مفاهيم الغرب الذى كان يعلى شأن العقل والعلم إذ ذاك ولكن الأستاذ الإمام ذهب بعيداً فأعلى العقل على النص وجعل العقل حكماً على الوحى . وذلك حين قال بتأويل النص حتى يوافق العقل . (وقد تعرض الأستاذ سيد قطب إلى هذا المعنى فى كتابه خصائص التصور الإسلامى) .

ولكن المنهج القرآنى يرى غير ما يرى الشيخ محمد عبده — وهو مفهوم الأصالة : وهو ما كشفت عنه مدرسة اليقظة ذلك أن للعقل مكانه وحدوده وأنه ليس الحكم الأخير (وما دام النص محكماً فالمدلول الصريح للنص من غير تأويل هو الحكم) .

وهذه الظاهرة التى اضطر الشيخ محمد عبده أن يواجهها فى سبيل الدفاع عن الإسلام قد اتخذت من بعد مغمزاً ما يزال يستعمله خصومه الإسلام وإلى اليوم .

كذلك فإن حديث الشيخ محمد عبده عن أن الشريعة تتصل بأمور العباد

وأن فيها سعة للاجتهاد قد أخذها دعاة التغريب من بعد وحاولوا أن يقولوا بأن الشريعة الإسلامية تستطيع أن تبرز واقع المجتمعات اليوم وهذا ما لم يقصد إليه الشيخ محمد عبده ولقد جرت المحاولة فى هذا الاتجاه نحو النظر إلى المعجزات وأحصيت كتابات لفريد وجدى والشيخ المراغى والدكتور هيكل كانت بمثابة تيار خطير من تيارات إنكار المعجزات فى سبيل إعلاء نظرة العقل أو المنهج العلمى الغربى .

وقد أفاض فى كشف هذه الظاهرة الإمام العلامة الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية فى كتابه (موقف العلم والعالم من رب العالمين) . وهو كتاب خطير يمثل مدى خطر ظاهرة إنكار معجزات الرسول فى سبيل أصحاب المنهج العلمى الغربى .

وحين تقرأ للدكتور هيكل محاولته فى كتابه السيرة تجده يحاول أن يواجه خطرين : خطر حملة التبشير التى اجتاحت البلاد الإسلامية فى الثلاثينات وخطر الاستشراق .

يقول فى مقاله (كيف ولماذا أكتب حياة محمد) .

إن المستشرقين الذين كتبوا عن محمد وعن الإسلام قد تأثروا فى كتابتهم بدافع من التعصب المسيحى وإن هم ألقوا على ما كتبوا صبغة البحث العلمى ولا ريب أنهم على الأغلب لم يستطيعوا أن ينفذوا إلى دقائق أسرار الحياة العربية لتأثرهم بالبيئة الغربية التى يعيشون فيها والتى ورثوا من تراثها فى التفكير والبحث ما لا يسهل عليهم معه إن يحسوا بإحساس رجل الصحراء والعائش فى الجو المكشوف وللبيئة الطبيعية كما للبيئة الوراثية على التفكير وعلى التصور أثر عميق لا سبيل إلى إنكاره » .

ثم يشير إلى أنه يريد أن يرضى العقل الحديث بكتابه السيرة وأن هناك مسائل يرى أنها من وضع بعض الكتاب الذين دسوا عن حسن نية أو سوء نية طائفة من الخرافات » .

ولقد واجه الدكتور حسين الهراوى (هيكلا » فى إبان كتابته للسيرة وكشف عن خطأ الاتجاه إلى تقبل وجهة نظر إميل درمنجم التى بنى عليها

هيكل كتابه (حياة محمد) وأشار إلى تلك العبارات الماكرة التى نقلها هيكل عن درمنحم والتى تحاول أن تصور النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تأثر بأهل الكتاب فى الجزيرة العربية أو فى ذهابه إلى الشام أو فى إرسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية وهذا كله زيف مقصود أعده درمنحم وتابعه فيه هيكل إلى حد ما .

وقد أشار الدكتور الهراوى إلى أن هذا هو السير فى الطريق الذى رسمه الاستشراق ، وهذا شبيه بالوقوع فى الفخ الذى نصبه الاستشراق فى اتهام الإسلام بالجبرية مما دفع بعض الكتاب إلى إعلاء ما أسموه عقلانية الإسلام .

ولقد سار اتجاه هيكل شوطاً ولكنه عجز ، لأنه بعيد عن الأصالة واستطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن تنمى (منهج القرآن) وأسلوبه فى كتابه السيرة وفى التعريف بالإسلام ومنهج القرآن هو الأصالة ومنهج الفلسفة والأسلوب العلمى الغربى هو منهج (التغريب) .

وقد تصدى لذلك رجل من أجل رجال الفكر الإسلامى فى عصرنا وهو الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى فى كتابه (فقه السيرة) التى كشف بها زيف محاولات كتابة السيرة على غير الفهم القرآنى قال : إن الهدف هو تصحيح أغلاط كثيرين ممن كتبوا عن السيرة فى هذا العصر وأن نميط الغشاء عن المغالطات التى كانت ولا تزال تدسها أقلام كثير من الكاتبين المستشرقين والمستغربين وهى أغلاظ ومغالطات قامت لتغذيتها ورعايتها وترويجها مدرسة فكرية معينة نشأت فى أواخر القرن التاسع عشر وراحت تمد من أثرها وظلالها إلى أيامنا هذه

إن هذه المدرسة لم تعد تخدع إلا قلة من بقايا المفتونين باسمها وباسم مؤسسيها ورعايتها وأن الحقائق الناصعة فى حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم تظل هى المشرقة السائدة ويظل العقل الحر نزاعاً إليها موقناً بها غير مطمئن إلى أى تأويل أو تحليل يستهدف تحويرها أو التلاعب بها . ولقد علم عامة الباحثين والمفكرين أن أهم أسباب نشأة تلك المدرسة فى حينها : ذلك الانبهار الذى أصيبت به كثيراً من العقول العربية المسلمة من أبناء النهضة العلمية فى أوربا ، فقد راحت تلك العقول تتوهم تحت تأثير ذلك الانبهار — أنه ليس

بين المسلمين وبين أن ينهضوا مثل تلك النهضة إلا أن يفهموا الإسلام هنا كما فهمت أوربا النصرانية هناك ، وأن يضعوا حقائق الإسلام الغيبية من وراء اكتشافات العلوم المادية فلا يؤمنوا بغيب لم يدركه علم ولا يعرجوا على معجزة لم يؤيدها اكتشاف أو اختراع ، فإن فعلوا ذلك نهضوا نهضة أوربا فى علومها ولحقوها فى رقيها وفنونها . ومن هنا أنشأ أقطاب تلك المدرسة ما زعموه (الإصلاح الدينى) والدين الصحيح ما كان يوماً ليفسد حتى يحتاج إلى مصلح أو إصلاح .

وكان من مظاهر هذا الإصلاح ظهور أول تجربة تحاول تحليل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحليلا يسير فى خضوع منكسر وراء العقلية الأوربية وتحت لواء ما زعموه (العلم الحديث) أجل . فقد كان كتاب حياة محمد لحسين هيكل التجربة الرائدة فى هذا المضمار ، أعلن فيه الرجل أنه لا يريد أن يفهم حياة محمد صلى الله عليه وسلم إلا كما يأمر به العلم ولذلك فلا خوارق ولا معجزات فى حياته عليه الصلاة والسلام وإنما هو القرآن والقرآن فقط . وانبرى الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر يقرظ الكتاب ويبارك الخطوة الرائدة وتطلق (محمد فريد وجدى) هو الآخر ينشر سلسلة مقالاته داعياً الناس إلى فهم الإسلام والسيرة النبوية عن طريق العلم ، ولو اقتضى ذلك الإعراض عن الخبر الصادق الذى ثبت فى الكتابة والسنة وإنما كان يقصد بطريق العلم ألا يستسلم العقل للغيبيات ولا للخوارق والمعجزات وإن جاء بها الخبر الصادق المتواتر ، كأن العلم إنما يتحقق بإنكار كل ما لم يقع تحت حسك وشعورك .

كانت هذه المدرسة رد فعل أثاره الانبهار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين تهيأ لها بسبب ظروف خاصة أحاطت بها أن تطلع على الحياة الأوربية فتستهويها زخارفها وملاذها فاتخذوا من نزوات أنفسهم حاكماً مسلطاً على عقولهم واصطنعوا بذلك مدرسة فكرية ظاهرها الإصلاح الدينى وباطنها الاستخذاء النفسى والانبهار الفكرى بين يدى نهضة الغرب . ولم تكتسب هذه المدرسة أى نهضة علمية كالتى نهضتها أوربا كما كانوا يوهمون أو يتوهمون ، كل ما جنته أيدى ذلك الإصلاح الدينى فقدان الحقيقتين معاً فلا هم على حقيقتهم الدينية أبقوا ولا على النهضة العلمية عثروا .

ويقول : إن المسلم لا ينبغي للحظة واحدة أن يحاول فهم حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه عبقرى عظيم أو قائد خطير أو راهب محنك ، فمثل هذه المحاولة ليست إلا معاندة أو معابثة للحقائق الكبرى التى تذخر بها حياة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أثبتت الحقائق أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متصفاً بكل صفات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى ، ولكن كل ذلك كان ينبع من حقيقة واحدة كبرى فى حياته عليه الصلاة والسلام ألا وهى أنه نبى مرسل من قبل الله عز وجل ، ولا ينبغى للمسلم أن يتصور أن المعجزة الوحيدة فى حياته صلى الله عليه وسلم إنما هى القرآن ما دام أنه لا ينكر أن له عليه الصلاة والسلام سيرة نحاول أن نفهم حياته من خلالها .

أما إن كان ينكر وجود هذه السيرة فإن عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضاً إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم المختلفة إلا من حيث بلغتنا منه معجزة القرآن . ا هـ

وقد زال اللبس واشرقت الحقيقة مرة أخرى حين غلب المنهج القرآنى الذى حملته حركة اليقظة الإسلامية والتى قدمت الآن جيلا أو جيلين على طريق الأصالة كان رائد هذه المدرسة فى الحقيقة هو الإمام حسن البنا ومن حوله نشأ الكثيرون : مصطفى السباعى وعمر الأميرى ومحمد المبارك ومحمد الغزالى وسيد قطب وتابعه على الطريق أجيال كثيرة :

ولا ريب أن طريق التغريب هو ما بعثه المستشرقون وحملوا عليه تلاميذهم ومن استهواهم عملهم ومن حول المنهج القرآنى والمنهج الفلسفى نجد ذلك الخلاف الواضح بين ما كتبه عباس محمود العقاد فى كتابه الفلسفة القرآنية ورد عليه فى ذلك الدكتور محمد أحمد الغمراوى يقول : (ينبغى أن ينبه المسلم إلى أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شئ كثير ، وليس كل ما كتبه المستشرقون عن الإسلام يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب تتفق وما قرره القرآن لكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد ، فهو ينظر إلى القرآن الكريم من خلال ما اعتقد منها ويبدو أن من بين ما اعتقده العقاد نظرية (فريزر) فى نشوء الأديان فهى عنده ليست سماوية ولكن أرضية

نشأت بالتطور والترقى إلى الأحسن ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وإذن فهو خيرها ومن هنا تفضيله ما سماه الفلسفة القرآنية على غيرها من الفلسفات . إن لم يكن هذا هو تفسير إطلاق اسميه الغريبين على كتابيه (عبقرية محمد) و (الفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغي أن ينبه إليه قارىء الكتابين من المسلمين لينجوان ما أمكن مما توحى به التسمية من أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبقرى من العباقرة لا نبى ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف فى الأديان المنزلة : يؤكد هذا الإيحاء إن جاء الكتاب واحداً من سلسلة كتب العبقريات الإسلامية وإن يكن أولها فالناشىء الذى يقرأ بعد عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم عبقرية أبى بكر رضى الله عنه . وعبقرية عمر رضى الله عنه مثلا لا يمكن أن يسلم من إيحاء خفى إلى نفسه أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما من قبيل واحد : عبقرى من عباقرة وإن يكن أكبرهم جميعاً ، فالذى سمى النبى صلى الله عليه وسلم بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور ، بدلا من صنف اختتم به صلى الله عليه وسلم صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله . فالنبى والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله من وحى ومن كتاب ولا كذلك العبقرى ولا البطل ، فالنبوة والرسالة فوق البطولة والعبقرية بكثير ، وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين له صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله إلى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين (وهذا الذى يشير إليه الأستاذ سيد قطب فى كتابه (خصائص التصور الإسلامى) الذى أراد به فى الحق أن يكشف عن الفوارق العميقة بين التفسير الفلسفى للإسلام والقرآن، الذى ذهب إليه العقاد والتفسير القرآنى للإسلام والقرآن ، ولعل هذا كان سر الاختلاف بينهما وسر الخلاف بعد أن بدأ معاً الطريق إلى فهم الإسلام والكتابة عنه فى أول الأربعينات عندما كتب العقاد عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتب سيد قطب التصوير الفنى للقرآن ، ثم اختلف الطريق ، أما العقاد فقد اعتصم بمدرسته الفلسفية الغربية وعرض عليها الإسلام فأصاب وأخطأ ، أما سيد قطب فقد خلع ثوبه تماماً وآمن بمفهوم القرآن الأصيل ولا ريب أن ما قاله الأستاذ أحمد شكرى فى هذا المعنى كبير الدلالة :

أراد العقاد أن يجعل للإسلام فلسفة وكان يعرض العقيدة أحياناً بأسلوب الفلسفة، ونحن نختلف معه، لأنه لابد أن تعرض العقيده بأسلوب العقيدة، إذ أن عرض العقيدة بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطفىء شعاعها ويقصرها على جانب واحد من الكينونة الإنسانية، وفارق كبير بين التصور الفلسفى والتصور الاعتقادى ذلك (أن التصور الفلسفى ينشأ فى الفكر البشرى من صنع هذا الفكر لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به ولكنه يبقى فى حدود المعرفة الباردة، أما التصور الاعتقادى فهو تصور ينبثق من الضمير ويتفاعل مع المشاعر ويتلبس بالحياة فهو وشيجه حية بين الإنسان والوجود وبين الإنسان وخالق الوجود).

وفى نفس الطريق من التبعية والتغريب إلى الأصالة والمنابع الأولى نجد تلك الأبحاث الواسعة العميقة عن استقلالية الشريعة الإسلامية عن القانون الوضعى، واستقلالية التربية الإسلامية عن التربية الغربية وذاتية الإسلام الواضحة فى مناهج الاجتماع والنفس والأخلاق بما يختلف اختلافاً واضحاً عن الفلسفة الغربية المادية منها بنوع خاص واستقلالية الإسلام فى منهجه السياسى والاقتصادى عن الرأسمالية والليبرالية وعن الديمقراطية، والماركسية والاشتراكية على نحو (مفرد) لأنه ربانى من عند الله. هذه هى الصورة التى تبدو فى أفق الفكر الإسلامى اليوم لتزيح ركام الفلسفات والمفاهيم التغريبية التى حملها الغزو الثقافى من الفكر التلمودى والوثنى والإباحى الغربى وألقى بها فى أفق الفكر الإسلامى وانخدع بعض مفكرى الإسلام فحاولوا أن يتخذوا من الأسلوب الفلسفى مدخلا إلى فهم الإسلام، وهى محاولة لهم فيها أجر واحد، أما مفهوم حركة اليقظة الإسلامية فقد لمع فى الأفق أول ما لمع قرآنياً ربانياً خالصاً متحرراً من كل مفاهيم المذاهب والفرق.

وبعد فتلك أولى المحاولات فى الكشف عن هذه الظاهرة أرجو أن تتبعها حلقة أخرى على نفس طريق الأصالة والرشد الفكرى ولعل أهم ما يجب أن أشير إليه هنا أن (الأصالة) قد كسرت ذلك القيد المسموم الذى حاول به دعاة التغريب أن يفصلوا بين الفكر الإسلامى الحديث وبين الفكر الإسلامى فى منابعه الأولى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . . .

وأبانت أن الانطلاقة الحديثة مرتبطة ومدعمة بالسابق لها كحلقة من حلقات متصلة لا انفصام لها.

(٨)

طه حسين

أهم الأخطار التي يروج لها فكر طه حسين والتي يجب الحيطة في النظر إليها هي :

أولا : قوله بالتناقض بين نصوص الكتب الدينية وبما وصل إليه العلم ، وقوله : (إن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها) وهذه نظرية شاعت حيناً في الفكر الغربي تحت تأثير المدرسة الفرنسية التي يرأسها اليهودي (دوركايم) .

ثانياً : إثارة الشبهات حول ما سماه القرآن المكي والقرآن المدني ، وهي نظرية أعلنها اليهودي (جولد زيهر) وثبت فسادها .

ثالثاً : تأييده القائلين بتحريق العرب الفاتحين لمكتبة الإسكندرية وهي نظرية ردها المستشرق (جريفني) في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٢٤

رابعاً : عَمِلَ على إعادة طبع (رسائل إخوان الصفا) وتقديمها بمقدمة ضخمة في محاولة لإحياء الفكر الباطني المجوسي الذي كان يحمل المؤامرة على الإسلام والدولة الإسلامية .

خامساً : إحياؤه شعر المجون والغزل بالمذكر وكل شعر خارج عن الأخلاق سواء كان جنسياً أو هجاء ، وقد أولى اهتمامه بأبي نواس ، وبشار والضحاك في دراسات واسعة عرض فيها آراءهم وحلل حياتهم .

سادساً : ترجمة القصص الفرنسي المكشوف ، وترجمة شعر بودلير وغيره من الأدب الأجنبي الاباحي الخليع .

سابعاً : إثارة شبهة خطيرة عن أن القرن الثاني الهجري كان عصر شك ومجون .

ثامناً : قدم فكرة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي كمقدمة لدفعه إلى ساحة الإباحيات والشك وغيرها وذلك باسم تحريره من التأثير الديني :

تاسعاً : إعلاء شأن الفرعونية وإنكار الروابط العربية والإسلامية ومن ذلك قوله : إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ولو وقف الدين الإسلامى حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه .

العاشر : إشاعة دعوة البحر الأبيض لحساب بعض القوى الأجنبية والقول : بأن المصريين غربيوا العقل والثقافة ، وأن الفكر الإسلامى قام على آثار الفكر اليونانى القديم ولذلك فلا مانع من تبعيته فى العصر الحديث للفكر الغربى .

الحادى عشر : الادعاء بأن الشاعر أبا الطيب المتنبى (لقيط) وهى دعوى باطلة أقام عليها كتابه (مع المتنبى) متابعاً رأى الاستشراق وهادماً لبطولة شاعر عربى نابه .

الثانى عشر : اتهامه الخطير لابن خلدون بالسذاجة والقصور وفساد المنهج وهو ما نقله عن أستاذه اليهودى (دوركايم) .

الثالث عشر : إعادة خلط الإسرائيليات والأساطير إلى السيرة النبوية بعد أن نقاها المفكرون المسلمون منها والتزيد فى هذه الإسرائيليات والتوسع فى وذلك فى كتابه (على هامش السيرة) وقد كشف هذا الاتجاه الدكتور محمد حسين هيكل ووصفه مصطفى صادق الرافعى بأنه (تهكم صريح) .

الرابع عشر : حملته على الصحابة والرعيل الأول من الصفوة المسلمة وتشبيههم بالسياسيين المحترفين فى كتابه (الفتنة الكبرى) .

الخامس عشر : إثارة الشبهات حول (أصالة) الأدب العربى والفكر الإسلامى بما زعمه من أثر اليهود والوثنية والنصرانية فى الشعر العربى .

السادس عشر : إنكار وجود سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وإنكار رحلتهما إلى الجزيرة العربية وإعادة بناء الكعبة على نفس النحو الذى أورده العهد القديم وكتابات الصهيونية .

السابع عشر : دعوته إلى إعلاء شأن الأدب اليونانى على الأدب العربى والقول : بأن لليونان فضلا على العربية والفكر الإسلامى .

الثامن عشر : دعوته إلى الأخذ بالحضارة الغربية (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب) فى كتابه (مستقبل الثقافة) .

التاسع عشر : وصف الفتح الإسلامى لمصر بأنه (استعمار عربى) وعبارته هى : (خضع المصريون لضروب من البغى والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب) .

العشرون : إنكار شخصية عبد الله بن سبأ اليهودية وتبرئته مما أورده الطبرى ومؤرخوا المسلمين من دور ضخم فى فتنة مقتل عثمان فى كتابه (الفتنة الكبرى) .

* * *

هذه أبرز الشبهات التى أوردتها كتب طه حسين وقد واجهتها أقلام الكتاب فى عصره ومن بعد مواجهة حاسمة وكشفت زيف هذه الادعاءات ولم يرجع الدكتور طه عن رأى واحد منها (وإن كان قد رجع عن رأيه فى المنفلوطى ولم نورده لهذا) ولا تزال هذه السموم باقية فى مؤلفاته وكتبه بين أيدى الناس ، ولقد هزم هذا الفكر الاستشراقى التبشيرى هزيمة منكرة ، وطه حسين حى ، لقد ووجه طه حسين بالرفض والمخاصمة وحرقت كتبه فى بعض العواصم العربية (دمشق) وأرسل إليه كثير من المفكرين برقيات تعارضه وقد زيفت كثير من الدوائر العلمية آرائه كما فعل مؤتمر ابن خلدون ودراسات أساتذة كلية أركان حرب الجيش رأيه فى العروبة .

إن النقطة الحقيقية هى (التبعة والمسئولية التى يحملها فكر طه حسين للأجيال المتعاقبة) كما أشار إلى ذلك الأستاذ الجليل أحمد حسين ، هذا الفكر الذى ما زال مطروحاً بين أيدى الشباب بكل ما فيه من تناقض وسموم واحتمالات وشبهات بعد أن مضى صاحبه . وقد قيل : إن الدكتور طه حسين قد تنازل عن كثير من آرائه فى سنواته الأخيرة ، ونقول : فأين الدليل ؟ بل إن العكس هو الصحيح ، فإن الدكتور طه حسين كان حريصاً فى مجموعات مقالاته التى نشرت فى السنوات الأخيرة أن يستبقى هذه السموم وأن يعيد طبعها ، وأن يعلن فى حديث مع فؤاد دواره بأنه لم يتنازل عن أى

رأى قال به أو أعلنه ، وكل ذلك يعزز القول : بأن الدكتور طه حسين كان مصراً على تلك الآراء حتى آخر لحظة من حياته .

وقد كان من حق الأجيال الجديدة المسلمة علينا أن نعلمهم كيف يقفون من كل ما يقدمه الكتاب التغريبيون موقف الحذر وأن يعرضوه على قيمنا الأساسية ومفاهيمنا الأصيلة فما وجدوه متفقاً معها فليتقبلوه ومالم يجدوه كذلك واجهوه بحذر واحتاطوا منه .

ولعل كتابنا (طه حسين : حياته وفكره فى ضوء الإسلام) قد كشف عن جذور الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية فى مصر والبلاد العربية خلال تلك المرحلة التى عاشتها الأمة منذ جاء الاستعمار وألقى على الحياة فيها من تيارات تتصل بتثبيت النفوذ الأجنبي عن طريق الثقافة والفكر والتعليم .

ونحن نتصدى للكشف عن تلك الأخطار التى تمثلت فى كتابات عدد من المفكرين الذين ظنوا أن طريق التبعية للفكر الغربى والتماس أسلوب العيش الغربى هو الطريق الوحيد لبناء النهضة العربية الحديثة ، وقد كشفت الأحداث من بعد — وقبل : إن يرحل الدكتور طه حسين — عن فساد هذا الأسلوب وهزيمة تلك المدرسة ، وتبين أن الطريق الوحيد هو طريق الأصالة والتماس المناهج التى نجح بها المسلمون من قبل فى كل أزمة وقد تبينت فى السنوات الأخيرة من المقالات التى كتبها عبدالعظيم أنيس ، يوسف إدريس ، وكامل زهيرى وغيرهم حقيقة خطيرة ظلت خافية وقتاً طويلا ، وهى أن طه حسين كان يكن عاطفة خفية ظل يسترها وقتاً طويلا تحت ستار من التظاهر بالديمقراطية وحب الغرب ، وهى محبة الشيوعيين ومساندتهم ومتابعة كتاباتهم وتمنيا أن تمتد دعوتهم وأن ينتشر فكرهم فهو يتابعهم ويقرأ ما يكتبونه ويعلق عليه إذا قابلهم ويقضى لهم مصالحهم وهو يوسطونه من مركز النفوذ والقوة فى أمورهم .

* * *

(مقال عبد العظيم أنيس : العربى مارس عام ١٩٨١)

وهم يرونه رائداً للفكر الماركسى بكتابه (المعذبون فى الأرض) وقد كان لاتصاله بالوفد وعمله به مدخلا للجناح الماركسى المعروف الذى كان يقوده الدكتور محمد مندور ، وهم حين يتحدثون عن حبه لمصر وولاءه لها إنما يعجبون بإقليميته الواضحة العميقة ذات الطابع الفرعونى الكاره للعروبة والإسلام معاً . وقد دافع عن الماركسيين الذين فصلوا وسجنوا عام ١٩٥٠ ومنهم عبد العظيم أنيس وعمل على إعادتهم بعد خروجهم من المعتقلات، وقال له طه حسين: إنكم تتياسرون وتظنون أنى على يمينكم هل كتب أحدهم شيئاً كالمعذبون فى الأرض وفى فترة من الفترات هاجم فتحى غانم كتاب(المعذبون فى الأرض) من وجهة نظر ماركسية وقال: إنه لغو .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى موقفه من الصهيونية .

يقول الأستاذ أحمد حسين: (كيف عملت الصهيونية على إذاعة شهرته عالمياً وذلك بمناسبة خطاب إسحاق نافون رئيس دولة إسرائيل عنه وكيف زار المستعمرات الإسرائيلية منذ عصر مبكر جداً وأن اليهود وسيطرتهم على الأعلام الدولى حقيقة مؤكدة قد عملوا على بناء شهرة طه حسين دولياً باعتباره وقف من الإسلام موقفاً معادياً فى الصدر الأول والأكبر من حياته) . وقد حقق هذا الموقف الدكتور حسين فوزى مجلة أكتوبر (٢٨ أكتوبر عام ١٩٧٩) حين قال : (إن زيارته الأولى لإسرائيل مع طه حسين كانت عام ١٩٤٤ قال : فى عام ١٩٤٤ ذهبنا إلى القدس مع طه حسين وكان مديراً لجامعة القاهرة بالنيابة وكان حسين فوزى عميداً لكلية العلوم ، وقد طلب إليهما ألا يخطرا أحداً من العرب أنه اتصل بأحد من اليهود) .

وقد قدمت الأبحاث الجديدة التى نشرت فى السنوات الأخيرة حقائق هامة فى هذا المجال وخاصة بحث الدكتورة عواطف عبد الرحمن .

الصحافة اليهودية فى مصر

التى تقول : (وعندما أقبلت الأربعينـــات وأصبح تحقيق الوطن القومى اليهودى قاب قوسين أو أدنى وانكشف تمـاماً الخطر الصهيونى أمام

الرأى العام العربى والمصرى من خلال الصدمات التى وقعت بين الحركة الوطنية الفلسطينية فى مواجهة الحركة الصهيونية المدعومة بالمساندة البريطانية.
فقد فوجىء الرأى العام المصرى بأسلوب دعائى جديد يتلخص فى إصدار صحيفة مصرية ذات طابع ثقافى ضمت نخبة من كبار المثقفين المصريين بتمويل يهودى صهيونى وبواجهة حضارية لا تحتمل إثارة الشكوك حول انتمائها، تلك صحيفة (الكاتب المصرى) التى صدرت فى أكتوبر عام ١٩٤٥ وكانت تتولى تمويلها إحدى العائلات اليهودية الثرية وهى أسرة (هرارى) ويرأس تحريرها عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين وأن متابعة إعداد المجلة تثبت بالفعل نوعاً من التجاهل للقضية الفلسطينية أو معالجتها كحادث هامشى لا يحتل أكثر من عمود أو اثنين من أعمدة المجلة.

وأشارت إلى تعاطف طه حسين مع الحركة اليهودية، فقد تتلمذ على يديه كثير من الطلبة اليهود أمثال إسرائيل ولفنسون الذى أعد رسالة الدكتوراه عن (تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية والسلام) أشرف عليها الدكتور طه حسين، وقد أحاطت الصحافة اليهودية طه حسين باهتمامها الواضح وخاصة عندما أعيد إلى الجامعة بعد إقصائه عنها لفترة طويلة عام ١٩٣٤، وقد قام اليهود بترجمة كتابه (الأيام) إلى العبرية، كما قام بزيارة مدارس الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية عام ١٩٤٤ وكان فى استقباله كبار الشخصيات اليهودية وعلى رأسهم الحاخام الأكبر (فنتورا) وأعدوا نشيداً خاصاً للترحيب به، وألقى طه حسين محاضرة عن علاقة اليهود بالأدب العربى استثمرتها الصحف اليهودية فى الدعاية.

اما البحث الثانى فقد قدمته فى أطروحة الآنسة (سهام نصار) عن الصحافة اليهودية فى مصر : فأشارت إلى الدور الخطير الذى قامت به مجلة الكاتب المصرى، ومحاضرات طه حسين فى المدارس الإسرائيلية عن فضل مزعوم لليهود على الأدب العربى.

ولقد أثيرت فى المجامع العلمية شبهات طه حسين وخاصة فى مؤتمر السنة والسيرة الذى عقد فى قطر عام ١٤٠١ هـ حيث عرض الدكتور محمد البهى، والشيخ محمد الغزالى وغيرهم لتجاوزات طه حسين واتخذ المؤتمر قراراً بحجب مؤلفات طه حسين عن الشباب المسلم.

ومما قاله الدكتور محمد البهى : إن الدكتور طه حسين أثار فى كتابه (الفتنة الكبرى) شبهة خطيرة لم تصح مطلقاً وهى قوله : إن الإسلام بقى على هامش حياة المسلمين وأنه لم يستطع أن يفرض حياة المسلمين بين أصحاب الحضارات المختلفة ، وقد رد عليه الدكتور محمد البهى فى كتابه (الفكر الإسلامى الحديث) رافضا هذا الرأى الضال .

* * *

الفصل الثانى

كتاب لبنان المارون

دبرت الدول الأوربية فتنة عام ١٨٦٠ فى لبنان لعزلها عن الدولة العثمانية ، وإعدادها كمنطلق لإتمام عزل العالم الإسلامى والبلاد العربية وإسقاط الدولة العثمانية ، فقد فرضت الدول على الدولة العثمانية إقامة نظام خاص يمنحه الاستقلال الذاتى تحت رئاسة حاكم مسيحى تختاره الدول الأوربية ويصدق عليه السلطان ولم تلبث البعثات التبشيرية إن هرعت إلى بيروت وأقامت معاهدها وإرسالياتها فى محاولة لفرض نفوذ ثقافى غربى على أبناء المارون وقد بدأت الإرساليات الفرنسية هذا العمل ولحقت بها البعثات الأمريكية ولم تلبث بعد قليل أن أصبحت مصدراً خطيراً لتصدير صحفيين وكتاب إلى مصر ومختلف أنحاء العالم العربى ، ومما يذكر أن : (سركيس ، وصروف ،ونمر ، ومكاريوس ، وزيدان ، وفرح أنطون ، وشبلى شميل) كانت الدفعة الأولى من خريجى هذه المعاهد وهم الذين تصدروا الصحافة العربية فى مصر وكانوا أصحاب الحملة العنيفة على الدولة العثمانية وعلى السلطان عبد الحميد وهم الذين مهدوا للنفوذ الاستعمارى والصهيونية ولفصل العرب عن الترك وتقسيم البلاد العربية بين الصهيونية وفرنسا وإنجلترا .

وقد حمل الصحفيون الشاميون المتعاونون مع الاستعمار لواء الآراء الهدامة والمادية والإلحاد والشعوبية والتغريب ،وقد وصف (اللورد كرومر) هذا الفريق فى مذكراته بأنهم منحة من السماء ، وأنهم خميرة البلاد ، وقد وصل بعضهم إلى أعلى المراكز الإدارية وفى فصل مطول من كتاب الدكتور أنيس صايغ (الفكرة العربية فى مصر) يتحدث عن الأقليات فليرجع إليه من يشاء ومما قاله : لم يكن كل السوريين المتعاونين مع الاحتلال موظفين أو مرابين ، فمنهم من أنشأ صحفاً وأشهرها صحيفتى المقطم والمقتطف اللتان أصدرهما فارس نمر ، ويعقوب صروف ، وإسكندر مكاريوس ، وكانت

الصحيفتان اللسان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربية ، فأيدتا ذلك الاحتلال وقاومتا الحركات الوطنية بكل ما فى لفظتى تأييد ومهاجمة من معان ، وكتب هؤلاء الثلاثة يدافعون عن حق الإنجليز بمصر ، ويصفون حسنات الاستعمار ويمجدون أبطاله ، ويطالبون باستمراره ، ويدعون أهل مصر إلى الإذعان إليه لأنه يحميهم من داء (الوطنية) ولم تمر بمصر حادثة واحدة إلا وقفوا فيها موقفاً معارضاً لأمانى الشعب ، اتخذ الصحفيون وأصحاب الأقلام الشاميون والمسيحيون منذ اللحظة الأولى موقفاً موالياً للاستعمار والفكر الغربى بشقيه ، وكانوا أعواناً لكل النظريات والمذاهب والأيدلوجيات الوافدة .

لماذا اختار المسيحيون الفكر الغربى ؟ اتخذوه بحكم الولاء العقائدى ، ولأنه معارض للفكر الإسلامى الذى يمثل نفوذ الجماعة القائم ، وقد علمتهم معاهد الإرساليات أن ينقضوا على الفكر الإسلامى وأن يعملوا على احتواء المسلمين فى الفكر الغربى ، يقول :

لم يكن المفكرون المسيحيون فى هذا المضمار خاصة الصحفيين والناشرين مجرد مراقبين سلبيين بل كانوا مفكرين متمردين لعبوا دوراً مهماً فى تحييد الفكر المعاصر ، فلم يكن غريباً أن يبدو هؤلاء المفكرين المسيحيين أمام المسلمين ليس مجرد مجددين بل مفسدين للتراث والقيم التقليدية ، وقد تضمنت أقوالهم والطريقة التى قاموا بها هذه الأقوال : أكثر من مجرد انتهاك للعادة ، كان هناك تجاوز ونوع من الهرطقة ، كان المسيحيون المتعلمين مهيئون بكل قلوبهم لتبنى حضارة أوربا الحديثة أكثر مهماتهم أهمية فى المجتمع العربى الإسلامى من خلال كونهم مفسرين للغربيين ومبشرين لقيمه .

ومن هنا كانت صيحات ضد التراث الإسلامى عندما بدأ تجديد التراث وفى اللغة كانت دعوتهم إلى لغة وسطى للكتابة ، ولغة عامية للإنجيل ، وظهر سليم سركيس ، وفرح أنطون ، وسلامة موسى يبثون سمومهم ، وظهر الصراع بين أسلوب القرآن وأسلوب التوراة فى كتابات المنفلوطى وجدان وفى أحضان الكتاب المسيحيين ظهرت فكرة القومية العلمانية وهم الذين هاجموا ارتباط الدين بالسياسة فى الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى ،

فارس نمر

أبرز كتاب (المقطم) ومنشئيه وراسم سياسته من بدء صدوره عام ١٨٨٩ إلى وفاته عام ١٩٥١ خلال أكثر من ستين عاماً قضاها فى العمل الصحفى ، قدم إلى مصر مع صروف حيث التقيا باللورد كرومر ، الذى اتفق معهما على إنشاء جريدة تواجه الصحافة الوطنية وقد اشتغل نمر بالمقطم .

وكان صروف ، ونمر ، ومكاريوس والمجموعة كلها من بعد فرح أنطون ، وسلم سركيس ثمرة الإرساليات ، وحملة لواء الصحافة والقلم فى مواجهة :

١ ـ السلطة العثمانية ، والسلطان عبد الحميد فقد حمل حملة عنيفة عليهما ومهدأ لإسقاطهما .

٢ ـ تأييد المحفل الماسونى والدعوة الماسونية .

٣ ـ مقارعة الصحف الوطنية .

٤ ـ مدح المحتلين ورفع شأن دورهم فى خدمة البلاد .

٥ ـ نشر الدعوة إلى الانتداب على سوريا ولبنان .

وأشار الباحثون إلى أن فارس نمر هو الذى سعى لقبول سعد زغلول فى الوزارة وكان صاحب الفضل فى إسناد عرش مصر إلى السلطان أحمد فؤاد ، وقد هاجم فارس نمر كل الشرفاء الأبرار : مصطفى كامل ، محمد فريد ، عبد العزيز جاويش ، أمين الرافعى وكانت أقسى مقالاته فى الهجوم على مصطفى كامل . تلك التى نشرها عام ١٩٠٤ تحت عنوان : (شحات برند نجوت) وهو (نمر) الذى كان سبباً فى تحول قاسم أمين من الدفاع عن المرأة المسلمة إلى الدفاع عن المرأة العصرية إرضاء لنازلى فاضل .

وقد وصف فارس نمر ما قاساه فى مواجهة حملته على الخلافة والإسلام وحمل وجهة الاستعمار فى وجه المصريين والعرب والمسلمين فقال : (إنه كان يبيت مؤرقاً ، يتقلب على فراش الهموم والغموم من تعاقب الأحداث وبما يسميه الدسائس التى تحاك لهم فى الظلام وكان يكتم خبرها عن شركائه) .

* * *

فرح أنطون

يمثل فرح أنطون أجرأ أطراف الدعاة إلى التغريب فى عصره ، وهو الرائد الحقيقى لسلامة موسى ، ولويس عوض ، وأكثرهم قدرة على التحرر من قيود التقاليد والأساليب والأفكار ، فكان يصدر الأراء بالتغريب المثير ، وصفه لويس شبحو بأنه مغرم بدراسة الكتبة المتطرفين فى آرائهم الدينية والشيوعية من فرنسويين وروسيين وجرمانيين كرينان وكارل ماركس وتولستوى ونيتشة فعشعشت أفكارهم فى دماغه فصار يجاريهم فى كتاباته وهو لا يزال حيثما حل يعالج المواضيع الاشتراكية والديمقراطية المتطرفة المجردة من روح الدين لا تأخذه فى كتاباته ملل بل تجاوز فى ذلك حدود الفطنة دون مراعاة لصحته .

وقال مارون عبود : إنه فتح باب التفكير الحر وشرعه للناس ، وقد تعمد فى مجلة (الجامعة) مواجهة الإسلام بعبارات متعصبة وعنيفة ، حتى وصفها رشيد رضا بأنها تصدت للفتنة فى الإسلام وفى أئمة الإسلام ، عن طريق خدمة العلم دون الدين ، ودعوى إرادة النصيحة للمسلمين وهى تظن أن المسلمين فى اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحماقة مبلغاً جعله يتمثل بهذا الكلام ، وهو يزعم أن الجمع بين الرئاسة الدينية والمدنية فى خليفة المسلمين قاض يهدم الإسلام ، ومؤخر أهله عن جميع الأمم ودعا إلى جعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوربا .

وقد رد عليه الشيخ محمد عبده فى عديد من مقالات نشرت فى المؤيد والمنار بدون توقيعه ولكنها هزت المجتمع ، وكشفت عظمة الإسلام وتكامله ونظرته الجامعة بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع .

* * *

سليم سركيس

أما سليم سركيس فهو صاحب الهجوم العاصف على السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية وقد كانت كل رحلاته وأحاديثه بعسده لغات أوربية وسعة معارفه وتنوعها كلها فى خدمة النفوذ الأجنبي وفى خدمة الماسونية

والصهيونية وفى حقد جارف على الدولة العثمانية ، والخلافة والسلطان عبد الحميد :

يقول مؤرخه أحمد حسين الطماوى فى مجلة الثقافة (ديسمبر عام ١٩٨٠) وهو يسرد تاريخ حياته : إنه سافر إلى فرنسا وبريطانيا وفى باريس التقى مع بعض رجال تركيا الفتاة (الاتحاديين) ولابد أنهم ساوموه على الخطر التى سيقوم بها من تأليف كتاب كله خيالات وأوهام وأحقاد عن السلطان عبد الحميد . كما أنه زار مجلس العموم البريطانى – لنفس الغرض . كما أنه ألقى خطباً وأحاديث فى تاريخ التوراة وهذه توحى بالوجهة الصهيونية .

قال : ولما أصدر مجلة المشير عام ١٨٩٤ حمل فيها على الدولة العثمانية واستخدم الصور الهزلية فى ترسيم الحوادث المحلية والعمومية ، وقد سبقه إلى ذلك يعقوب صنوع ، ولما حوكم دافع عنه صحفى فرنسى هو هنرى روشفور فى خمس مقالات ولما توقفت الصحف التى يكتب فيها عن الدخول إلى الدولة العثمانية (لما فيها من طعن ضد الباب العالى حتى قال عنه السلطان عبد الحميد : إنه خائن للدولة والأمة وحكم عليه بالإعدام) ، حاول بالمكر إدخال أفكاره فأخرج مجلة باسم امرأة وقد استغلها فى توهين القيم الإسلامية فى مجال المرأة والأسرة ، فكان يعنى بوصف حفلات الرقص والأزياء ، أى أنه أدى خدمة أخرى للماسونية ، وكانت أحاديثه مع عملاء الاستعمار والنفوذ الغربى فى مقدمتهم (نازلى فاضل) التى كانت تفتح صالونها لأعوان كرومر ومع أمثال شبلى شميل .

أما كتابه (سر مملكة) الذى أصدره عام ١٨٩٥ فكان هجوماً عاصفاً حاقداً على الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وإذا كان قد تنبأ بسقوط عبد الحميد قبل سقوطه بسنوات على أيدى رجال الاتحاد والترقى ، فإن سركيس ، وفارس نمر ، وجرجى زيدان ، هذه العصابة كانت تعرف مدى أبعاد المخطط المرسوم ، وقد شاركوا فى تنفيذه والخاص بالتخلص من السلطان عبد الحميد ، بل إن عملهم فى مجال الصحافة والنشر لم يكن أكثر من إعداد الناس لتقبل محاولة قتل أو إسقاط السلطان عبد الحميد ومن بعده الخلافة الإسلامية ، وذلك بعد أن اتصل به هرتزل ورده السلطان فى عنف وعرف أنه (سبيل إلى تحقيق غايتهم فى فلسطين إلا بإسقاط عبد الحميد ، ومن

ثم سلطوا عليه تلك الطغمة الظالمة المعتمة فى مصر وهم المارون الماسون أعداء الخلافة والدولة العثمانية والإسلام . وقد تكشفت هذه الصفحات الظالمة من بعد وكان على الأستاذ أحمد حسين الطماوى أن يتنبه إلى ذلك ويشير إليه ، أما كتابه عن المكتوبجى الذى أصدره عام ١٨٩٥ فكان هجوماً على رقابة الصحافة فى الدولة العثمانية ، فإن رقابة الصحافة ليست عيباً وهى موجودة حتى الآن فى كل مكان ، وإن أخذت أساليب جديدة وكان السلطان يعلم مخطط الماسونية وهدف مدحت وزعماء الاتحاديين وكان يعلم مدى اتصالهم باليهودية العالمية والنفوذ الأجنبى ، فكان لابد من مراقبة كتاباتهم فى الشام التى كانت بؤرة المؤامرة ، ولقد كان هؤلاء جميعاً من المستأجرين ، فإذا دفع لهم السلطان صمتوا ثم عادوا مرة أخرى إلى التآمر ليدفع لهم مرة أخرى

أما لغة سركيس التى كانت موضع الإعجاب فإن لغة سركيس هى مقدمة العامية ومحاربة الفصحى وهذا الحوار الذى دار بينه وبين إبراهيم اليازجى صاحب الضياء يكشف عن أوائل تلك الحرب ضد الفصحى الذى عرفناه بعد فى كتابات لطفى السيد وسلامة موسى ، وكان علينا أن نعرف أعماق الأمور فإن سركيس كان يعمل على نفس خطة أستاذه يعقوب صنوع ، وهو إشاعة العامية والأزجال والسخريات للقضاء على الفصحى وعلى الأدب الرفيع ، وذلك تحت اسم لغة العصر ، وهى القضية التى ما نزال نعانى منها .

يعقوب صنوع

هو أحد أعمدة دعاة الغزو الثقافى الغربى ، وقد خدع الكثيرين حتى وضع اسمه فى صفوف المجاهدين والمحررين والمقاومين للظلم والاستبداد ، ولقد أضيف اسمه إلى قائمة تلاميذ جمال الدين الأفغانى ، بينما كان هو خادماً للأهداف الاستعمارية شأن جرجى زيدان ، وسليم سركيس ، وفرح أنطون ، وولى الدين يكن وغيرهم ، فيعقوب صنوع يهودى أساساً وقد حمل الدعوة إلى العامية وأنشأ الصحافة الساخرة للعبث بكل القيم والمقدرات وإدخال عنصر الفكاهة والسخرية بكل شىء ، من النكتة المكشوفة إلى الكلمة الجريئة ، وهو الذى فتح هذا الباب فى صحافتنا العربية والمصرية .

ولم يكن يعقوب صنوع إلا واحداً من هذه المدرسة التى عملت فى صف الاستعمار وخدمت أهدافه بالاستيلاء على قيادة الصحافة والمسرح ، وقد حمل معه سموم القصص والمسرحيات الفرنسية المكشوفة فعربها ومصرها ، وساهم بجهد ضخم فى إنشاء المحافل الماسونية فى مصر عام ١٨٦٥ والواقع أن يعقوب صنوع كان صنيعة الخديو إسماعيل أساساً وكان يعلم أولاده اللغة الفرنسية وله قصائد عديدة فى مديحه والإشادة به ، وتردد أنه كان أستاذاً فى علم الرقص وأنه علمه فى قصور الخديو والباشوات .

وكان أمراء عابدين قد أرسلوه إلى باريس ليتعلم بها فهو ربيب لغتهم أصلا وليس خلافة مع الخديو إسماعيل مرتبطاً بهدف أو إيماناً بفكره ، كما حاول بعض التغريبيين أن يصوروه ، بل على العكس كان جرياً وراء التيارات الصهيونية والاستعمارية التى حملت على الخديو عباس ومهدت لإسقاطه وقد ألف يعقوب صنوع محفلين فى مد خدمة الماسونية طليعة الصهيونية وفى ذلك العهد .

ولا ريب أن يعقوب صنوع هو رائد تنفيذ مشروع الدعوة إلى العامية بالكتابة العامية ، وتنفيذ مشروع الكاريكاتير والمسرح العامى. أنه يهودى فرنسى الجنسية يدعى يعقوب روفائيل ويطلق على نفسه اسم جون سانوا ، كان يسمى الخديو شيخ الحارة .

شبلى شميل

هو أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية ، ولم يكتف بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بالتعطيل والإلحاد ، ولم يتجرأ أحد قبله على ما تجرأ عليه كما ذكر السيد رشيد رضا فى (يناير عام ١٩١٧ — المنار) .

وكان الدكتور شبلى شميل من دعاة الاشتراكية (المادية) وكان مادياً فى أفكاره وأرائه وقد ترجم (مقدمة بخنر على مذهب دارون) ونجد هو أشد تلاميذ دارون إلحاداً وتعطيلا ،

يقول الدكتور يعقوب صروف :

أساس الفرق بيننا وبينه فى الأمور العلمية والاجتماعية إننا نميل إلى الحذر

ونرى أن نذكر كل أمر بما يستحقه من الاحتمال والترجيح أو التحقيق ، إثباتاً كان أو نفياً،مدفوعين إلى ذلك بما أثرته فينا العلوم الرياضية التي تعلمناها وعلمناها ، وقلما يستطيع هذا التدقيق من لم يبحث فى الموضوع من أما الدكتور شميل فلم يدرس العلوم الرياضية ، وكان حاد الذهن سريع التصور فيبادر إلى المجاهرة بما يعتقده صواباً ولو خالف المألوف ، ولم تقم أدلة قاطعة على تأييده ، وقد صرح بذلك منذ عهد بعيد حيث قال :

(أما أنا فأنى إذا كان ذلك يعد آفه ، إنى متى بدت لى حقيقة تستهوينى فإننى لا أعود أحفظ نفسى من إبدائها) .

إن هذه الحماسة لا يقدم عليها المرء فى عمله الخاص الذى يحبه من كل جوهر وعرف دخائله وتشعب الآراء فيه بل من يلم بالموضوع إلماماً أو يكون من الغادين فيه ،فلم يكن الدكتور شميل كذلك فى علم الطب بل كان يجرى معالجة مرضاه ووصف الأدوية لهم حسب القواعد المقررة، ولا يأخذ بالمحتملات ولا تستهويه المكتشفات الجديدة ، وهذا شأن كل متعمق فى علم من العلوم أو موضوع من الموضوعات ، ألا ترى أن داروين نفسه صاحب المذهب الداروني مضت عليه سنون كثيرة وهو يبحث ويحقق ويكاتب ويستشير قبل إن يجهر بمذهبه لأنه كان يرى أماكن الضعف فيه ولم يبادر إلى نشره إلا إجابة لإلحاح أصدقائه الذين رأوا أن ولس يكاد أن يسبقه إلى نشر مذهب مثله .

والخلاصة أن دكتور شبلى شميل لم يكن متخصصاً فى العلوم الطبيعية ولكنه كان طبيباً ، غالياً فى نزعته فى كراهية الشرق والإسلام والخلافة والدولة العثمانية ومواليا شديد الموالاة للغرب وللتغريب وقد اختير ليحمل هذه الرسالة ، وقد نقل مذهب دارون عن أشد غلاة المادية ، (نجنر) وكان يهدف إلى ما بعد المذهب وهو التصور المادى للحياة الاجتماعية كلها وكانت أهمية شبلى شميل تنحصر فى محاربة الغيبيات ، وكان يرمى بنقل الداروينية إلى وضع أقدس المقدسات الدينية بين قوسين أو وسط علامة استفهام كبرى ، ولما وجدوا أن دعوته لم تثمر وقوبلت بالمعارضة الشديدة جاء إسماعيل مظهر ليقدمها بأسلوب جديد مختلف ، فى إطار كلمات براقة : التطور ، التجديد ، الديمقراطية ، وجاءت بعد ذلك كلمات الفرعونية والاشتراكية ، والديكارتية والماركسية على ألسنة طه حسين ، وسلامة موسى

أديب إسحاق

لقد ادعى أنه تلميذ جمال الدين ، ورقت كلماته فى الصحف التى أصدرها فى مقاومة الاستعمار البريطانى ولكنه كان واحداً من مجموعة من خريجى إرساليات التبشير تحارب الاستعمار البريطانى وحده وترى الالتجاء إلى فرنسا هو الحرية منتهى الحرية ، اتصل أديب إسحاق بجمال الدين وادعى أنه من دعاة الحرية ، فما أن أخرج جمال الدين من مصر حتى والى النفوذ الفرنسى ، فكتب فى باريس يهاجم مصر ، ثم عاد إلى مصر مع أعلام الاحتلال فأعطى جائزة ومنصباً وهكذا نجد الجماعة كلهم : يوسف الخازن . رزق الله حسون ، سليم عنحورى ، لويس صابونجى ، كان هدفهم تدمير الدولة العثمانية وتحطيم الجامعة الإسلامية وفصل مصر عن تركيا لحساب النفوذ الأجنبي ، تلك هى مدرسة الإرساليات التبشيرية التى صنعها النفوذ الأجنبى فى بيروت لإعداد تلك القاعدة الضخمة التى انطلقت منها بعد ذلك كل قوى الفكر والصحافة والأدب وفى مقدمتها أصحاب المقطم عملاء كرومر ودعاة الاحتلال وسركيس وشاهين مكاريوس الذين كانوا جميعاً يعرفون طريقهم : محاربة الإسلام تحت اسم محاربة الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد والدعوة إلى تحرر الوطن باسم الإقليمية وتمزيق تلك الجبهة الصامدة ، تلك هى دعوة الصهيونية والاستعمار الكامنة وراء الإرساليات التى أطلقت خريجيها فانبثوا فى مصر وتونس والمغرب يقودون الصحافة لحساب النفوذ الإنجليزى والفرنسى ومن ورائهم الصهيونية كانوا يعملون فى البلاد العربية فإذا ضاقت بهم ذهبوا إلى إيطاليا أو فرنسا يصدرون صحفاً صفراء يهاجمون منها الخلافة والإسلام .

وأديب إسحاق وسليم نقاش : أصدرا جريدة التجارة وجريدة مصر كتبا فى مواجهة الاستعمار البريطانى (ولم يهاجما الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا) ، بل كانا فرنسى النزعة ،ورداً على المقطم ، ولكن كانت كتاباتهم فى الحرية والتربية والدستور كتابات غربية تقهر مفاهيم الرأسمالية والديمقراطية الغربية .

لويس صابونجي

أما لويس صابونجي فقد وضع برنامج الحرب الوطنى عام ١٨٧٩ ونشره بلنت فى التيمس عام ١٨٨٢ وناصر عرابى وسافر إلى لندن وهاجم الخلافة والسلطان عبد الحميد ، تحت اسم تشخيص أمراض الدولة العثمانية . وقد تبرع له أحد المموليين فى إنكلترا برأس مال قدره عشرة آلاف جنيه لنشر هذه الجريدة (الخلافة) عام ١٨٨١

وكانت هذه الصحف الصادرة فى الغرب من المارون فى حضانة النفوذ الاستعمارى والصهيونى ، وكانت الأهرام مؤيدة للنفوذ الفرنسى والمقطم مؤيدة للنفوذ البريطانى . ولم يكن تأييد الأهرام للحركة الوطنية إلا معارضة لبريطانيا . وقد حمل هؤلاء جميعاً على الدولة العثمانية والخلافة تحت اسم الوطنية والحرية والدعوة كذباً وتضليلا إلى إعادة الخلافة إلى العرب .

ونجد فى وقائع (رزق الله حسون) مثلا لهذا فهو قد سجن وفر من السجن وهرب إلى روسيا وهناك هاجم السلطنة العثمانية وسافر إلى لندن وأصدر جريدة عربية عام ١٨٧٢ وحمل على العثمانيين ودولتهم وهاجمهم هجوماً شديداً ، يوصف بأنه أقسى من هاجم الدولة العثمانية وعاون المستشرقين فى إنجلترا وفرنسا وروسيا ، وكتب ضد العرب والإسلام بلهجة قاسية ، وقد وصفه الاستعماريون والتغريبيون بأنه رائد الصحافة العربية الذى كافح الطغيان .

هؤلاء عملاء الماسونية والاستعمار :

الدعوة إلى اللغة العامية ، والزجل ، وكلمات عامية فرنسية كما يقول يعقوب صنوع (أبو نظارة رزقاً) : (دخلنا الرستوران وأكلنا بشمبانية) أما خليل عبد السيد فقد عنى بمهاجمة التراث الإسلامى .

* * *

(١)

جبران خليل جبران

(أدب المهجر)

إن من أبرز أعمال دعاة التغريب (إعادة إحياء الموتى) فهم لا يلبثون بين آن وآخر أن يجرو إعادة الحياة للموتى تحت دقات الطبول وصيحات الإذاعات ، وإقامة المهرجانات ، ثم يتبين لهم بعد قليل أن محاولتهم باطلة وأن من مات لا يبعث ، خاصة إذا كان من هذا الفكر الوثني الضال المنحرف الحاقد على اللغة العربية وعلى قيم الأخلاق والفضيلة على النحو الذى عرف عن جبران خليل جبران الذى صفقت له قوى التغريب عند بزوغ فجره ، وظنت أنها ستقضى به على البلاغة العربية وسترفع به أعلام الأسلوب التوراتى الذى حاولته جماعة المهجرين من أمثال ميخائيل نعيمة ، وأمين الريحانى وجبران خليل جبران واليوم وبعد مائة سنة تعود طبول التغريب لتدق مرة أخرى مترجمة كتب جبران ومحتفلة به ، ولكن بعد ماذا ، بعدما ارتفعت الغشاوة عن العيون التى خدعت فى الثلاثين ، والواقع أن الأدب المهجرى قد اعتمد على مصدر أساسى ، هو الحملة العنيفة على الدين واللغة ، ومقومات المجتمع العربى الإسلامى ، والثورة على كل القيم والعقائد والإفراط فى الإباحة ومهاجمة القيم الأخلاقية فى الحب والزواج من إدخال الأسلوب جديد مستغرب يصادم الحس الإسلامى ويعارض مفاهيم البلاغة ، ويعلى من صيغة التوراة والمجاز الغربى .

وقد تصدر جبران خليل جبران هذه المدرسة .

ويمكن القول بأن المدرسة المهجرية الشمالية التى كونها جبران ورأس ناديها كانت ثمرة من ثمار الإرساليات التبشيرية التى وردت لبنان وسيطرت على وحدة التعليم والثقافة فيه ، ومن ثم كان لهذه الثمار اتصالها بالمدارس الغربية ، وخاصة مدينة بوسطن التى اتخذها المهجريون مقراً لهم وهى منذ قديم مقر الإرساليات التبشيرية فى الولايات المتحدة . ولعل أصدق ما يمثله

الأدب المهجرى ما كتبه جبران نفسه عام ١٩١٩ فى خطاب إلى إميل زيدان (مجلة الهلال) : إن فكرى لم يثمر غير الحصرم وشبكتى ما برحت مغمورة بالماء.

ومن الحق أن أسلوب جبران قد بهر كثيراً من الشباب وسرى سريان النار فى الهشيم ، ولكن سرعان ما انطفأ وفقد أثره ، وذلك لمصادمته لطبيعة النفس العربية ، ومعارضته لمنهجها ، وتضاربه مع مزاجها النفسى والاجتماعى ، ذلك أن جبران كان إقليمياً مغرقاً فى الإقليمية ، إباحياً مسرفاً فى الإباحة ، وقد حاول فى الكثير من نبراته محاكاة مزامير داود ونشيد سليمان وسفر أيوب ومراثى أرميا وتخيلات أشعيا على حد تعبير ميخائيل نعيمه – فكان بذلك وكان إخوانه طلائع الغزو الصهيونى – وكان أسلوب التوراة هو المثال الأدبى الأول الذى تأثر به وقد حفلت كتاباته بمجموعة من الصور والتعبيرات ، التى استقاها من الأسفار فهو يقدم أشباه الجمل والظروف ، والأحوال ، ثم يمزج ذلك بفن (ولت ويتمان) الشاعر الأمريكى ، كما أشار كثير من مترجمى سيرته إلى أنه بعد حرمان الكنيسة له وهو فى العشرين من عمره على أثر قصيدته التى هاجم بها الأديان ، اندفع فى طريق إحياء أمجاد فينيقية وحضارة الكلدانيين . وقد أشار فى خطاب له من بوسطن سنة ١٩٢٠ لصديقه نخلة إلى هذا المعنى فقال : إن القوم فى سوريا يدعوننى كافراً والأدباء فى مصر ينتقدوننى قائلين : هذا عدو الشرائع القديمة والروابط القديمة والتقاليد القديمة ، وهؤلاء الكتاب يا نخلة يقولون الحقيقة . لأنى بعد استفسار نفسى وجدتها تكره الشرائع ، بل لقد صور جبران مفاهيمه وانحرافاته فى مقال مطول استهله على هذا النحو ؟« هو » متطرف بمبادئه حتى الجنون ، هو خيالى يكتب ليفسد أخلاق الناشئة ، هو فوضوى كافر ملحد . . هكذا يقولون عنى وهم مصيبون فأنا متطرف حتى الجنون ، أميل إلى الهدم ميلى إلى البناء ، وفى قلبى كره لما يقدسه الناس وحب لما يأبونه » ولا ريب أن كتابات جبران هى طابع النفس المنحرفة ، وقد التقطه الغزو الثقافى ودفعه إلى الأمام وفتح له آفاق الشهرة ومع ذلك فقد سقط أدب جبران ولم يحقق النتائج التى عول عليها دعاة التغريب .

وقد جرت محاولات لضرب أسلوب المنفلوطي الذي برز في هذه المرحلة بأسلوب جبران على فرق ما بينهما من نهج ومضمون فأسلوب جبران هو أسلوب الخيال والإباحة والهدم ومعارضة الأخلاق والعقائد وهو معارض لطبيعة النفس العربية والمزاج العربي ، أما أدب المنفلوطي فقد كان موازياً لهذه النفس ، مستمداً من أسلوب القرآن في الأداء ، حتى قبل أن قلب جيل كامل من دمشق إلى فاس قد خفق من خفقات قلب المنفلوطي .

ويمكن القول أن الأدب المهجري قد كشف عن زيفه (أولا) حين انفصل عن قيم الأمة العربية والأدب العربي في البلاغة والأسلوب ، وخاصة حين حاول النيل من اللغة العربية وإشاعة طوابع الظلال والأضواء والرمز ، وهي بعيدة عن طابع اللغة العربية وأدبها الصريح الواضح .

ثانياً : حين اتصل بقيم الأدب الغربي وفلسفته المادية والإباحية ، فأعلى من شأن وحدة الوجود واللاأدرية وفلسفة نيتشة للثيوصوفية المستمدة من الأفلاطونية الجديدة ، ومذاهب الكشف الجنسي وذلك حين أسرف (جبران ونعيمه) وكسرهما في احتقار القيم العربية والعقائد الروحية مع الدعوة إلى الكشف الغربي والإباحية والانفصال عن القيم الوطنية والقومية والهروب من الواقع والإيمان ، واتخاذ الأممية أساساً لفكرة الدعوة الإنسانية مع الإقليمية والخصومة للدين والأخلاق .

ولقد أسرف الذين تحدثوا في مهرجان جبران وغالوا في محاولة تصوير أثره حيث كانت كل الدلائل والوقائع تكذبهم ، ولكنهم صدقوا حين قالوا : إن جبران كان ثورة على القديم ، وعلى كل الأشياء التي تربطنا وتشدنا إلى الماضي . ولقد حاول جبران كما حاولت مدرسة المهجرين إحياء العرفية الفينيقية الوثنية ، ومهاجمة قيم العروبة والإسلام فأعادت وأحيت كل ما رددته فلسفات زرادشت والمجوسية ووثنية اليونان والرومان هرباً وراء فرويد ونيتشه وغيرهما وكان هذا كله مصاغاً في إطار التوراة وأسلوبها من خلال المزامير وأسفار الجامعة ونشيد الأنشاد وسفر أيوب ودخيلا على الأدب العربي ، وعلى الذوق العربي وعلى المزاج العربي ، ومن هنا كان سقوطه واندحاره .

(٢)

جرجى زيدان

(روايات الإسلام)

منذ توفى مؤسس الهلال عام ١٩١٤ ، ولا تزال آثاره تجد اهتماماً كبيراً من جهات بعينها ، فما تلبث بين وقت وآخر أن تظهر روايات الهلال مطبوعة طباعة فاخرة : هذه الروايات التى تسمى روايات الإسلام والتى خدعت كثيراً من شبابنا بذلك الأسلوب القصصى الذى كان يغريهم بالقراءة ثم يدس لهم سموماً كثيرة من شأنها أن تغير نظرتهم كمسلمين إلى زعماء الإسلام وأبطاله وتجعلهم يحسون نحوهم بانتقاص شديد ، يزيل من هيبتهم ويقلل من مكانتهم ويصورهم على أنهم كانوا يتصارعون على منصب أو حب أو مال . وهذه هى المحاولة الخطيرة التى يستهدفها الكاتب أساساً وإن أخفاها وراء مظاهر براقة من التصوير الفنى والعاطفى ،وقد كان لا بد من « إعادة النظر » فى أعمال هذا الكاتب الذى حاول كتابة تاريخ الإسلام من خلال كتابة تاريخ التمدن الإسلامى ومن خلال رواياته ، وقد اكتشف أمره مبكراً ، فلم يخف على أهل جيله أنفسهم وقد نشرت مجلة المنار عدداً من الدراسات حول مؤلفاته من أهمها ما كتبه الشيخ شبلى النعمانى (المجلد ١٥ — ١٩١٢) فى نقد كتابة تاريخ التمدن الإسلامى والذى قال فيه : إن الغاية التى توخاها المؤلف ليست إلا تحقير الأمة العربية ، وإبداء مساويها ، ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق ، وكذلك نشر الأستاذ أحمد السكندرى دراسة فى المنار عن مؤلفات جرجى زيدان ومنهجه فى البحث ، وتحدث كثيرون عن (جرجى زيدان) : (الذى شوه التاريخ الإسلامى برواياته الفاسدة حيث اعتمدت عليه المخابرات الأجنبية ، وكان عضواً فى الجمعيات الماسونية فى الشرق العربى ورافق الحملة النيلية إلى السودان عام ١٨٨٤ بصفة مترجم فى قلم الاستخبارات ، ثم عاد إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرانية والسريانية ورحل إلى لندن (١٨٩٠) ورجع إلى مصر فأنشأ مجلة (الهلال)

الذى كان موازياً لمجلة المقتطف ، وكان محتضناً بالدراسات التاريخية فى الأغلب وقد خدم الاستشراق والتغريب فى هذه المرحلة خدمات جلى منها موقفه من السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية وهو موقف خصومة وكراهية (فقد كان كتاب المارون اللبنانيين هم عصبة الحرب على الخلافة الإسلامية والدولة العثمانية ، والسلطان عبد الحميد الذى وقف فى وجه الصهيونية فسلطوا عليه كذلك كان موقفه المؤسف من الإمام مهدى السودان، الذى تؤكد وثائق التاريخ أنه قام بحركة استقلالية إسلامية ناصعة ، كذلك فقد وسع دائرة الخلاف بين الصحابة وجدد الخلافات بين الأمويين والعباسيين وجرى فى ذلك مجرى المستشرقين الذين حاولوا إثارة هذه السموم .

والواقع أن طبيعة تكوين جرجى زيدان ووقائع حياته توحى بأنه عمل فى دائرة الاستشراق والتبشير الغربى وفق مخطط دقيق ماكر ، لم يكتشف إلا بعد وقت طويل ، ومطالع حياته تعطى إشارة واضحة لذلك ، كما أشرنا وفى هذه الفترة وضع تحت إعداد دقيق وخاصة خلال إقامته فى لندن حيث اتصل بمعاهد إعداد غير المسلمين للعمل فى الشرق ، وفى هذه الفترة اتصل بالماسونية ولما عاد ألف كتابه (تاريخ الماسونية) الذى ما زال أكبر مراجع الماسونيين وهو فى صف دعوتهم ، وقد كانت مجلة الهلال محاولة لنقل مفاهيم الفلسفة الماسونية الملحدة الإباحية إلى أفق الفكر الإسلامى بذكاء ومكر شديدين .

(ومما يذكر أن صروف ، ونمر ، ومكاريوس ، أصحاب المقتطف) كانوا ماسوناً أيضاً وكذلك سليم سركيس ، والدكتور شبلى شميل وجماعة الصحفيين المارون الذين انتشروا فى أوربا لحرب السلطان عبد الحميد والإساءة إلى سمعته ووصفه بالسلطان الأحمر . وكانوا جميعاً أولياء الاستعمار البريطانى ، وقد وصفهم اللورد كرومر بأنهم هبة السماء له .

فلما وقع حادث إسقاط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وتولى الاتحاديون السلطة فى الدولة العثمانية بدأ بالدفاع عنهم وسافر إلى هنالك وتلقى تعليماتهم يقول السيد رشيد رضا (م ١٧ المنار — ١٩١٤) : ثم ظهر منه رأى من جرجى زيدان -- بعد الانقلاب العثمانى نزعة جديدة تقدمتها نزعة عدت أحياء المذهب

الشعوبية ذلك بأنه زار الآستانة ولقى فيها بعض زعماء جماعة الاتحاد التركى ثم عاد مشبعاً بالنهضة التركية مستنكراً مجاراة العرب لإخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوباً خطة الاتحاديين الأولى فى تتريك العناصر وإرغام العرب فى الترك ، وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج ما كتبه جماعات فتيان العرب فى الآستانة وسوريا وكادوا يحملون عليه فى الصحف .

أما النزعة التى سبقت هذه النزعة فهى مطاعن له فى العرب أودعها كتابه تاريخ التمدن الإسلامى فطن لها أخيراً من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتاً إليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية لتاريخ التمدن الإسلامى ونشره منها بالتتابع فتشاور كثير من الشبان المتعلمين فى الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منه شئ .

وقد أشار العلامة شبلى النعمانى فى نقده لكتاب التجديد الإسلامى إلى أن الغاية التى توخاها جرجى زيدان ليس إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساوئها ، ولكنه لما خاف ثورة الفتنة غير مجرى القول وألبس الباطل بالحق ، وبيان ذلك أنه جعل العصر الإسلامى ثلاثة أدوار فمدح الدور الأول ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين ، وبمدحه لبنى العباس وهم أبناء عم النبى ، ورأى أن بنى أمية ليست له وجهة دينية فلا ناصر لهم تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة إلا وغزاها إليهم وما وجد حسنة إلا وابتزها منهم وقال العلامة شبلى النعمانى : لقد تعود المؤلف (جرجى زيدان) قبول مختلف أهل الكتاب وادهامهم ، وسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامى بميزان غيرنا ولذلك يصغى إلى كل صوت ويستمع لكل قائل . لا يعرف أن هذا الفن أى : كتابة التاريخ — له أصوله وقواعده ماولم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول اليقينية فلا يلتفت إليه أصلا ، فكان الناقل للرواية لا بد أن يكون قد شهد الواقعة فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تصل الرواية إلى من شهدها بنفسه ، ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم ومنها ألا تكون الرواية مختلفة الدراية ومجارى الأحوال ، ولذلك اهتم مؤرخو الإسلام قبل كل شئ بضبط أسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم ودياناتهم ومحلهم من الصدق ، فدونوا كتب أسماء الرجال وكابدوا فى ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشرى فعملوا كتباً غير محصورة منها الكامل لابن عدى والثقاة لابن حيان وتهذيب الكامل للغرى وتهذيب التهذيب لابن حجر

وطبقات الصحابة لابن سعد ، وميزان الاعتدال للذهبي ، ونجد كتب القدماء من مؤرخي الإسلام كلها أو أكثرها كسيره بن إسحق ، وتاريخ الطبري وابن قتيبة وغيره مسلسلة الاسناد مبينة الأسماء ليمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها .

ومما أخذ عليه وقوفه في صف خصوم المسلمين القائلين بأنهم (حرقوا) مكتبة الإسكندرية ، فقد أشار إلى ذلك أكثر من إشارة ثم عقد باباً لإثبات أن خزانة الإسكندرية حرقت بأمر عمر بن الخطاب وقد أطنب في ذلك واستدل عليه بدلائل ، وأشار النعماني إلى أن المؤلف اعتمد على روايات ثبت كذبها وقال : إن أقدم من روى هذه الرواية هو البغدادي ، ذكرها من غير إسناد ومن غير إحالة على مصدر ، وقال إن أول شئ يهمنا هو : هل ذكر القفطي والبغدادي هذه الرواية مسندة وذكرا مصدر الرواية واسم رواتها أم لا .

وأنت تعلم أن البغدادي والقفطي من رجال القرن السادس والسابع فأي عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول ، يذكر أنها من غير سند ولا رواية ولا إحالة على كتاب أما كتاب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين ، وهذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمعارف لابن قتيبة والأخبار الطوال للدينوري وفتوح البلدان للبلاذري ، والتاريخ الصغير للبخاري ، وثقاة ابن حيان ، والطبقات لابن سعد ، وقد تصفحناها وكررنا النظر فيها ، ومع أن فتح الإسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة فيها ذكر . (المنار م ١٥ — يناير ١٩١٤) .

وقال شبلي النعماني : واعلم أن مسألة إحراق خزانة الإسكندرية موضوع مهم عند أهل أوربا ، وقد أطال البحث فيه نفياً وإثباتاً ، وممن ألم بهذا البحث جملة وتفصيلا المعلم وايت والمعلم دى ساسى الفرنسي في ترجمة كتابة الأفادة والاعتبار واشفكن أردنك ودربير الأمريكاني ، صاحب كتاب الجدل بين العلم والدين ، وكرجين وسيديو في تاريخ الإسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسي في خطبته عن الإسلام والعلم ، وقد طالعت كل هذه الأبحاث والمقالات ، والحاصل أن محققي أهل أوربا قضوا بأن الواقعة غير

ثابتة أصلا ، منهم جبيون المؤرخ الإنجليزى ودربير الأمريكانى ، وسديو الفرنسي وكرديل الألمانى ورنيان الفرنسي وعمدتهم فى إنكار ذلك أمران :

الأول : أن الواقعة ليس لها عين ولا أثر فى كتب التاريخ كالطبرى وابن الأثير والبلاذرى وغيرهم ، وأول من ذكرها عبد اللطيف بغدادى والقفطى وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدراً للرواية والاستدلال .

والثانى : أن الخزانة كانت قد ضاعت قبل الإسلام : أثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن إنكارها .

هذا مجمل ما أشار إليه العلامة شبلى النعمانى . أما العلامة أحمد السكندرى فقد أشار إلى أن مما يؤخذ على جرجي زيدان أنه كثير النقل من مستعربى الإفرنج من غير تمحيص لدعواهم وأنه يخطىء فى الحكم الفنى ، أى أنه يقرر غير الحقيقة العلمية ، وأنه يخطئ فى الاستنتاج ،وأنه يقيم الدعوى بغير دليل ويخطىء فى النقل وأنه قليل تحرى الحقيقة،ويروج الدعوى بغير دليل وتروج عند المؤلف أقوال الخصوم من خصومهم وأقوال الكتب الموضوعة لأخبار المحان أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها وأنه يستدل بجزئية واحدة على الأمر الكلى .

وعن كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) أخذ عليه السكندرى أنه أغفل مدة حكم الفرس فى اليمن بعد ذى يزن وكثرة شكه وتردده وتناقضه فى أكثر الحوادث وتخريجه الإعلام تخريجاً غريباً واختصاره التاريخ جداً وإنكار بعض الحقائق البديهية فى موضع وتشبثه بتحقيق بعض الظنون فى موضع آخر . ومما أخذه عليه ما أسماه (جسارته) فى وضع الأسماء ، والتقسيات التاريخية ، مع ضعف الاستظهار كتقسيم أدوار تاريخ العرب وتسمية الأمة التى سماها (استرابون) اليونانى جرهين بالقريتين نسبة إلى قرية وهم اسم اليمامة أغنى أهل الأرض .

وكذلك أخذ عليه تهجينه أخبار العرب فى حوادث الفخر والغلبة وتصديقه خرافات استرابون وهيردوت مع أنهما لم يدخلا بلاد العرب ولم يرياها . وكذلك أخذ عليه سوء التعبير من الوجهة الدينية فى عبارات الكاتب

كقوله : (أقدم المصادر العربية المعروفة عن تاريخ العرب وأقربها إلى الصحة : القرآن) .

راجع : المنار م ١١ ص (٨٦٣ ، ٧٨٧) .

إن إعادة النظر فى كتابات جرجى زيدان تكشف بوضوح أنه يمثل إتجاه الاستشراق والتبشير والتغريب، حاملا شبهاته وسمومه وعاملا على غرسها فى أبحاث التاريخ الإسلامى ، وقد كانت هذه الكتابات مجهولة المصدر حتى إذا ترجمت دائرة المعارف الإسلامية التى كتبها متعصبوا المستشرقين تبين أنها تضاهيها من حيث وحدة المصدر ، ثم جاء بعد ذلك طه حسين ، وأحمد أمين . وأمين الخولى وغيرهم فأدخلوا التاريخ الإسلامى مراحل جديدة أشد خطورة ، ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ الذى حمل لواءها عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

روايات جرجى زيدان

أما المجال الذى استطاع جرجى زيدان أن ينفث سمومه فيه بحرية فهو مجال القصص فقد ألف عدداً من القصص تحت اسم روايات الإسلام دس فيها كثيراً من الدسائس والمؤامرات والأهواء وحاول إفساد مفهوم الشخصية الإسلامية والبطولة الإسلامية حيث أساء إساءة بالغة إلى أعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبى ، هارون الرشيد ، السلطان عبد الحميد ، عبد الرحمن الناصر ، أحمد بن طولون ، الأمين والمأمون ، عبد الرحمن الداخل ، شجرة الدر. وقد أقام تصوره على أساس خطير :

أولا : تصوره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذين يريدون الوصول إلى الحكم بأى وسيلة ولو كان على حساب الدين والخلق القويم مع تجريحهم واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات .

ثانياً : تزييف النصوص التى نقلها عن المؤرخين القدامى وحولها عن هدفها تحويلا أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصاً غرامية باطلة .

ثالثاً : استهدف من حشد القصص الغرامية ذات المواقف المسفة داخل روايات تاريخ الإسلام إثارة عزيزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين مستغلا ضعف ثقافة الكثيرين منهم وجهلهم بالغاية التي يرمى إليها فى روايات مع الاستشهاد بالأبيات الشعرية المكشوفة الساقطة التي تحرك الغرائز الدنيا .

رابعاً : تبين من البحث الذى قدمه عالم أزهرى درس باستفاضة روايات جرجى زيدان أن معظم الأحداث التاريخية فى رواياته قد حرفت وبنيت على أساس فاسد .

فقد ظل جرجى زيدان على حد تعبير الباحث الدكتور . . . ينقب وينقر ويجهد نفسه فى مزج الحق بالباطل وتقديمه فى أسلوب براق جذاب معتمداً على فن أدبي ذى أثر بالغ وذلك هو فن القصة والرواية ، حيث لم يكن حريصاً على تحرى الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحبكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقاً ، وقد عمل جاهداً على طمس التاريخ الإسلامى وتشويه معالمه بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضى آبائهم المجيد .

خامساً : من أخطر شبهاته : أنه قال ببشرية القرآن وشك فى مصادر العربية الأولى ، ومدح بنى العباس لأنهم أنزلوا العرب منزلة الكلب (على حد قوله) ونسب إحراق مكتبة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد طبع اللبنانيون روايات جرجى زيدان مزادته بالصور الملونة والألوان الصارخة بقصد استهواء الشباب وحملهم على قراءة هذه الكتب التى لا تعطيهم إلا صوراً مشوهة لتاريخ أمتهم وأخباراً ملفقة بغية التشكيك فى ذلك التاريخ .

سادساً : أعطى نفسه الحرية المطلقة فى تفسير أحداث التاريخ فى معظم رواياته استناداً إلى موقف الأديب من التاريخ ، وكانت تفسيراته متعسفة متكلفة فى محاولة لإثارة مشاعر السخط فى نفوس المسلمين .

سابعاً : تفسيره لتصرفات هارون الرشيد مع أخته العباسة وجعفر البرمكى بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاماً ويغزو عاماً بل وبما لا يتفق مع أيسر قواعد التفكير والمنطق السليم ، وفى رواية

أرمانوسة المصرية حاول أن يقول : إن الحب بين أرمانوسة وأركاديوس قائد حصن الروم هو السبب فى هزيمة الروم وانتصار المسلمين واتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسلبون عندما فتحوا بلبيس وهو مناقض تماماً لما أورده المؤرخون المنصفون .

ثامناً : فى رواية فتاة غسان أورد شبهة بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أخذ تعاليمه عن الرهبان وتأثر بتوجيهات الراهب بحيرا ، واتسمت كتابته بالسخرية والاستخفاف بوثائق العهد النبوى ووصف حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالغرابة وادعى أن هناك خصومة بين خالد ابن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح ، وأخذ مصادره فى هذا من كتب المستشرقين .

تاسعاً : فى رواية عذراء قريش أقام منطقه على تجريح الصحابة واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات واتهم السيدة عائشة بالميل إلى سفك الدماء والنزوع إلى الشر ، ووصف الخليفة عثمان بأنه رجل إمعه وذليل ومستسلم لابن عمه ، وافترى على على بن أبى طالب وفسر الفتنة تفسيراً مغرضاً واتهم عليا بالتهاون فى المطالبة بدم عثمان .

العاشر : وفى رواية العباسة اتهم الرشيد بالاستهتار والمجون والاستبداد والظلم ، وقدم تفسيراً خاطئاً ومغرضاً لقتل بنى برمك ، وشوه شخصية العباسة أخت الرشيد .

الحادى عشر : فى روايات (شارل وعبد الرحمن) : زعم بأن القواد وأمراء الجند من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى وقد فتنوا بجمالهن وإن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح ، فتركوا جنودهم فى ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يهتمون بالغنائم أكثر من اهتمامهم بما عداها ، وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم .

الثانى عشر : أجرى على لسان أبى مسلم الخراسانى من الافتراء ما قال : من أن العرب كانوا يحتكرون غير العرب ويسومونهم سوء العذاب ثم يفتخرون عليهم بالنبوة وطمس معالم التاريخ الإسلامى فى هذه الرواية بالدس

والافتراء وقدم صوراً باهرة للكنيسة ورهبانها ، وأشاد بالأديرة والرهبان حيث جعلها ملجأ الضعفاء وملاذ التائهين والخائفين .

وفى رواية الأمين والمأمون كان واضح التحامل على العرب واصفاً إياهم بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التى تربطهم بهم رابطة الإسلام قبل كل شيء .

الثالث عشر : فى رواية فتاة القيروان حاول التشكيك فى أنساب الكثيرين من حكام المسلمين وكذلك عمد إلى التشكيك فى نسب الخليفة المعز لدين الله واعتمد فى قصصه الغرامية على الخيال إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف فى جميع كتب التاريخ ، وخاصة حاكم سلجماسة الأمير حمدون ، بل أن صاحب سلجماسة فى كتب التاريخ يختلف تماماً عما جاء فى رواية زيدان مما يؤكد ميل زيدان إلى التزوير والتحريف .

بل أن صاحب سلجماسة هو محمد بن داسول وليس الأمير حمدان ولم يقل ابن الأثير : إن له بنتاً شغلت القائد جوهر فخطبها لابنه وقد أعطى زيدان اليهود فى روايته دوراً إيجابياً وجعلهم أصحاب الفضل الأول فى إزالة الدولة الإخشيدية وإقامة دولة الفاطميين مقامها .

الرابع عشر : فى رواية صلاح الدين تلفيق وتزوير وإفساد للمجتمع ، فقد ذهب إلى أن الخليفة العاضد لما ضعف أمره استدعى صلاح الدين وأوصاه بأهله خيراً ، وأن صلاح الدين نقض هذا العهد بعد سويعات وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه ، ولا ذكر فى كتب التاريخ لتلك الوصية ولا إشارة فى كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه ، وهذه الوصية التى ذكرها زيدان لم ترد فى الكامل لابن الأثير ولا غيره ، فهى ملفقة مزورة ، كذلك فقد زيف زيدان النصوص التى نقلها من ابن الأثير وحولها تحويلا أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصاً غرامية باطلة

ولم يعن المؤلف بالتصوير الحى لشخصية صلاح الدين ولم يسجل مواقفه الحاسمة وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذى قام به صلاح الدين بالحديث عن مكائد الحشاشين وتهديدهم لصلاح الدين واعتمد على روايات طائفة الحشاشين تلك الجماعة الضالة المنحرفة ، وحاول أن ينسب إلى صلاح الدين قصصاً غرامية كاذبة .

الخامس عشر : وفى رواية شجرة الدر حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللاتى يتآجرن بأعراضهن فى سبيل الحصول على ما يتطلعن إليه ، وليس معه أى دليل من التاريخ وهذه الدعاوى التى أوردها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة فى الكتب التى أرخت لهذه الفترة من أمثال :

النجوم الزاهرة : لأبى المحاسن .

المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار : للمقريزى .

صبح الأعشى : للقلقشندى .

السادس عشر : وخلاصة مايصل إليه البحث حول روايات جرجى زيدان

١ — تحوير مواقف الشخصيات التاريخية .

٢ — إثارة الشكوك حول البطولات الإسلامية .

٣ — تعمد إغفال الحوادث التاريخية المهمة .

٤ — إضفاء هالات مثالية على الأديرة والرهبان .

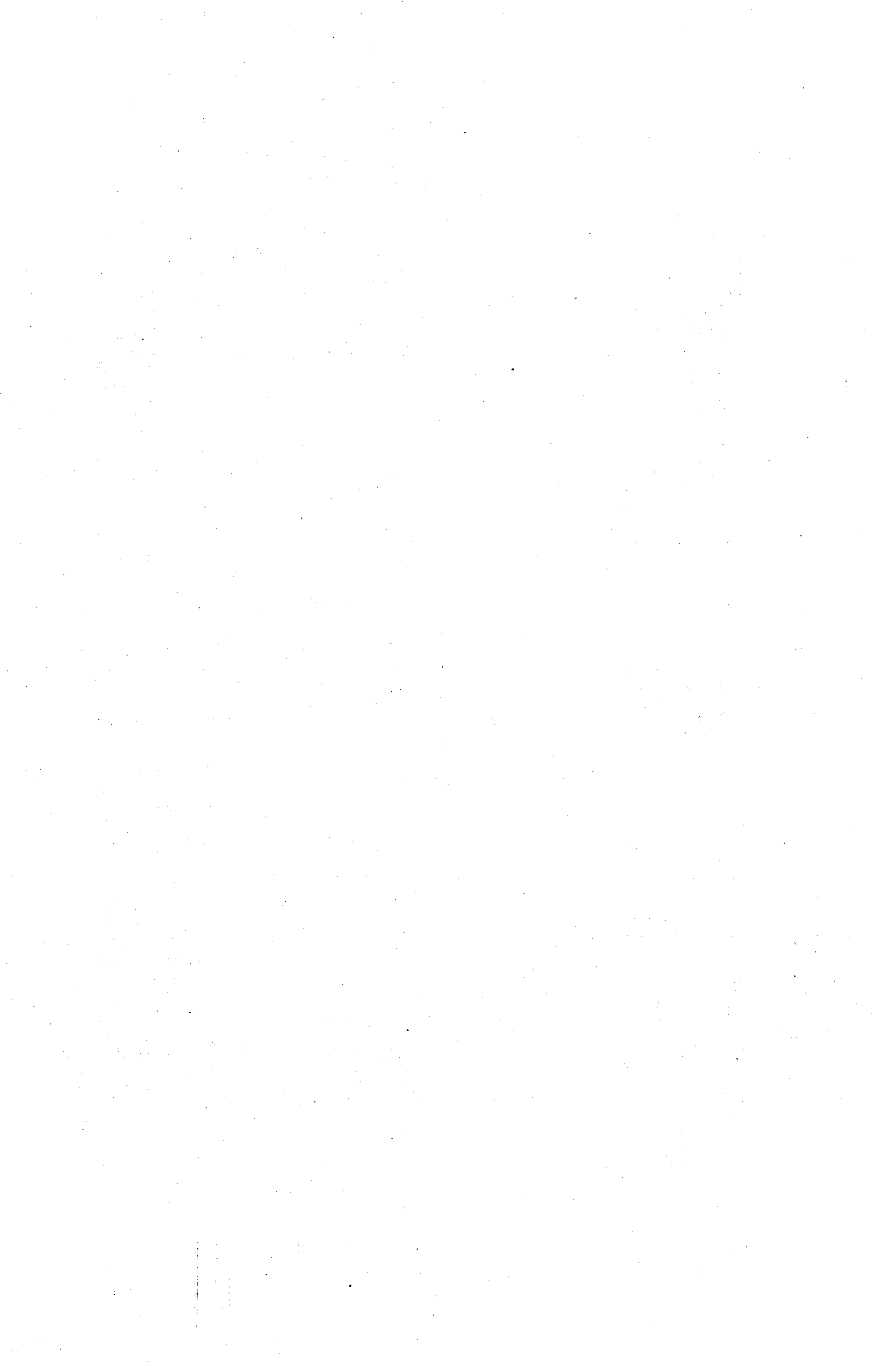
٥ — التلاعب بالمصادر والمراجع .

* * *

(٢)

قالت مجلة الموسوعات عام (١٨٩٩) لم يلتزم جرجي زيدان بتمحيص الحوادث التاريخية فاختلق شخوصاً ونسب إلى بعض الشخصيات الإسلامية البارزة ما ليس فيها مما أثار جمهور المسلمين. فعذراء قريش (أسماء) بطلة الرواية لا وجود لها إلا فى ذهن المؤلف وقد يكون له بعض الحق فى هذا ولكن الباطل أنه نسب لمحمد بن أبي بكر المعروف عنه الزهد عشق هذه العذراء ، بل إن صاحب الهلال بنى على هذا الباطل باطلا فاختلق سبباً من عنده ليس له أسانيد تاريخية فى تفسير بعض الأحداث وزعم أن عشق محمد بن أبى بكر كان سبباً فى ازدياد هياجه على عثمان ونسب إلى الحسن ابن على عشقه لهذه العذراء الوهمية ، وغيره محمد بن أبى بكر منه وادعى أن الإمام على أعجب بعذراء قريش عندما دخلت عليه فى زى رجل مع أن الدين كان يحث على عدم تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وقد عرف عن على تمسكه بالدين مما ينئى عنه أن يعجب بمثل هذا وقد أقر جرجى زيدان بخطاه فى هذه الوقائع (هلال مايو عام ١٨٩٩) ويحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذى وقع فى شبكه الصياد ، ويقول : (إن المجلة انطوت وبقيت القصة فى أيدى القراء يعاد طبعها دون التفات إلى هذه الملاحظات) ، وقد أرسل العلامة رفيق المعظم إلى جرجي زيدان (مايو عام ١٨٩٩) يؤاخذه على إغفاله الاعتبارات التاريخية ويستنكر تأليف التاريخ الإسلامى برمته فى قالب قصصى . وهذه الملاحظة قد تكررت من الناقدين فقد انتقد فى شأن هذه القصص الأخبار الكاذبة ، وثانياً نسبه العشق والغرام إلى رجال سلفنا الكرم ، وقد أشارت جريدة المؤيد إلى ذلك فى التعليق على قصة الحجاج بن يوسف فقالت : الحوادث الغرامية لم تسند إلى أحد من رجل السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن هذه الانحرافات ، هذا فضلا عن الأخطاء فى الأمور التاريخية المستورة .

* * *



الفصل الثالث

الفــن والمســـرح

١ – نجيب الريحاني .
٢ – زكى طليمات .
٣ – يوسف وهبي .

جاء هذا الفن الوافد إلى المسلمين من الغرب ، واستطاع أن يسيطر ويتسع خلال أكثر من قرن من الزمان دون أن يتمكن المسلمون من توجيهه وجهة صالحة أو خالصة تتفق مع أخلاقيات الإسلام وقيمه، بل استطاعت القوى المسيطرة أن تفسد به مفاهيم الإسلام الأصيلة وأن تحرف به كثيراً من القيم ، وأن تدخل به على الأصالة الإسلامية تحريفات ضالة وآراء فاسدة ، وبالرغم من الدعوة إلى إقامة مسرح إسلامى وفن إسلامى فإن عائلة المسرح الغربى الوافدة لا تزال مسيطرة فى مختلف المجالات بعيدة الأثر فى إيجاد الانحرافات فى نفوس الشباب والفتيات ، بل الآباء والأمهات يقول زكى طليمات وهو من دعاة المسرح الوافد :

إن المسرح يعكس الحياة فى مختلف صورها، ويقدم المحاسن والأضداد والخير والشر ، والتصون والابتذال ، هذا إذا كان الهدف طيباً ، أما إذا كان الهدف سيئاً فإن الخير والتصون والمحاسن تختفى تماماً ، وإن قلم الكاتب المفسد يستطيع أن يرسم الجانب الهابط وحده وجانب الرذيلة بدعوى أن هذا هو واقع المجتمعات ، وإن هذا هو الأدب الواقعى ولا شك أن الشرير فى الرواية يعدد فوائد الخمر ويصفها بالساحر الذى يبدد الهموم وبالبلسم الذى يداوى كل الأمراض،وهذه المعانى تدخل إلى النفس وتستقر فيها ولا يخرجها منها تلك النهاية التى نراها فى آخر المسرحية ، ويقول : إن خدعة النهاية هذه من مؤامرة المسرح وصناعته ، فبعد أن يرى المشاهد ساعتين كاملتين من السموم والإباحية والفساد والانحراف ويستمع إلى قاموس كامل لكل

الألفاظ القبيحة ، يكون من الخداع المضلل أن تأتى النهاية فينهزم معها الشر وينتصر الحق : بعد ماذا وقد تركت هذه المفسدات على ذلك المدى الطويل آثرها فى النفس وهبطت إلى قاع الأحاسيس ، وأحس المشاهد أن ذلك كله مشروع ومباح وممكن أن يقع ويصنع .

إن من أكبر عيوب المسرح أنه يجسم الخطيئة والرزيلة ويقدم الدفاع عنها فى ثنايا مهاجمتها ، فهو أسلوب ردئ فى عرض الشر بينما يمكن أن يكون العرض فى مجال الكتابة أخف من ذلك أثراً .

ولا ريب أن المسرح فن غريب على الأدب العربى دخيل على الفكر الإسلامى ، قد فرض فرضاً فى وقت لم يكن المسلمون يملكون إرادة الأخذ والعطاء من الحضارة الغربية ، بدأ تحت اسم الإضحاك والتسلية ، ثم لم يلبث أن فرض نفوذه وسلطاته وأصبحت له تقاليد ومدارس ودعوى عريضة بأنه فن) .

ومما أعطى المسرح هذه الأهمية أن القوى التغريبية أرادت أن تقتل به قيم المجتمع الإسلامى وأن تدخل مفاهيم جديدة معارضة للإسلام فى مجال العلاقات بين الرجل والمرأة ، بل أن بعض الأيدلوجيات كانت ترى أن المسرح هو بديل الكنيسة ، ولما كان المسرح فى الغرب قد بدأ فى خدمة الوثنية ، ثم تحول إلى خدمة الكنيسة ، فإنه لم يلبث أن عمل فى خدمة الماركسية والوجودية ، وحمل جميع سموم الدعوات الضارة وطرحها على المشاهدين والمتفرجين الذين لا يملكون المعارضة أو المناقشة فيما يقدم إليهم وهذا أخطر ما هنالك ، ثم جاءت قوى خادمة للتغريب والغزو الثقافى فسيطرت على هذه الملاعب (كتابة وإخراجاً) على نحو غاية فى الإفساد والإجرام .

وعندنا أن أكبر عملية تمويه قامت بها الحضارة الغربية الهاوية هى محاولة تصوير الإضحاك والرقص والعرى والكشف والإباحية المتمثلة فى المسرح والسينما على أنها فن رفيع ، له أصوله العلمية وضوابطه التى يتخرج فيها المخرجون والممثلون من جامعات متخصصة ، والتى يتقدم فيها البعض بأطروحات دكتوراه ، فهناك دكتوراه فى الرقص ، ودكتوراه فى المسرح ، ودكتوراه فى الديكور ، والإخراج ، كأنما هذا الفساد والتهريج البالغ

حده من الإقذاع هو بمثابة فن عال وعلم رفيع ، بل أن هناك من يصف المسرح بصفة القداسة ، ويصف الفن بصفة الخلود ، وقد خالت هذه الأباطيل المضللة على قومنا فصدقوها ، وكان عليهم أن يكونوا أشد حنكة وحكمة فلا يسقطوا هذه السقطة وأن يعلموا أن هذا لون من الخداع والتمويه البالغين حد الفساد و الإفساد .

إن مفهوم الإسلام للفن يختلف اختلافاً واضحاً عما يقدمه هؤلاء الذين تعلموا فى الغرب من خلال العقدة والمأساة والصراع بين الإنسان والآلهة فالفطرة الإنسانية الإسلامية لا تقبل هذا المفهوم الوثنى الضال .

إن الإسلام يجعل أخلاقية الفن مقدمة عن جماليته ، ولا يضحى بالقيم الأخلاقية فى سبيل التسلية أو الإضحاك أو الترفيه . واستخدام الفن إنما يرمى فى الإسلام إلى إبراز قيم الحق والاستقامة والخير وليس لاعتبار الجمال أو الحرية المطلقة بمثابة القيمة المطلقة وليس الهدف فى مفهوم الإسلام غاية وإنما هو وسيلة إلى تربية الذوق والارتفاع بالإنسان فوق الأهواء والشهوات وفوق الرزيلة والحس الشهوانى .

والفن من وجهة نظر الإسلام ليس مستقلا ولا كاملا بذاته ولكنه تابع لحياة البشر وميدان الفن هو الحياة ذاتها وليس للفن معنى إذا لم يرتبط بالحياة والإنسان والمجتمع .

فالإسلام يقدم الأخلاقى على الجمالى ويقدم المضمون على الإسلام وهدف الفن فى الإسلام هو نقل أو إيصال اسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى الآخرين بأسلوب جميل ومؤثر بحيث يوفر عنصر المتعة إضافة إلى التأثير فى سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم (على حد تعبير الأستاذ محمد شمس الدين صديق) ولكن هل يتوفر هذا الآن والمسرح بأيدى أولئك العتاة من أولياء مدرسة التغريب والشعوبية ؟ وهل هناك أى بريق لإمكان قيام مفهوم إسلامى للمسرح .

* * *

خضع رجال الفن لتيارات التغريب والغزو الفكرى التى هبت على العالم الإسلامى وكانت الفنون والثقافة من أكبر أهداف المؤسسات التى قامت

لهذا الغرض ، وقد استطاعت الماسونية احتواء عدد كبير من المشتغلين بالفن والمسرح وكان عبد العزيز حمدى قد كون محفلا يسمى : محفل الفنان المصرى عام ١٩٤٧ وذلك بهدف توظيف الفن فى خدمة الماسونية . وقد قام هذا المحفل باحتواء عدد كبير من الأسماء اللامعة فى سماء الفن والمسرح فى ذلك الوقت وكان لهذا أثره فى تحول هذه الأداة فى خدمة أهداف النفوذ الغربى ، باستهواء الجماهير بالإيماء والإشارة ، وكان من نتيجة ذلك تلك المحاولة التى خطط لها أعداء الإسلام بإعطاء الفن لفظ القداسة والفن الراق . وقد اتسع نطاق ذلك إلى المسرح والسينما وحفلات الرقص والإخراج ، بل إن المحاولات التى جرت ولا تزال تجرى لإخراج أفلام أو مسلسلات إسلاميه فإنها تقدم من وجهه نظر مخططات معاديه للإسلام ترمى إلى تصوير أعداء الإسلام فى صورة البذخ والقوة والتملك وترسم دعاة الإسلام فى صورة الفقر والتخلف وترمى هذه الخطه إلى :

أولا : إفساد الذوق الإسلامى ونشر الرزيلة ومحاربة العادات والآداب الإسلامية بمختلف الوسائل كالإكثار من عرض مناظر الجريمة والقتل والعنف وشرب الخمر والفسق حتى يعتادها الناس .

ثانياً : أفلام الجريمة التى هى درس للمراهقين فى السرقة والاغتصاب والاحتيال .

ثالثاً : أفلام الجنس الخليعة التى لا تهدف إلا نشر الإثارة ونشر الوزيلة .

رابعاً : الأفلام الدينية تهدف إلى الحط من شخصيات الإسلام ، وإبرازهم فى صورة باهتة وتزوير تعاليم الدين أو نقدها .

خامساً : إعلاء شأن العامية وتسجيل أحاديث العاهرات وتصرفات اللصوص والقتلة وتخليد الراقصات والمجرمين.

* * *

الفصل الرابع

دعـــــاة التغريـــب

١ – ساطع الحصرى.
٢ – سلامة موسى.
٣ – توفيق الحكيم.
٤ – لويس عوض.

(١)

ساطع الحصرى

(القوميات)

قال عنه الأستاذ على الطنطاوى : هو الذى حارب الدعوة الإسلامية عمره كله بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته حرباً علمية منظمة وكان أسلوبه فى محاربتها هو العمل على إحلال « العربية » محل (الإسلامية) وهى بذاتها دعوى الجاهلية التى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وبين أن صاحبها ليس منا وإقامة برامج المدارس على هذا الأساس الواهى ، وهو أنصح ثمرة من ثمار المدرسة الاتحادية التركية تعلم فى مدرستها وآمن بفلسفتها ونقل فكرها ومضامينها إلى العرب . ومدرسة الاتحاديين التى أنشأت تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى ، هى صناعة النفوذ الغربى لتحطيم الوحدة الإسلامية الجامعة التى كانت تمثلها الخلافة الإسلامية العثمانية وخلق القوميات والأقليميات، وقد عاشت هذه المدرسة فى حضانة الفكر المادى الفرنسى ، وكان رجالها من أتباع هيجل ونيتشة والفلسفة الوضعية أوجست كمت، والتشبع بالنظرة الطورانية العدوانية ، وقد نادى ساطع الحصرى بمفهوم القومية العربية الوافد الممتد من النظرية الغربية ، والنظرية التى طبقها الاتحاديون فى تركيا ، وقد ركز على اللغة وعزلها عن الفكر الإسلامى ، كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن الفكر الإسلامى وفق نظرية ضيقة أوربية وقد اعترف بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين، ورفض اعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً . ومفهومه

للإسلام ناقص ، وهو مفهوم العلمانيين الاتحاديين فى تركيا ، وقد فهم الإسلام على أنه دين ، كما فهم الأوربيون المسيحية لم تفرق بين الدين ثقافة والإسلام ولم تفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التى تختلف فيها عن مفهوم القومية وقد قاوم التجزئة والإقليمية ولكن ليس بأسلوب الأصالة بل بأسلوب وافد وقد هاجم القومية السورية ، ثم هاجم البعث فى سنواته الأخيرة ولكن دون أن يصل إلى أصالة مفهوم العربية وترابطها مع الإسلام ، هذا الترابط الجذرى الذى لا سبيل للانفصال عنه .

وقد حمل فكر ساطع الحصرى — من حيث هو فكر — فى داخله تناقضاً كبيراً بين موقفه من الماركسية ومن الإسلام ومن الاحتلال الغربى ، مما تبين معه صعوبة تماسك منهجه الملفق ، الذى كان يهدف مع فكر الارسوزى وعقليته وآخرين إلى انفصال نظرية القومية عن مفهوم الترابط والتكامل القائم بين العروبة والإسلام وتفريغ العروبة من مفهومها الجامع روحياً وفكرياً وعقائدياً بالإسلام ، واستبقاء روح الصراع بين القومية ودول الغرب .

وقد تبين اليوم أن العالم الإسلامى قد تجاوز القومية وأن العرب أنفسهم قد تجاوزوها ولكنها تحاول أن تستيقظ من جديد فى إطار من الماركسية والبعثية والناصرية القديمة بعد أن قضت الأحداث عليها وأثبتت الوقائع التاريخية أنها ليست صالحة للعطاء وأنها محاولة باطلة إذا استقلت بذاتها ولم تكمل تسلسلها التاريخى والاجتماعى .

* * *

(٢)

سلامة موسى

(التغريب)

إن إعادة النظر فى كتابات سلامة موسى فى مطالع القرن الخامس عشر إنما تأتى نتيجة لتلك المحاولات التى ترمى إلى طرح فكره ونظرياته ومطبوعاته مرة أخرى فى أفق الفكر الإسلامى بعد أن تجاوزها الزمن .

ومن أسوأ سمومه مهاجمته للفصحى ، ودعوته إلى العامية ، ودعوته إلى العلمانية والاشتراكية ودعوته إلى تفريغ التعليم والثقافة من مفهوم الإسلام الذى يسميه (الدين) وحرية المرأة كما يفهمها الأوربى ، مع حملة ضخمة على الإسلام والشرق فيقول .

(أنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب ، إنى أجعل قرائى يولون وجوههم نحو الغرب ويتنصلون من الشرق) .

وهو الذى روج لدراون وفرويد سنوات طويلة ثم تبين أن آرائه كلها منحرفة وناقصة ، وقد حاول أن يغير رأيه فى السنوات الأخيرة بعد أن تجاوزته متغيرات الفكر والحضارة .

بل إن سلامة موسى يرفض الحقيقة القائلة بأن الغرب قد أخذ من الشرق الثقافة فى القديم وحتى بالنسبة للمسيحية فإنه يمارى فى مغالطة واضحة فيقول :

لا يمكن القول أن أوربا استفادت ديانتها الراهنة من الشرق ، ولكن يجب أن لا نلقى القول جزافاً ، فالديانة المسيحية مؤلفة من عنصرين أحدهما خاص باللاهوت والآخر خاص بالأخلاق ، فالأول وهو اللاهوت يرجع الفضل فيه إلى المصريين ، فإن النظريات الخاصة بالثالوث المقدس أو التجسد أو البعث هى نفسها تلك النظريات التى كانت شائعة عن المصريين ونظرية الثالوث هى أهم أركان الديانة المصرية القديمة فإن الربة أبيس هى العذراء التى تلد هورس من رب الأرباب أوزوريس ، ويمكن أن نتتبع تطور الفن المسيحى حتى تصير أبيس وابنها هورس كلاهما مريم وابنها السيد المسيح

أما من حيث الآداب المسيحية فالفضل فيها يرجع إلى الإغريق ، فإن من يقرأ لمجادلات الرسل يشعر بالروح الإغريقية الذى كانوا متشبعين بها فى تبشيرهم الأمم الوثنية) .

وسلامة موسى فى هذا الاتجاه يعارض الحقائق الصحيحة لتطور الفكر المسيحي والغربي ولكنه يجرى وراء غايته الأساسية وهو التنكر لكل فضل للشرق أو لميراث الإبراهيمية الحنيفية الذى ظلل هذه المنطقة قبل رسالة موسى ورسالة عيسى عليهما السلام .

وقد صدق الأستاذ عباس العقاد حين قال : أن سلامة موسى جمع من متناقضات العلم ما لا يفوقه فيه إنسان فى هذا الصدد ، ومن ذلك قوله أن أكبر ثائر فى مصر فى العصور الحديثة هو إسماعيل باشا الذى حاول أن يجعل مصر الشرقية الآسيوية أمة حديثة غربية وبلغت ثورته أن حض المصريين على التزوج من الغربيات ، ذلك لكى يجعل بيوتنا وعاداتنا المنزلية غربية ؛ وأن عرابى كان من العامة فلم تفلح ثورته وانعكست على يده الغاية منها .

وقال العقاد : إن سلامة موسى يشترى الأرض ويتجر بتربية الخنازير ويسخر العمال ويتكلم عن الاشتراكية التى تحرم الملك وتحرم سلطان رأس لمال وهو يعيش من التقتير عيشة القرون الوسطى فى الأحياء العتيقة ويتكلم عن التجديد والمعيشة العصرية ، وهو ينعى الحضارة الآسيوية وأنه لفى طواياه يذكرنا بخلائق البدو والمغول فى البرارى السيبيرية . ذلك أن الكاتب الذى يكتب ليحقد ويحقد ليكتب ويدين بالمذاهب ليربح منها ولا يتكلف لها كلفة فى العمل أو فى المال . وأسخف السخف قول هذا الكاتب :

إن اليساريين يفضلون اللغة العامية لأنهم شعبيون مستقبليون ومصيبة الدنيا أن تحشو هذه الببغاوات أفواههما بما تسميه تفسير الظواهر الاجتماعية وهى لا تعرف ما تحت أنوفها مما تسمعه بالآذان وتبصره بالعيون .

فاللغة العامية لغة الجهل والجهلاء وليست بلغة الشعبيين ولا من يحبون الخير للشعوب لأن الغنى الجاهل يتكلم العامية ولا يقرأ اللغة الفصحى ولا يمتاز بفهمها على الفقراء .

عندما فتحت أبواب الحرية فى الكتابة انطلق أصحاب الأهداف التغريبية يؤيدون العهد الجديد ، ليتاح لهم بث أفكارهم التغريبية الخطيرة بحرية ومن ذلك نجد سلامة موسى يبرز بكتابه (الثورات) الذى هو خدمة أساسية للفكرة الماسونية التى تعمل على تحطيم الأنظمة الروحية والأحكام الأخلاقية فى العالم الإسلامى ، معلياً من شأن الثورة الفرنسية على أساس أنها قمة الثورات وإعلان الإعجاب بها مع عدم تعمق الدوافع والغايات التى أحاطت بها وأنها هى ثورة الماسونية الحقيقية التى أخذت تعد لها منذ : فولتير وروسو وديدرو التى غيرت وجه أوربا كلها فى سبيل تمكين اليهود للخروج من الجيتو وإحلال الانتماء الوطنى بديلا للانتماء الدينى والقضاء على التنظيمات المسيحية التى حاولت وقف خطرهم وسيطرتهم ، وتحطيم وحدة الجامعة المسيحية فى أوربا بل إن البروتستانتينية كما تبين من بعد كانت فى خدمة أهداف الماسونية والصهيونية . وتنجلى بوضوح هوية سلامة موسى فى أول عدد أصدره من المجلة الجديدة (ديسمبر عام ١٩٢٩) كأنما أراد أن يسجل برنامجه التغريبى كاملا فأورد هذه الموضوعات : العلم وحده ، المجددون يقولبون بالتطور ، دارون ، ، الفرعونية ، الإغريق ، الصراحة فى المسائل الجنسية ، البهائية ، الرجعية ، الوطن والعالمية ، التجديد فى تركيا ، الشرق شرق ، والغرب غرب ، الأزمة الدينية فى العالم ، اللغة العربية ، المادية ، العقل وحده ، غاندى ، السفور فى العالم الإسلامى ، فولتير ، هافلوك أليس ، نيتشة ، البشرية دين جديد ، التعليم ، السلفيون والمجددون .

ويقول نعمان عاشور عن سلامة موسى وهو أحد تلاميذه : إن آراءه واتجاهاته كانت تجنح فى معظمها للتطرف الجارف والخروج عن المألوف ، وكان يخفى نزعته الطائفية وراء ستار رقيق من العلمية ، ولكنه اضطر أن يكشفها فى جريدة مصر ، وكان يكشفها لتلاميذه فى اجتماعاته الخاصة مع دعواه الدائمة فى كتاباته على نبذ التعصب وإبعاد الدين عن الخلافات السياسية والمذهبيات الاجتماعية والتطلعات الوطنية والقومية .

وكانت أهم أعماله :

١ — دعوته إلى الفرعونية .

٢ ــ مناداته بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .

٣ ــ نظراته الإباحية فى معالجة الجنس .

٤ ــ النظرة الماركسية .

عمل سلامة موسى فى جمعية الشبان المسيحية ، وما وصفه نعمان عاشور بأنه حدبه على الشباب ، والندوات والمحاضرات والمناظرات التى كان يشترك فيها وملتقى كثير من الشبان المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يؤمنون بما يعتقده على أساس الإيمان بالغرب وكراهية الإسلام ، وكان يوزع على الجالسين ورقة صغيرة يكتب كل منهم رده على ما يوجهه إليهم من أسئلة كشباب ليعطوها له فى آخر الجلسة حيث يقوم بعمل حصر ميدانى لمشاكل الشباب :

* * *

(٣)

توفيق الحكيم

(التغريب)

بالرغم من أن توفيق الحكيم قد جمع أوراقه منذ وقت طويل وأعلن أن شجرة الموز لم تعد تطرح ثمراً فإنه ما زال ينفث سمومه فى كل مناسبة فقد أثيرت عليه الثائرة دعوته إلى فندق العالم ، وقد كانت آثار كتابه عودة الوعى لا تزال تكشف عن تراجعه الخطير فى تأييد مواقف الأمس ، وكان أخطر ما ذكره فى كتابه وثائق فى طريق عودة الوعى (ص ٧٧) قوله أننا نحتاج إلى ثورة علمانية وإعادة العقل وسيطرة العقل . ومن قبل كان موقفه فى ندوة القذافى وحديثه عن تطوير الإسلام ، والإسلام لا يتطور بمفهوم الأيدولوجيات والنظريات التبشيرية وهو ما زال يتخبط بين الدعوة إلى (تحرر الفن) أى تمكينه من الرذيلة والإباحية إلى الاشتراكية إلى العلمانية وفى هذا كله يبدو توفيق الحكيم الملقن الصادع بالدعوات التى تمزق إطار الفكر الإسلامى الأصيل .

ولست أدرى من الذى يقول كلمة حق عن هذا التراث الطويل المضطرب هل هؤلاء الذين كتبوا : توفيق الحكيم (رائد بلا نظرية) ومن ذلك قولهم : يعيش توفيق الحكيم فى إطار الأساطير

١ — ويعتمد وجهة نظر الكتاب المقدس فى القصص : أهل الكهف وسليمان الحكيم .

٢ — ويعتمد وجهة نظر المأساة اليونانية : فى الملك أوديب وبجماليون ؛ فهو محصور فى الجو اليونانى الأصلى ، لم يخرج عن دائرة النص ، ولم يحطم الأسوار اليونانية بل التزم بها .

٣ — الحضارة الفرعونية ، وفيها يعود إلى النصوص الفرعونية وكتاب الموتى — إيزيس .

٤ — الأفكار الوجودية : مسرحية السلطان الحائر :

٥ ــ مدرسة اللامعقول : يا طالع الشجرة (بكيت ويونسكو) .

٦ ــ تأثره بالمد اليسارى والاشتراكى (١٩٥٥ ــ ١٩٥٨) الواقعية الاشتراكية فى الفن والأدب .

ويقولون : إن شخصية توفيق الحكيم من الشخصيات الحساسة التى تتأثر بالأفكار السائدة تأثراً سريعاً وملموساً .

ولقد سار على طريق طه حسين فى إفساد المفهوم الإسلامى السائد فى تفسير التاريخ وعنده تغلب الصورة الفنية على الحقيقة التاريخية ، ومنذ وقت بعيد كان توفيق الحكيم شأنه فى ذلك شأن كل دعاة التغريب يلتقط المواقف ليحدث الدوى ويطرح النظريات الوافدة وفى (عام ١٩٣٧) كتب مقالته المشهورة (آن الأوان أن نلبس القبعة) وقال أيها الشباب أقدموا على لبس القبعة ولا تخشو شيئاً ما دمتم مقتنعين بأن الطربوش لم يعد يصلح لحاضركم ولا لمستقبلكم .

ورد كثيرون على توفيق الحكيم : قالوا إن هدفه من لبس القبعة إعلانه انسلاخ ذلك القطر عن الجانب الذى فيه التاريخ الإسلامى والالتحاق بالجانب الذى فيه القافلة الأفرنجية ، ولا يدعو شخص إلى تعميم القبعة فى قطر إسلامى إلا إذا كان الإسلام هيناً عليه وإلا إذا كان يرتاح فيما بينه وبين نفسه إلى تقليص ظله . وقال الأمير عمر طوسون فى الرد على توفيق الحكيم : فى اعتقادنا أن الذين يدعون الآن إلى لبس البرنيطة إنما يريدون لأنفسهم الانطلاق من قيود الدين والعرب والعادات القومية الشرقية ، وقال السيد محب الدين الخطيب : فالدعوة التى بينها توفيق الحكيم لتكوين عصابة من المصريين تخرج فى وقت معين بالبرانيط هى وليدة الاقتناع بضرورة انسلاخ المصريين عما كانوا فيه وأخذهم بالتفرنج بحذافيره تقليداً لما فعلت أنقرة ، ولكن أنقرة فعلت ذلك اعتقاداً بأن الإسلام عربى وأنه أجنبى عنها وأنها تريد الرجوع إلى القومية التركية وتتريك كل ما يحيط بها فهل لتوفيق الحكيم لغة غير اللغة العربية وقومية غير القومية العربية ، ولكن لطمة القبعة التى تلقتها دعوة البرنيطة من شباب الجامعة هذا الأسبوع كانت أليمة جداً وقد دلت أن البرنيطة ليس لها رءوس تقبلها فى هذا الوطن . .

وفى مجال آخر عرف الإسلام والأديان تعريفاً استشراقياً علمانياً ، فقد قال فى مقال نشرته الرسالة تحت عنوان نجم أحمد عام (١٩٣٧) : إذن فالإسلام وكيف ظهر الإسلام بظهور محمد ، والمسيحية بظهور المسيح ، واليهودية بظهور موسى . وبعد أن ذكر أن كل الأديان تتحد فى الجوهر وتختلف فى المظهر قال : هنا يخطر بالبال سؤال ، هو تجوز المفاضلة بين الأثواب وهى كلها من صنع الخالق المعصوم الذى لا ينبغى أن يخطئ ، ولا أن يصحح ما سبق أن صدر منه . إذ أن جوهر الحق وحده من شأن الله . أما الأسلوب الذى يعرض على الناس فهو من شأن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قبل الإجابة إلى هذا السؤال يجب النظر فى قضية أخرى ، هل للطبع والمزاج والخلق الذى ركب عليه النبى أو الرسول أثر فى رسالته ؟ هل شخصية الرسول تطبع بخاتمها شكل الدين الذى يدعو إليه ؟ هل بظروف العيش التى نشأ عليها النبى دخل فى اتخاذ القالب الذى أفرغ منه . موضوع النبوة أن أجب على كل هذا الإيجاب ، فإن التبعة فى أسلوب الأديان تقع بلا مراء على كاهل الأنبياء . والنبى مسئول عن الطريق الذى اتبعه للإبانة عن (الحق) مسئولية ملقاة على شخصيته التى صبغت الشريعة بصبغتها .

قال فى الرد عليه محمود أبو رية : الكاتب يعنى إنه ما دامت الأديان تختلف فى المظهر فإن هذا الاختلاف لا يكون من الله لأن الله سبحانه لا ينبغى أن يخطىء ولا أن يصحح ما سبق أن صدر منه ، وإنما مصدره الرسل والأسلوب الذى يعرض به الدين على الناس هو من شأن الرسل فقط وكل أسلوب خاضع بطبع الرسول ومزاجه وخلقه . أى أن كل دين من وضع من يدعو إليه وبهذا الرأى الجبار الذى بعث به تفكير الأستاذ توفيق الحكيم يكون دين الإسلام هو من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا الأسلوب أثر من طبعه ومزاجه وخلقه ، وأن شخصيته هى التى طبعت بخاتمها شكل الدين الإسلامى ، هذا هو الإسلام فى نظر الأستاذ توفيق الحكيم فهو ليس وحى من الله ، وليس هو منزل من عند الله وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى وضع شكله وصبغ قالبه ثم خرج يدعو الناس إليه ألا فليعلم الأستاذ توفيق الحكيم أن دين الإسلام الذى اصطفى الله له من عباده من بينه للناس لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يدرى منه شيئاً ولا يعرف قبل أن يبلغ

الأربعين أنه سيوحى إليه : « **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** » ، وأنه ما كان يؤمل أن ينزل عليه وحى وأن الله قد علمه ما لم يكن يعلم ، وأنه كان لا يتبع إلا ما يوحى إليه ، هكذا كان شأن النبى صلى الله عليه وسلم (وكل هذا وارد فى آيات القرآن الكريم) . إن دين الإسلام ليس من طبع النبي ولا من مزاجه ولا من خلقه ولا من شخصيته ولا من ظروف عيشه فى شيء ، وإنما هو وحى نزل عليه وأوجب الله عليه أتباعه والدعوة إليه وتبيينه للناس .

وإن اختلاف الأديان فى المظهر يرجع إلى أن كل رسول يبعث إلى أمة يأتيها من الأحكام والتكاليف بما يطابق حاجتهم فى مجتمعهم ، والأستاذ وهو رجل قانون يعلم أن طبائع العمران تختلف باختلاف الأزمان فما يصلح للناس فى زمن لا يكون صالحاً لغيرهم فى زمن آخر ، وظل الأمر كذلك إلى أن أدركت البشرية رشدها وأصبحت فى حاجة إلى دين عام دائم لا يتبدل ولا يتغير ، صالح لكل زمان ومكان ، ومن ثم بعث إليه محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الكامل والكتاب الخالد والاختلاف فى الأديان لم يتناول أصولها ولم يمتد التغيير إلى أركانها ، وإنما كان هذا الاختلاف فى بعض الأحكام والتكاليف ليكون بحسب مزاج كل أمة ، والشرائع كالقوانين تتبع البيئة والاجتماع ، أما أصول الأديان وهى الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهى لا تتغير أبداً .

ولا يكتفى توفيق الحكيم بمتابعة الفكر الاستشراقى الوثنى بل أنه ليذهب إلى أبعد من ذلك ، فقد كتب يطلب تعميم اختلاط النساء بالرجال ويقول : إذا كانت إخلال الرجل والمرأة متينة فلا ينجم عن هذا الاختلاط خطر ، وإذا كانت النتائج سيئة فهذه مرجعها سوء خلق هذين الشخصين ، ثم يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : وهى مغامرة لابد منها فى هذا العصر الحديث وما الغنم والكسب إلا ثمناً للخطر ، وهذا أسلوب الماسونية والمبادئ التلمودية التى نشرها فرويد ، ودوركايم ، وسارتر فجرى فى هذا الطريق ، هذا فوق موقفه من الوحدة الإسلامية وعلاقة العروبة بالإسلام مما تبناه فى مجالات أخرى .

ويمكن تلخيص أخطاء توفيق الحكيم فيما يلي :

أولا : افترى على الحق حين جعل العز بن عبد السلام عاشق غانية يلين لها ويتوسل وما هكذا كان العز ولن يكون .

وقد يكون هذا الانحدار الشائن (وهذه عبارة الشيخ محمد مدعاة غضبه عندما انتقده أمين الخولى فى الأهرام قال : إن الروائى لا يتقيد بالتاريخ وإنما يريد أن يصور النفس البشرية ولكل نفس مهما ارتفعت مثالب ومحرجات ، والعز وإن لم يكن فى تاريخه ما يوحى ذلك المسلك فهو بشر ينتظر أن يحدث منه هذا وإن لم يحدث ، وهذا كلام باطل لأن العز وأمثاله قد تغلبوا على النوازع المنحدرة وعاشوا فى أفق الطهارة . فمحاولة إلصاق التهم بهم بدعوى أنهم معرضون لها كبشر محاولة هابطة ولها دلالة خبيثة . ولا تشرف كاتباً كالحكيم) .

ثانياً : لم يكن توفيق الحكيم أكثر من قنطرة لمرور الأفكار الوافاة ، المأساة اليونانية ، نقل الفكر اليونانى الإغريقى الإباحى الضال (لم يحطم الأسوار اليونانية بل التزم بها) .

الأفكار الفرعونية ، تابعها وعرضها بكل ما فيها من أساطير ووثنيات ، الاشتراكية ، الوجودية ، اللامعقول فى مسرحيات الصفقة ، والسلطان الحائر ، ويا طالع الشجرة . وهكذا عاش حياته الفكرية كلها خاضعاً للتيارات التى تضرب موجاتها فى جدار الفكر الإسلامى دون أن يستطيع أن يقدم شيئاً فيه أصالة عربية أو إسلامية حقيقة ، ومن أخطائه أنه يقدم الفكرة الفنية على الحقيقة الإنسانية . وقد كان على مدى حياته تابعاً للفكر الغربى ، الفن للفن ، تحرير الشباب من قيد الأصالة . سوء رأيه فى العرب .

(٢)

الولاء للفكر اليهودى لتوفيق الحكيم ظاهر فى اعتماده التوراة فى كتاباته عن الملك سليمان وعن أهل الكهف ومعارضة مفهوم القرآن فيهما ، ومن ذلك دعواه إلى التقريب بين الأديان الثلاثة . مع جماعة من الصحفيين ورجال القانون ، وهذه أخطر مراحل حياة توفيق الحكيم . فلما تغيرت الظروف .

بدأ يعمل فى ميدان آخر أشد خطراً ذلك الذى أسماه (الحوار مع الله تبارك وتعالى) والذى خاض فيه خوضاً شديداً .

إن مراصد التغريب قادرة على أن تواجه ذلك الضياء الذى بدأ يغمر المجتمع الإسلامى بالاحتفال بمرور ألف عام على الأزهر وإسلام فيلسوف كبير كان له أثره فى تنظير الماركسية فى البلاد العربية أربعين عاماً ، وذلك بإهالة التراب الذى قام به توفيق الحكيم ، فالحقيقة ليست كما ظن البعض أن (جارودى) يريد أن يسحب البساط من الاحتفال بالأزهر ، بل الحقيقة هى أن توفيق الحكيم هو الذى اتخذ من هذا الوقت مناسبة لهذه الضربة التغريبية الخطيرة التى تفوق ما قام به طه حسين ، وذلك بإزالة قدسية مناجاة الله تبارك وتعالى وإسقاط أسلوب الحديث الرفيع من الذات العلية وكسر هذه القداسة وهيهات فإنه هو الذى سقط وانكشفت صلته باليهودية التلمودية التى عاش يخدمها منذ كتب أهل الكهف وقصة الملك سليمان على مفاهيم التوراة المكتوبة بأيدى الأحبار .

وكان موقفه من العرب والإسلام وولائه لليهود وترجمتهم لمؤلفاته هذا يكشف زيف هذه الشخصية التى خدعت الناس طويلا . ومن العجب أن يسخر توفيق الحكيم فى حديثه مع الأخبار (١٣/ ١٠/ ١٩٨٢) فيقول : لن يتأخر لقائى بشخص مهم جداً لابد أن يحضر فى يوم أو فى شهر أو فى سنة ، ولما سألته عن هذه الشخصية المهمة التى ينتظرها قال : إنه الأستاذ الكبير (عزرائيل) ! وأخشى أن يسألنى سيادته مهما صنعت بحياتى الطويلة فلا أجد غير اجابة واحدة : (عبثت بقلمى على الورق) فهل الذى يقول هذا تكون له مناجاة مع الخالق الأعظم ؟ !

• • •

توفيق الحكيم

محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام

إن محاولة (تغريب الإسلام) ، خطة قديمة لها أبعادها ولها أبطالها وهى لا تتوقف عن العمل ، وما يقوم به الأستاذ توفيق الحكيم ا وم ليس إلا وجهاً جديداً من وجوهها وحلقة أخرى من حلقات بدأها طه حسين ، وسلامة موسى ، وعلى عبد الرازق ، وحسين فوزى ، ولطفى السيد، وزكى نجيب محمود ، ولويس عوض .

ذلك أن تاريخ الأستاذ توفيق الحكيم حافل بمعارضته للفكرة الإسلامية منذ اليوم الأول لظهور مسرحية أهل الكهف عام ١٩٣٢ وحتى اليوم فى خلال نصف قرن لم يتخلف عن مواقفه التى تجرى مع أهواء التغريب وليس موقفه اليوم فى التهجم على أدب الحديث مع الحق تبارك وتعالى إلا ذروة هذه المحاولة المستمرة الخطيرة التى واجهها كثير من الباحثين الإسلاميين فى وقتها كاشفين عن الهدف الدفين من استغلال منبر من منابر الصحافة كالأهرام لإذاعة هذه الأفكار .

ومنذ صدرت (أهل الكهف عام ١٩٣٢) انكشف هذا الاتجاه ، واستخدم الحوار لخدمة مفاهيم القصة الغربية القائم على الخطيئة والمأساة والكشف والإباحة ، والمعارضة للمفهوم الإسلامى الذى لا يعرف الخرافات أو الوثنيات أو الأساطير المستمدة من عقائد تقوم على تعدد الآلهة وعلى صراع الآلهة مع بعضها ومع الإنسان ، لتعارض هذه الأفكار والصور مع إيمان المسلمين بالخالق الواحد وإكباره وتعاليه عن مثل ما توصف به القصة اليونانية من صراع وشهوات وما تقسمه إلى ذكور وإناث وآلهة للصيد وألخمر والحب ، فقد نأى الأدب العربى عن ذلك وسما بالألوهية عن مضاهاة البشر لا يقرها عقله ولا يرضاها مزاجه النفسى كذلك فإن مفهوم الأدب العربى (الإسلامى المصدر والانتماء) يتعارض مع فلسفة المأساة

الغربية القائمة على الخطيئة والقصاص والغفران والتى ترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية هى (خطيئة آدم) (فى الفكر الغربى والتى لا يقرها الإسلام) وهناك مفهوم الصراع بين الآلهة والقدر وبين الإنسان والخطيئة ، ويبدو البطل فى صورة المتحدى لإرادة الله والمتحدى للقدر .

ومن هنا فقد حاول توفيق الحكيم بعد عودته من الغرب (دون أن يحصل على شهادة القانون ورضى بأن يكون خادماً للأسطورة الإغريقية) إخراج الأدب اليونانى القائم على علم الأصنام والمتمثل فى صراع القدر وصراع الآلهة وكلاهما غريب عن النفس العربية الإسلامية وكان فى مقدمة من نقلوا القصة العربية والمسرحية إلى إحياء الأساطير القديمة . ومن هنا كانت فرحة طه حسين التى لم يخفها حين أعلن أن هذه القصة فتح لم يسبق فى تاريخ الأدب العربى كله ، لأنه كان يعرف مدى السموم التى يمكن أن تنثرها فى جو الأدب العربى والفكر الإسلامى ، وخاصة إذا كانت هذه المسرحية قد وردت فى التوراة وفى القرآن وهى تختلف فى كل منهما عن الآخر . وقد اختار توفيق الحكيم أن يعتمد رواية التوراة فى كلتا قصتيه عن أهل الكهف وعن النبي سليمان عليه السلام .

وقد كشف كتاب اليقظة عن أن هاتين المسرحيتين ليستا سوى نسخ ممسوخة عن أسفار اليهود وأن المفهوم الذى قدمه توفيق الحكيم فى مسرحية سليمان قد جرد النبي من النبوة ، وحاول أن يصوره على أنه رجل جنسى تحكمه شهوته فى اقتناء النساء وهو مفهوم التوراة التى كتبها يهود والذى دحضه القرآن حين كشف عن نبوة سليمان التى تعلو على الأهواء فسليمان (عليه السلام) فى مفهوم الإسلام نبي معصوم . وفى قصة (أهل الكهف) يخرج توفيق الحكيم عن المفهوم الأصيل لقصة هذه الجماعة من المؤمنين ونجد ذلك التجاوز والمعارضة من توفيق الحكيم للنصوص القرآنية الصحيحة والاعتماد على الكتب الأخرى من كتب النصارى واليهود والأساطير القديمة دون أن يعتمد على مفهوم القرآن ، يقول السيد أبو الحسنى الندوى : إن قصة أصحاب الكهف والرقيم هى قصة الأديان والقوة والثبات والتضحية والجهاد التى تتكرر فى تاريخ الإنسانية وفى تاريخ الحق والعقيدة وهى برهان على أن الأسباب خاضعة للإرادة الإلهية صديقة للإيمان والعمل الصالح ، فسبيل المؤمنين أن

يستميلوا هذه الإرادة بالإيمان والعمل الصالح بما يستحق نصر الله وتأييده نقول : أما فى أهل الكهف لتوفيق الحكيم فإن الصورة تختلف . فهؤلاء قوم لم يكن فى قلوبهم إلا حب الدنيا والحديث عن أهوائها ، فقد أجرى بينهم أحاديث تختلف تماماً عما كان يشغل أهل الكهف الفارين بدينهم من بطش الظالمين من أهل الوثنية ، وكيف يمكن أن يفكر هؤلاء فى تلك الشواغل الدنيوية من حب وعواطف فى موقف قد نصبت فيه المذابح وجرى تخطف الناس ليقروا بالكفر وإلا فالموت الزؤام .

وكان هذا من أقسى ما حملته رياح التغريب ويرتبط هذا برأيه الذى أعقبه فى (العرب) . وقد نسب إليهم الجمود والتخلف وصور حضارتهم الإسلامية بصورة رزية . وقد وصل فى ذلك إلى الحد الذى فاق فيه المستشرقين المتعصبين أمثال دوزى ، ومرجليوث بشهادة الدكتور طه حسين نفسه . وقد رفض السيد محب الدين الخطيب رأى توفيق الحكيم فى قوله : (هل يوجد اليوم شرق ؟) وقال له : إن الذى يقول : بأن حضارة الغرب كل لا يتجزأ ويدعو إلى الانسلاخ من الإسلام والأخذ بالتفرنج بكل ما فيه من قوة وضعف ، فهو رجل يغش المسلمين ويؤخر نهضتهم ويشغلهم عن الحقائق لأن فى الغرب جانباً قوياً هو العلم ، كما أن فى الشرق جانباً قوياً هو هدايته المحمدية التى أوجدت ألمع نهضة فى تاريخ الإنسانية ولن تصلح الإنسانية وأحد جانبيها ضعيفاً نتيجة إبطاؤه فى الأخذ بالعلم الإنسانى المشاع الذى كانت له حلقات ذهبية فى سلسلة تاريخية ، وستكون له حلقات ذهبية أخرى فى سلسلة مستقبلة ، ولقد أجمع الناصحون للشرق بأن نهضته إذا لم تزدوج فيها علم العصر وأنظمته وصناعاته وروحانية الإسلام وهدايته ونوره فعاقبة الشرق المسخ والبوار ، ولا يرضى عن ذلك إلا شانئ أو غبى . ثم ومن أخطر الأفكار التى يطرحها توفيق الحكيم بين حين وآخر فكرة (تطوير الشريعة) وقد أعادها ورددها مرات عديدة كأنه مصر عليها بالرغم مما كتب فى الرد عليه حولها والحقيقة أن طرح هذه المفاهيم يوحى بأن الدعاة إليها يعرفون الفوارق العميقة بين الإسلام وبين الفكر البشرى ، وهو الذى يتحدث الناس عن تطوره والذى يستلزم إجراء تطوير فيه بالإضافة والحذف حتى يستطيع الملاءمة بينه وبين متغيرات الزمن والبيئات .

أما الإسلام فإنه بوصفه منهجاً ربانياً فهو لا يخضع لهذا المفهوم ، فقد وضعه خالق السموات والأرض والعارف بالعباد والنفس الإنسانية ومراحل التغيير والتطور على مدى الأزمان ، ومن ثم فقد جاء منهج الإسلام مرناً واسع الأطر قابلا للمتغيرات قادراً على الإستجابة لإختلافات العصور والأزمان والبيئات . وقد أقام الإسلام منهجه على أساس واضح هو (الثوابت والمتغيرات) وربط (الإلهى والزمنى) دون أن يحدث هذا اضطراباً على النحو الذى يفهمه أهل الفلسفات المادية والغربية والانشطارية التى تفصل بين الروح والمادة والقلب والعقل والدنيا والآخرة ، فللإسلام ثوابته الواضحة التى لايمكن التحدث عن تطويرها أو تغييرها ، وله حركة المتغيرات المستمرة داخل إطار الثوابت فهو لا يتوقف عن تطور فى الفروع ، والاستجابة للظروف المتغيرة ، أما فكرة تطوير الشريعة التى تجول بفكر بعض الغربيين من أجل تقبل الإسلام للربا والخمر والزنا والميسر والانحلال الاجتماعى وللقضاء على المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى فإن هذا كله مستحيل وغير مقبول ولن يكون الإسلام يوماً مبرراً لفساد المجتمعات القائمة الآن ، وعلى المجتمعات نفسها أن تصحح طريقها على أساس حكم الله وأن تلتزم بالضوابط والحدود التى أقامتها الشريعة الإسلامية من أجل سلامة الحضارة والمجتمع وحماية الأسرة والأفراد ، وأن كل ثرثرة فى هذا المجال لا تستطيع أن تخدع أحداً اليوم فى العالم الإسلامى الذى أجمع على أن الشريعة الإسلامية هى مصدر التشريع وإن الذين يقولون بتطوير الشريعة لايستهدفون الحق أو الخير لأمتهم وإنما يرغبون إلى تحقيق غاية من غايات النفوذ الغربى والاستشراق والتغريب بإخراج المسلمين من منهج حياتهم الأصيل ومن العجيب أن يحدث هذا فى الوقت الذى يتجه فيه نوابغ الغرب ومفكروه إلى الإسلام والإيمان بأنه أصلح منهج للحياة ، بل ويعتنقونه تاركين مفاهيمهم السابقة ، أمثال الدكتور موريس بوكاى ، والفيلسوف رجاء جارودى .

وقد جرت فى السنوات الثلاثين الماضية محاولات لعقد مؤتمرات فى بعض الجامعات الغربية دعى إليها بعض علماء المسلمين من أجل ما أسموه تطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح إداة لتبرير القيم الغربية ومن أساليبهم فى هذا التطوير استدراج علماء المسلمين للكلام فى نقاط معينة من نظم الشريعة

تخالف ما استقر عليه عرف الغربيين مما يجرى باسم المدنية وذلك لكى يلجئوهم إلى تحريف نصوص القرآن والحديث والميل بها إلى مايوافق العادات الغربية السائدة . والجانب الخطر فى هذه الوجهة هى محاصرة الدين لتضييق دائرة نفوذه وقصرها على شئون العبادات وإلغائها المعاملات التى يقوم عليها تنظيم المجتمع ، أو فكرة إعادة النظر فى الدين وتطويره ووضع تجربة الدين وتجربة النبوة والمعجزات والصلاة والحياة الأخرى موضع البحث وإخضاعها لقوالب علم النفس الحديثة التى يقوم على الحدس والتى تخضع نفسها للتغيير والتبديل ، وهى بذلك تجعل الدين مسألة ذوقية وهمية ليس لها وجود حقيقى . وهناك التطاول عن أسلوب الله تبارك وتعالى فى العمل .
ولما كانت هذه المخططات لم تمت وهى تبعث بين حين وآخر فإن محاولة توفيق الحكيم الأخيرة هى حلقةعلى هذا الطريق ومحاولةلتقديم مجموعةجديدة من الأفكارالمسمومة فيها الجرأة على الله تبارك وتعالى بمثل هذا الحوارالذى يكشف عن خطوة خطيرة فى وقت تحاول الأمة الإسلامية أن تجمع شملها وتتجه إلى الله تبارك وتعالى بالعمل بمنهجه حتى يكشف عنها هذه الأزمات الثقيلة منذ علت صيحة (العودة إلى الله) بعد نكسة عام ١٩٦٧ وتوفيق الحكيم يبذل اليوم محاولة جديدة على طريق تغريب الإسلام وستلقى نفس الهزيمة والفشل الذى لقيته سابقاتها هذا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(٤)

لويس عوض

(التغريب)

إن ما كتبه لويس عوض فى جريدة الأهرام فى الفترة من سنة ١٩٥٨ — ١٩٧٢ لفى حاجة شديدة إلى المراجعة . فقد أفرغ الدكتور سموماً كثيرة فى الصفحات الأدبية للأهرام ، تمكن بعض الكتاب من مراجعة بعضها ومضى البعض الآخر دون مراجعة وكان من أبرز ما روجع فيه الكاتب تلك الكلمات العنيفة المتعصبة التى ردها الأستاذ محمود محمد شاكر فى مقالاته التى نشرتها الرسالة وجمعها فى كتابه (أسمار وأباطيل) ومن هذا الركام تلك الألقاب التى وزعها على متابعيه من أمثال دعواه بأمارة الشعر إلى صلاح عبد الصبور الذى رد الجميل للدكتور لويس عوض بعد قليل حينما أصدر كتابه (مدخل إلى فقه اللغة العربية) الذى حشاه بكثير من الأباطيل والزيوف وذلك بوصفه رئيس أكبر مؤسسة للنشر فى القاهرة .

وقد كانت وجهة لويس عوض وخطته مكشوفة وليست فى حاجة إلى تفصيل كثير . إنها تتلخص فى الدعوة إلى تعلم اللغات الأوربية وترجمة كل ما كتب فى الغرب . بدون قيد أو شرط ، دعوة مطلقة ليس لها ضوابط ولا قيود يرمى بها إلى أن يتساقط الشباب كالطير الأعمى فى شباك المستشرقين فى أوربا من غير حصانة أو فهم للأخطار المحيطة به ، بدعوى توسيع آفاق الثقافة والفكر ، ونحن نعرف ماذا سيعلمونه هناك : سيعلمونهم احتقار دينهم ولغتهم وثقافتهم ، وإكبار شأن التغريبيات والشعوبيات ، وتمجيد مذاهب التفسير المادى للتاريخ . ومفاهيم تين وبرونتير فى الأدب من حيث أن الإنسان حيوان واحتقار التراث الإسلامى ، والاعتزاز بشكسبير ، وفرويد ، وسارتر ، ونيتشة وفلاسفة المادة . يقول لويس عوض : أوجه الشباب إلى قراءة الأدب العالمى والفكر العالمى والفن العالمى . وأن طه حسين ، وسلامة موسى ومندور . وعبد الرحمن بدوى لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه

إلا من خلال استيعابهم للتراث الإنسانى فى مجمله من مصر القديمة إلى اليونان القديمة إلى الآداب اللاتينية ومن أدب الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين إلى أدب الروس) .

هكذا تتجه الدعوة إلى الشباب ليقرأ دون وجهة محددة أو هدف واضح عمله هذا الشباب ودون تعريف له بهذا التراث الإنسانى الضال المليء بالخرافات والوثنيات والأساطير .

والمثل الأعلى الذى يرفع آمالهم دائماً هو طه حسين ، وسلامة موسى وغيرهم من دعاة التغريب ، ماذا يفيد شبابنا المسلم من تراث اليونان ومن أساطير الفراعنة ، والفرس ، والهنود ، بعد أن جاء الإسلام وجاء بالفكرة الناصعة ، والدعوة الساطعة ، دعوة التوحيد الخالص وقد اعتبر المؤرخون أن كل ما سبق الإسلام كان مقدمة له ، وفى الإسلام غنى عن كل ما سبقه ، فقد قدم الإســلام للإنسان منهجاً كاملا من الميتافيزيقــا لم يعد معه فى حاجة إلى دراسة هذه الفلسفات ، ويكفى أن ينتفع المسلم المثقف بالمعطيات التى جاء بها العلم التجريبى فهى وحدها التى تحتاج إليها والتى هى ملك مشاع للبشرية كلها والتى لا دخل لها فى تكوين العقائد والثقافات للأمم ، من حيث أن كل أمة لها ثقافتها الخاصة المستمدة من عقيدتها وتراثها ولغتها .

وما هى الفائدة التى يجنيها المسلم من إقامة هذه الجسور من الأساطير القديمة والخرافات والمفاهيم الضالة التى صورت الإنسان حيواناً مادياً ونفت عنه التكامل بين الروح والمادة .

ويتحدث لويس عوض مع الشباب عن فرويد ، وداروين ، وسبنسر وهو يعلم أن جميع كتابات العلم الصحيح قد كشفت زيف ما دعا إليه هؤلاء ، وما ذهبوا إليه وأن العلم التجريبى قد تجاوزهم الآن .

ويدعو لويس عوض الشباب إلى إحياء الأساطير فى فاوست ، وبرميثوس وماكبث ، وأجامنون ، وعطيل كأنما هذه الأساطير تمثل قيماً حقيقية أو مفاهيم اجتماعية خالدة للإنسان تستطيع أن تعيش فى كل زمان ومكان

ولا ريب أن لويس عوض يريد إفساد عقليات الشباب المسلم بدعواه

هذه وكيف يتجه الشباب المسلم هذه الوجهة وعنده من عطاء القرآن والسنة وتراث النوابغ الأمجاد فى كل جوانب الفكر الإسلامى ما يكفيه ، ولماذا يرد على أعقابه لتدريس أساطير الأولين وقد جاءت الأديان المنزلة لتحرر الإنسان من هذه الزيوف ، ثم جاء الإسلام ليقدم للبشرية نظاماً عالمياً إنسانياً جامعاً

إن لويس عوض ودعواه قد تجاوزها الزمن لأنها ليست تقدمية بمعنى العطاء الحقيقى المخلص الصادق المنبعث من النفس المؤمنة بحق هذه الأمة فى امتلاك إرادتها وإنما يراوغ لويس عوض ليحقق هدفاً وغاية حمل لواءها منذ وقت بعيد ، ولويس عوض يعلم أن شبابنا المثقف لا يثق به ولا يقرأ له إلا ساخراً من صيحاته التى نعرف مصادرها ولذلك فهو كنافخ فى قربة مقطوعة ، وكل محاولة لاستبقاء نفسه على قمة الفكر هى محاولة باطلة ، فقد علت صيحة الوعى الصحيح للفكر الإسلامى ولم تعد تخدعها تلك المحاولات التى يقوم بها فى عدة ميادين :

أولا : مهاجمته للغة العربية وحملته عليها ودعوته إلى العامية وكتابته بها متابعة للخط الذى رسمه سلامة موسى من قبل .

ثانياً : الغمز للتاريخ الإسلامى والعربى والتقليل من شأن بطولاته ومواقفه والتشكيك فى مصادره وكتابه – ومحاولة الاستفادة ببعض النصوص فى الجبرتى أو فى غيره لخدمة أهدافه .

ثالثاً : الاهتمام بإذاعة ذلك التراث المسموم الضال : تراث الوثنية اليونانية وخاصة ما يتعلق بصراع الآلهة ، والحديث عن قرابين الآلهة وسرقة النار وكلام الساحرات وهذه الجولة مع الأساطير القديمة .

رابعاً : مصافحة ذلك التيار الذى قام عليه فى بيروت يوسف الخال ، وأدونيس وتزويده بأحمد عبد المعطى حجازى ، وصلاح عبد الصبور هؤلاء الذين يرددون المصطلحات الكنيسية والمسيحية .

يقول الدكتور رشاد رشدى فى مناقشة أفكار لويس عوض :

فى أغلب ما يكتب يبدأ بإصدار أحكام مسبقة يكون مصدرها أوهام فى عقله أو متاهات فى وجدانه أو أغراض له شخصية بحتة . ثم يتبع هذه

الأحكام ببراهين وأدلة بعيدة عن الحقيقة كل البعد ، ولكن صحتها أو زيفها لا تهمه ما دامت تعاونه فى إيهام القارئ بأن الأحكام المغرضة والتى يعلم هو جيداً أنها خاطئة ومع ذلك يصدرها على الناس والأشياء ، على أنها أحكام سليمة ، وهذا منهج أقل ما يمكن أن يوصف به أنه غير علمى . فضلا عن أنه يخاطب القارئ فى شيء كثير من التعالى فيحشو كلامه بعبارات مبهمة مثل الاسطاليسية والطوبونية وغيرها مع أنك مع دكتور عوض لا تعرف أين أنت فهل هو يتكلم من منطلق فرعونى أو يسارى أو يمينى أو فاشى أو ليبرالى . أو من كل هذه المنطلقات معاً وفى وقت واحد .

المفاهيم الخاطئة :

١ – الإصرار على أن الثقافة المصرية الحديثة مستوردة من أوربا جملة وتفصيلا .

٢ – محاولة إلغاء عروبة مصر وتأكيد انتمائها إلى الغرب .

٣ – الإقلال من شأن الثقافة العربية .

٤ – إعلان الإفلاس العام للثقافة المصرية وأنها بحاجة إلى الاتصال بثقافات راقية .

يقول الدكتور عبد العزيز الدسوقى :

إذا كانت نبرة لويس عوض هادئة باردة فليس لأنه لا ينفعل أو لا يغضب ولكن لأنه تمرس على القتل العمد ، فالهدوء ليس اتزاناً وإنما هو احتراف للظلم ودلالة على ما درج عليه من براعة فى صناعة السموم .

إن مهمته فى إصدار الأحكام العامة دون معرفة أو علم أو شك أن يسدد إلى قلبه سهماً نافذاً لولا أنه اكتفى بأن يسكب على وجهه وثيابه زجاجة من الحبر الأسود ويتساءل :

ما هو الحجم الحقيقى للدكتور لويس عوض وهل أصبح حقاً من الأساتذة الكبار ؟ ويقول : بالرغم من مرور الأعوام الطوال لا أظن أنه أبدع شيئاً مهماً أو حصل علماً نافعاً أو اكتشف خبرة أو صقلته الأيام ، فقد أقحم نفسه فى أشياء كثيرة لا يجيدها .

١ – حاول الشعر فى مطلع حياته وبشر بموت الشعر العربى وطالب بكسر عمود البلاغة العربية ، ولم يمت الشعر العربى ولم تتحطم أعمدة البلاغة العربية ولكن شعر الدكتور لويس عوض هو الذى مات واندثر وبادت نظريته فى إحياء البلاغة العامية وتهشيم عمودها .

٢ – حاول أن يكون مؤرخاً ومع أنه لم يتخصص فى التاريخ ففشل فشلا ذريعاً ، وكثرت سقطاته وتضاعفت عثراته ويكفى أنه أشاد ببعض الخونة والجواسيس الذين تعاونوا مع الحملة الفرنسية ضد أبناء وطنهم من أمثال المعلم يعقوب ورفعهم إلى مصاف الأبطال .

٣ – حاول دراسة الأدب العربى فما استقام له منهج وما حقق شيئاً فى هذا المجال ودليل فشله يحقق بشـــكل واضح فى دراسته على هامش الغفران (الأهرام فى الستينات) وقد حركت هذه المقالات قلم الأستاذ محمود محمد شاكر فعلق على الموضوع فى مقالات متعددة صارت فيما بعد كتاباً فى جزئين بعنوان : (أباطيل وأسمار) وهو من أهم الكتب التى صدرت فى تاريخنا الحديث تحقيقاً وتأصيلا للمنهج العلمى فى الدراسة الأدبية إلى جانب ما فيه من متعة فنية وجمـال فى العرض ودفاع عن تاريخنا ومقومات حضارتنا وسيظل هذا الكتاب العظيم دليلا عميقاً على أن الدكتور لويس عوض فى حجم البعوضة وأن الهالة التى منحتها له ظروف الحياة فى عقد الستينات (عقد الهزيمة اللعين) لا تساوى جناح تلك البعوضة، بل سيظل هذا الكتاب صحيفة سوابق أدبية للدكتور لويس عوض تحمل بين طياتها سطوراً كثيرة تهدر كل قيمة علمية وأدبية له ، ويكفى أن شاكر قد ضبط لويس عوض متلبساً بعدم معرفة قراءة الشعر العربى ، فبيت شيخ المعرة المشهور :

صليت خمر الهجير نهـاراً ثم باتت تغض بالصليان

الصليان : بالباء المنقوطة ومن تحتها نقطتين تعنى نباتاً صحراوياً كانت الإبل تأكله نهاراً فى القيظ والهجرة ، قرأها لويس عوض (الصلبان) بالباء المنقوطة من تحتها نقطة واحدة فتحولت إلى الصلبان جمع صليب وبذلك تغير معنى البيت تماماً كما فهمه الدكتور عوض ومن العجيب أن لويس عوض فهم البيت على هواه بعد أن حرفه ، ثم رتب عليه مجموعة من الأحكام

تصيدها تصيداً من نقول مبتسرة لم يحسن نقلها كاملة وبالتالى لم يفهمها ومن ذلك أنه حدثنا أن أبا العلاء تعلم فى اللاذقية كما تعلم فى أنطاكية ، وأنه فى إحدى رحلاته نزل بدير ولقى راهباً درس على يديه الفلسفة اليونانية وعلوم اليونان وأدبهم فشك فى دينه وحصل له انحلال . وقد زعم الدكتور عوض أنه نقل ذلك عن طه حسين ، تلك هى الصيحة التى سجلها الأستاذ شاكر على الدكتور لويس والتى تدل على عدم بصره بالتحقيق التاريخى والدرس الأدبى وفعل مثل ذلك بقصة راهب دير الفاروس التى وهم فيها الدكتور عوض .
والذى يقرأ كتاب (أباطيل وأسمار) يعرف الدكتور لويس عوض تماماً ويجد بدون عناء مكانته العلمية وقيمته الأدبية . إن أى كتاب يكتبه الدكتور عوض لا تأثير له وليست له أية قيمة وأنه قد سقط من غرابيل المعرى من ارتكب تأليف كتاب على هامش الغفران

ولقد كشف كثير من الباحثين خبيئة لويس عوض فقال توفيق صايغ : إنه فى كل ما يكتبه يحاول تغطية اتجاهه الفرعونى وكل كتاباته (ابعدوا شبح العرب عن مصر ، العرب استعمروا مصر وشوهوا وجهها الحضارى) هو وكمال الملاح على هذا الطريق الذى رسمه لهم من قبل زكى شنودة فى كتابه تاريخ الأقباط — ونضيف سلامة موسى .

وفى كشف آخر يقولون : إن لويس عوض أهدى كتابه (بلوتولاند) وقصائد أخرى الذى ألفه سنة ١٩٤٧ إلى رجل يدعى كريسيوفر سكيف وهو جاسوس بريطانى محترف ألف فى مصر جماعة (إخوان الحرية) . وقد كشفت كل خفاياها فى محاكمات الثورة وكان يقوم فى الجامعة بعمل تبشيرى سياسى فى آن وكان لويس عوض من أبرز تلاميذه ومما يذكر أنه ألقى محاضرة فى قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٨ تحت إشراف مستر سكيف وممالقنه ودعاه إلى نشره من الطلاب موضوعها (الأديان فى ميزان الفكر) قال : إن لكل عصر تقاليده وتفكيره وهذه التقاليد والأفكار تتطور بتطور العصور والأجيال وأن الأديان التى فرضت على الناس قواعد ونظماً ومناسك تعبدية وتطالبهم بأداء هذه القواعد والفرائض ، وهذه لا يمكن أن يستجيب لها المثقفون من الناس ولا تكون فى مصلحتهم لأن هذه القواعد إنما تصلح للعصر الذى جاءت فيه ولهذا فهى لا تصلح للعصر الحديث . وقد قال له مستر سكيف

متهمكاً: إنك تحسن الكلام بالإنجليزية وقد رد عليه الأستاذ أحمد جلال :
إن قواعد الإسلام لا تخضع لتطور الأجيال لأنها من وحى الله ولأنها تعالج الفطرة الإنسانية التى يعلم أسرارها عالم الغيب والشهادة والسر والنجوى والذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء فى النفس ولا فى الجسم فليس فى الإسلام قديم ولا حديث فى ميدان الأحكام والإصلاح ، إنما هو دين الفطرة الذى يعالج كل نفس فى كل عصر ويعالج النفس الإنسانية فى مختلف ألوانها وأجناسها وعصورها وكل نظام يضعه انسان فى عصر يهدم إنساناً فى عصر آخر .

* * *

الفصل الخامس

نجـــوم الصحافـــــة

١ ـ مصطفى أمين .
٢ ـ إحسان عبد القدوس .
٣ ـ أمينة السعيد .
٤ ـ حسين مؤنس .
٥ ـ صلاح جاهين .
٦ ـ يوسف إدريس .
٧ ـ أنيس منصور .

(١)

مصطفى أمين

يقسم مصطفى أمين صيحاته اليومية تحت عنوان (فكره) الذى رثه عن على أمين حول ثلاث أهداف أساسية :

الأول : رعاية الراقصات والممثلات والفنانين والدفاع عنهم وحماية هذه المؤسسة الخطيرة التى أفسدت المجتمع الإسلامى إفساداً تاماً وكتاباته فى هذا الاتجاه هى كتابة المنافح المدافع المؤمن بقداسة الفن الحافز للفتاة المسلمة إلى هذه الوجهة دون خوف أو تردد .

الثانى : إعلان الشغف البالغ والتقدير الوافر والإكبار لكرة القدم ورجالها ولعباتها ومتابعة هذا الأمر بشىء كبير من التقدير وهذا يوحى بالخلقيات التى تحميها أقلام بعض الكتاب فى متابعة أهداف الماسونية العالمية فى دقة ومكر ، ويحاول مصطفى أمين أن يغلف هذه الأهداف بتلك الصور من الرحمة والحنان والتوجه إلى الله وهى التى علمهم إياها (الدعاة الكبار) ليكونوا قريبين من القلوب فى هذا ، فتقبل آرائهم تلك المسمومة فى يسر وتعاطف من القراء الطيبين السذج الذين لا يعرفون الخفايا .

ولكن إذا تحدث مصطفى أمين عن أدواء المجتمع ومشاكل الأسرة فهل ينسى أنه الخطة التى رسمها منذ عشرين عاماً هى التى أوصلت المرأة والمجتمع والشباب إلى تلك الأزمات التى يواجهونها الآن ، حين فتحت لهم أبواب الصور العارية والقصص الجنسية وترجمة الكتب الإباحية واعطاء ذلك كله صفة الشرعية حتى تظن الفتاة أن السقوط والانحراف ليس إلا عملا عصرياً لا عيب فيه ، هذه المحاولة فى تغيير الأعراف والقضاء على مفهوم الأخلاق الاجتماعية كانت الصحافة التى قادها مصطفى أمين من أكبر العوامل فى حجبها . وقد اعترف مصطفى أمين مرة فى فكرة بهذه الآثار الخطيرة حين قال :

« فتاة من الجيل المتعجل الذى نراه حولنا فى بعض الأحيان ، فتيات صغيرات يجهلن كل شئ عن الدنيا ويتصورن أنهن صاحبات تجربة طويلة ، أولاد صغار لم يتعلموا وهم يتوهمون أن من حقهم أن يكونوا فلاسفة . هذه الظاهرة ليست غلطة الصغار ، ولكنها هى جريمتنا نحن الكبار . نحن الذين لم نفرق بين الحرية وقلة الأدب ، وبين الديمقراطية واحترام الأكبر سناً . نحن الذين حطمنا كل تماثيل آبائنا وأجدادنا ، ولم نحاول أن نقدم لهم قيما جديدة تستحق تقديرهم وإعجابهم ، ولا أمثلة كبيرة يقلدونها ، نحن الذين عبدنا المادة وكفرنا بالروح ، ولم نغرس فى أولادنا التقاليد الجميلة » . . ولكن هل هذا الكلام يعنى أن مصطفى أمين قد اتخذ خطاً جديداً يحرر الصحافة من انحرافها . .

هل يعلم مصطفى أمين أن متابعته للمرأة والتصفيق لها فى كل مجال هو الذى خلق هذا الجو المضطرب ، إن مصطفى أمين ، يقف هنا فى إصرار على دعم الهدف الذى عاش له : إن المرأة فى المخططات الماسونية والتغريب هى مصدر التدمير الحقيقى للأسرة والمجتمع كله . إن مصطفى أمين يصر على أن عقارب الساعة لن ترتد إلى الوراء ، ولا يمكن انتزاع الحقوق التى حصلت عليها المرأة . وهذا دليل على الإصرار على الهدف . فهل إذا ثبت أن هذه التجربة فاشلة ولم تحقق شيئاً ، وأنها حققت نتائج سيئة فى مجال الأسرة والطفل ، أليس من حقنا أن نرجع عنها ، وأن نختار أسلوبا آخر ، أليس الحق أحق أن يتبع ، لا ، إن مصطفى أمين هنا فى هذه النقطة بالذات يتكشف فى صورته الحقة . إنه لا يتصور أن يرجع عن هذه الخطة التى غذاها وكان لعمله فى الصحافة أكبر الأثر فى تمكينها ، وإذا كان يرى هو أن أحداً لا يوافق على أن تعود المرأة إلى البيت ، فإننا نقول له إن المرأة نفسها هى التى تطلب ذلك وترى أنه خطأ يجب الرجوع عنه ، وأن تربية أولادها وأمان أسرتها أهم وأولى . دعك من خداع الرجل الذى يدعى أنه لا يستطيع أن يفتح بيته بدون زوجته العاملة ، ومتى كانت قروش المرأة تفتح بيوتاً وأى بيوت هذه التى تقيمها قروش المرأة ، إن هذه المبالغ تنفق على الزينة والملابس ومصاريف الانتقال ، وما نريد الرجل الذليل الذى يأخذ مرتب زوجته ليستعين به على تكملة مصاريف منزله ، ولقد قامت البيوت بأجور الرجال دائماً وقديماً وستقوم ،

وتلك دعوى باطلة يرددها مصطفى أمين وأمينة السعيد ولم تعد تخدع أحداً ، إن الأسرة المسلمة التى تقتنع فيها المرأة بأن بيتها أولى بها لا تحتاج إلى هذا المورد لتأكل منه ويكفيها القليل ، فهى لا ترغب فى الترف ولا فى الملابس الزاهيةالتى حرمها الإسلام .

* * *

تقول مجلة الحرية اللبنانية : إن مصطفى أمين عاش فى ميدان الصحافة مغامراً ضخماً يبحث عن الجواد الرابح ويراهن عليه ويتأمل الصراع السياسى والاجتماعى فى مصر بعين يقظة وفى اللحظة المناسبة يغير مواقفه وينضم إلى الحركة التى تكسب المعركة فقبل عام ١٩٣٧ كان الوفد هو الحزب الذى يضم الجماهير الشعبية وكان رغم إقصائه عن الحكم ورغم حرب الاضطهاد التى تعرض لها معروفاً تماماً أنه الجواد الرابح ، وأن حكومات الأقليات السياسية سوف تقصى عن الحكم عاجلا أو آجلا تاركة مكانها لحزب الأغلبية ، كان المحيطون بالملك فاروق يحاولون خلق تيار صحفى مضاد للوفد ومؤيد للقصر وهكذا صدرت أخبار اليوم تحمل تحقيقاً صحفياً مسلسلا بقلم مصطفى أمين تحت عنوان (لماذا فسدت العلاقات بين الوفد والقصر) تحاول اتهام الوفد بأنه عميل للاستعمار وتظهر الملك بمظهر الوطنى الأول فى مصر ،وواضح أن أخبار اليوم قد راهنت على الجواد الرابح فى هذه المرحلة وقد اعترف كريم ثابت أنه هو ومصطفى أمين وادجار جلاد، كونوا ثلاثياً يتولى عملية الدعاية للملك فاروق، ولما تولت وزارة صدقى فى محاولة لدفع مصر إلى توقيع معاهدة تجر أقدام مصر نحو الدفاع المشترك أيدتها أخبار اليوم رغم ثورة الشعب العنيفة ضدها وكتب مصطفى أمين فى آخر ساعة ٢٧ نوفمبر عام ١٩٤٦ مدافعاً عن المعاهدة مؤكداً أنها خطوة نحو هدف عظيم ، كتب تحت عنوان خادع براق : « أوقعها والعنها » ولما حدثت حركة الجيش وأقصى فاروق لم يكتب مصطفى أمين إلا قليلا حتى قدم حلقات عن فاروق يكشف فيها خفايا وليه السابق وكذلك فعل بعد وفاة عبد الناصر .

* * *

• يحاول مصطفى أمين فى هذه السنوات (١٩٨٠ وما بعدها) أن يخفى صورته الحقيقية وراء قناع براق من التحدث عن القدر وعن الدعوة إلى إصلاح المجتمع وينسى أنه فى مفاهيمه وخطته كان من الأسباب الرئيسية فى كل ما يحيق بالمجتمع اليوم من أسباب الانحطاط والاستهتار ، ولكنه فى صلف عجيب يدعو إلى الإصلاح بعد أن فتح أبواب أخبار اليوم لأسلوب عجيب من الكشف والإباحة سواء فى أبواب السينما والمسرح والكرة أو فى تحسين الجريمة ووضع التفاهات المثيرة ، الزاعقة فى الصفحة الأولى وهو لا يستطيع مهما أخفى هدفه إلا أن يظهر ، يبدو ذلك واضحاً حين يتحدث عن تربية الأنبياء فيجنح به القول ، إلى أن يجعل الرقص من وسائل التربية فيقول (لا أريد أن أصف اختفاء الرقص التوقيعى فى مدارس البنات حتى لا تقوم على الدنيا) أعتقد أن نقطة العمل الأساسية فى رسالة مصطفى أمين حياته كلها هى إخراج المرأة من رسالتها ودفعها إلى طريق آخر لتؤدى دوراً آخر وهى محاولة باطلة سيشهد مصطفى أمين نهايتها ويتحمل تبعتها وهى تحمل نفس الادعاءات التى تحملها كتابات أمينة السعيد ومصدرهما واحد .

ومن ذلك قوله : « هل نستطيع أن نعقد مؤتمراً اجتماعياً ندرس فيه أمراضنا الاجتماعية كما بحثنا أمراضنا الاقتصادية ، هل نستطيع أن نجمع بين رجال الدين والمصلحين والباحثين الاجتماعيين وعلماء النفس وعلماء التربية فى مكان واحد ونبحث فى شجاعة ما أصابنا من انحلال والأزمة الأخلاقية التى نشكو منها وحدها فقد أصبحت أزمة عالمية تهدد مستقبل مجتمعاتنا بالفناء أو نبحث بصراحة وشجاعة مسألة السكان ، كل جديد متهم بأنه إلحاد وكل قديم متهم بأنه رجعى ، منذ أكثر من سنتين كنا أكثر انطلاقاً وتحرراً مما نحن اليوم ، هل يستطيع أن يقوم عالم مثل عبد العزيز فهمى ويطالب بأن نكتب العربية بحروف لاتينية ولا يتهم بأنه خائن للعروبة وعدو للإسلام ونطالب بقطع رأسه ، هل من الممكن أن يصدر قاض شرعى كالشيخ على عبد الرازق كتاباً يهاجم فيه الخلافة ويقول أنها ضد الإسلام ، هل يمكن أن يكتب قاسم أمين كتابه الذى دعا فيه إلى حرية المرأة وصمد للحملات » ويزعم أننا كنا فى الماضى أكثر استعداداً لتحمل الحوار والمناقشة مما نحن اليوم(الأخبار

١٧/٢/١٩٨٢) ومعنى كلام مصطفى أمين هذا مفهوم ، نعم لم يعد يجرؤ أحد على ذلك لأن الوعى الإسلامى أصبح قوياً وقادراً على مواجهة محاولات التغريب والشعوبية والماسونية وليعلم مصطفى أمين أنه عضو أساسى فى كل ما أصاب بلادنا من أزمات اجتماعية بدعوته التى حمل لواءها إلى التحلل والكشف وصفحات أخبار اليوم تشهد بذلك ، فمصطفى أمين هو الذى أنشأ هذه المواجهة الجريئة حين حول الصحافة إلى عملية تجارية بصرف النظر عن الهدف الوطنى والأخلاق واستطاع أن يدفع بالكثيرين إلى مجالات الحصول على الإعلانات والتعرف بأصحاب الشركات عن طريق أو آخر وعلم جيلا من الصحفيين تقديم كل ما يغذى أهواء القارئ ونزواته وغرائزه فى سبيل زيادة التوزيع وأخطر وأسوأ أعماله مسألة المرأة وحريتها وعملها تحت تأثير الوجهة التى قدمتها الماسونية ويفخر مصطفى أمين بهذا الاتجاه فيقول (الأخبار ١٨/١٠/٨١) هنا منارة التقدم فى الشرق الأوسط ، هنا نزعت أول امرأة مسلمة الحجاب عن وجهها وتبعتها كل نساء الشرق ، هنا دخلت أول فتاة مسلمة إلى الجامعة ، أول طيارة ، أول نائبة ، مصر هى الجريدة المصرية والكتاب المصرى والمسرح المصرى والفيلم المصرى والأغنية المصرية (ألا ما أسوأ ما قدمت مصر من أفلام ومسرحيات وأغان) ولقد كان مصطفى أمين وأخبار اليوم حرباً على كل وطنية وعربية وإسلامية ، وكانت منذ اليوم الأول خادماً لهدف معروف يسرى وراء كل هذه المظاهر البراقة ، ومن أجله تعاون مع كل تيار وكل وجهة وكل حكومة .

أما قصة خدمة الفلاح والعامل ، فهذه كلها بالونات ملونة خادعة إن مصطفى أمين يحاول فى عاموده اليومى أن يعطى صورة الخادم للمجتمع المتصل بالجماهير الذى يزوره أصحاب الشكاوى والحاجات ، فهو يتحدث دائماً عن هذه وتلك وهؤلاء الذين (دخلوا إلى مكتبى) فهو مركب نقص شديد يريد أن يستعلى على هذه الصورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى بالحديث عن نفسه وعن والده وعن سعد زغلول فى محاولة لإبراز دور وإخفاء أشياء كثيرة معلومة للناس جميعاً وخلق هالة كبيرة تضفى بطولة ومجداً بينما يعرف التاريخ الدور الحقيقى الذى قام به (مصطفى أمين) فى تحديث الصحافة

ودفعها نحو الجنس والإباحة والإثارة وإعلاء شأن السينما والكرة والفنانات وإعطاء المرأة دوراً مخالفاً لكل مفاهيم الأصالة والفطرة ومقومات المجتمع الكريم ، إن عليه مسئولية دفع التغريب فى مصر خطوات واسعة ما كان يصل إليها فى مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد والفن لولا هذه القوة الضخمة المتمثلة فى أخبار اليوم ، ويتحدث مصطفى أمين عن جده الشيخ أمين يوسف الذى كان من رجال الثورة العرابية ، ولكن ما هى مسئولية الأجداد إذا جاء من الأبناء من أخذ الطريق الآخر ، طريق سعد زغلول الذى أخرج الوطنية المصرية من إطار الإسلام ودفعها إلى مفاهيم ميكافيلى والخضوع لممارسات الاستعمار وتوجيهات كرومر : إن كتابات مصطفى أمين عن سعد زغلول لا قيمة لها أبداً من الناحية التاريخية ولن يعتمد عليها باحث ، لأنها تقوم على مصدرين :

١ — على مصدر أهواء الوراثة .

٢ — على معارضة حقيقية لكل الوثائق التاريخية التى هى فى أيدى الناس من كتابات عبد الرحمن الرافعى ، ومحمد على علوبة ، وعبد العزيز فهمى وغيرهم ، فكل الذين يقرأون لمصطفى أمين كتاباته عن سعد زغلول لا يستطيعون أن يثقوا بأنها ذات مصدر علمى ، وإنما هى رواية خيالية ، وإنما تقوم على هوى خاص وهو صلة القرابة التى لا تقوم على تحرى الحق ، دون سند تاريخى حقيقى ، ومهما حاول مصطفى أمين على طول السنوات وعلى مدى اليوميات أن يثبت لسعد زغلول فى نظر القارئ فى هذا العصر (شيئاً) يضعه موضع البطولة فإنه واهم ولن يصل إلى شيء مما يريد .

إن محاولات مصطفى أمين فى التباكى على الأخلاق ونقد أخلاقيات المجتمع المنهارة اليوم لا يمكن أن توصف إلا بأنها إحساس بالذنب ، فمصطفى أمين فى نظر كثير من علماء الاجتماع متهم بأنه شارك بقدر كبير فيما وصل إليه المجتمع من انحراف وفساد مما يتباكى عليه اليوم ، من صور الفساد الاجتماعى الذى تمر به مصر والبلاد العربية بواسطة ما قدم من منهج صحفى عن طريق الأخبار منذ صدورها عام ١٩٤٣ ، بل أن البعض ليرى أن مصطفى أمين أخطر من حيث الأثر التغريبى من طه حسين ، فقد كان

ولا يزال مدرسة قائمة لم تتوقف عن العمل ولقد أدى دوراً خطيراً فى تحويل الأعراف الأخلاقية العربية الإسلامية فى مدى عشرين عاماً بأسلوب غاية فى المكر والبراعة ، ودون أن يصطدم بأحد ، طه حسين عمل فى ميدان التربية والتعليم ، ومصطفى أمين عمل فى ميدان الصحافة وتحويل الرأى العام من معالم الغيرة على العرض والكرامة والأخلاق الإسلامية وحماية المرأة المسلمة من الأخطار إلى القفز فوق ذلك كله وصولا إلى طريق محفوف بالمخاطر تصل إليه اليوم المرأة تحت تأثير مغريات العصر ، لقد هدم مفاهيم الأخلاق الإسلامية بما قدمه من تطورات فى الصحافة الاجتماعية والسياسية لقد فتح الباب واسعاً أمام مفاهيم وافدة ليست من مفاهيم الإسلام فى الفن ، والمسرح ، والرقص ، والكرة ، والجنس عن طريق القصة والسينما والغناء وغيرها ، وجعل للفنانات كرامة قداسة وجعلها من المثل العليا التى تتطلع إلى تقليدها الفتاة المسلمة فى حركتها وفى لوى الكلمات وفى لحن القول ، وجعل للإباحيات أهمية ومكانة وساير كل عصر وكل حكومة وكل زعيم من أجل تحقيق هدفه فى القضاء على أخلاقيات التعامل بين المرأة والرجل وفى مجال الحياة حيث انفتح الباب واسعاً أمام الانتهازية وأخذ يبث مفاهيم مسمومة عن المرأة والعمل والكسب وزيادة إيرادات البيوت وكلها مفاهيم غير صحيحة وغير إسلامية أصلا وغير مقبولة فى تقدير الإسلام ، وحارب كل نهضة إسلامية ، وكل وجهة دينية ، لقد حاول أن يجعل للمرأة مكاناً واضحاً خارج البيت وبطولة ظاهرة فى عوالم الرياضة والرقص والفن والتجرد ، وأثنى على الشيوخ الذين أخرجوا بناتهم إلى عالم الرياضة . واحتضن بعض الأزهريين وجعلهم نجوما .

إن التحول الخطير الذى قامت به الصحافة بتجاهل الروح الإسلامية فى الأمة وآثار الصحوة الإسلامية وكل ما يتصل بذلك من تقيم حول مظاهر حقيقية انطلقت من قلب الأمة حول تطبيق الشريعة وحول بناء أجيال جديدة مؤمنة بالله وحول تطلع نحو قيام مجتمعات إسلامية ، كل هذا كان لمصطفى أمين دور كبير فى حجبه وتشويهه والاستماتة فى حماية مكاسبه الزائفة فى الإباحيات وتهديم المجتمع والأسرة وإعلاء شأن المرأة الخارجة عن البيت ، ولقد كانت

وراء هذه التجربة قوى كبرى تدفعنا إلى التغريب والخروج عن أصالتنا وقيمنا وهدم أصول أخلاقنا وتغيير للعرف والقيم والمشخصات بحيث يمكن أن تستسلم الأمة للانصهار فى بوتقة الأممية تحت أسماء لامعة كالديمقراطية وحرية الفكر وغيرها من كلمات التقدم والتجديد .

* * *

(٢)

إحسان عبد القدوس

(القصة)

وصف الأستاذ يحي حقي كتابات إحسان عبد القدوس بقوله :

(لا عجب إن كانت ألفاظه كبالونات المراقص المتواثبة أمام عينيك ، فكيف تريد منها أن تستقر على الورق ، الويل له إذا كان فتى يافعاً أو فتاة فى مقتبل الصبا ، فإن السحر يصبح نوعاً من التخدير كبقية المخدرات لا تخلو من خطر) ، وهى عبارة رمزية تحاول أن تصور مدى الخطر الذى يواجه الشباب القارئ لكتابات إحسان عبد القدوس التى تحاول أن تصور الجريمة الجنسية والمطاردة والاغتصاب شيئاً مشروعاً وطبيعياً، ولا بأس به، بل وتحاول أن تقول : إنه نشأ مع المجتمع وهو ما تقوله المدرسة الفرنسية الاجتماعية التى أنشاها اليهود (دوركايم ، وليفى بريل ، وفرويد ، وسارتر) لإفساد المجتمعات الغربية وتدميرها وإذا كان قد وجد من يروج لهذه الآراء فى مجال الفلسفة والأدب والاجتماع من أمثال لويس عوض ، وحسين فوزى ، وتوفيق الحكيم فقد وجدوا إحسان عبد القدوس فى مجال القصة التى يقرأها الألوف وينخدع بها شباب ليس له خلقية عقائدية تحميه من السقوط ، يتطلع إلى صور الهوى المحرم ولطالما واجه النقاد إحسان عبد القدوس بالتساؤل عن سر هذا الإصرار على تلك العبارات الزاعقة فكان يقول لهم :

إننى بطبيعتى لا أستطيع أن أتوقف عن فكرى الفنى . الفكر الذى عشت فيه منذ كنت أقضى طفولتى وصباى بين كواليس المسارح وفى استديوهات السينما وبين أحضان كل الفنون .

قال الكاتب : لماذا هذا القدر الكبير من الجنس ؟ أنت تجعلنا نشك فى أن كل الفتيات يسلكن سلوكاً سيئاً ، وكذلك كل السيدات فى أصابع بلا يد ، البطلة سيدة قد مارست الجنس مع كل شخص وكان كل عملها هو ممارسة الجنس حتى مشاكلها تتجمع حول هذا الأمر . لماذا ؟

قال إحسان : أعتقد أن طرح السؤال على هذا النحو فيه مغالطة ، أنا روائى ومن حقى اختبار نماذجى من عينات اجتماعية ونفسية معينة ، أنا لا أتهم أحداً . أنا أتحدث عن شخصية اخترتها بعناية من بين ملايين السيدات وكتبت عن ظروفها وملابسات حياتها . هناك الملايين من الفتيات البريئات الشريفات وهذا لا شك فيه ولكن هناك عشرات من الفاسدات .

ونحن نسأل: لماذا لا يتجه إحسان إلا نحو هذا الصنف من الساقطات وكل يمكن أن تكون هذه النماذج النادرة مما يقدمه القصاص الأمين على شرف أمته وعلى عرضها وعلى كرامتها بهذه الصورة العنيفة الصارخة المبالغة فيها إلى آلاف الفتيات البريئات اللائى يقرأن هذا على أنه واقع وما دام قد وقع فهذا مبرر لوقوعه مرة أخرى وتقليده أو للاتجاه نحوه، هل هذه مهمة صاحب القلم الذى كرمه الله وأناط به أمانة حماية أعراض هذه الأمة؟، وهل يمكن أن يكون مثل هذا يسمى : (مصلحاً اجتماعياً) هذا الذى يريد أن يجاهر بالجريمة ويذيع بها ويقلمها على أنها شىء مشروع ويعطيها مزيداً من البريق والإثارة. كم كان هذا العمل دافعاً لعشرات من الفتيات إلى الانحدار والسقوط بدعوى أنها ظاهرة اجتماعية ، وهل يمكن أن يكون اختبار هذه العناصر عاملا على أن يحول دون سقوط المزيد ، وهى تعرض على هذا النحو من الإعجاب والتقدير ومع هذا العرض المثير لدقائق هذه الاتصالات ووصف النهود والأجساد والقبلات فى تلك العبارات المثيرة الصاعقة ؟ ولماذا تخصص الأستاذ إحسان عبد القدوس فى قصة الخيانة الزوجية وحدها ، وأنفق فيها كل وقته وجهده ؟ ، ولماذا حرص على إعطائها هذا القدر من الإضاءة والكشف **« إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم . . . » .**

* * *

ويسأل السائل الأستاذ إحسان عبد القدوس فيقول :

لو أن لديك بنتاً هل كنت تسمح لها بالعمل أو تسمح لها بحرية الاختلاط ؟

ويجيب بعد مقدمة طويلة :

إذا كان لى بنت فسوف أطلب منها ألا تعمل . إن زوجتى لا تعمل ،

بل أنها تعيش وفق تقاليد وعادات أهل العائلة الشرقية القديمة ، ولو رزقت بنتاً كنت سأعاملها بعقد الفلاح الذى جاء من شبرا النملة . إنى أعرف أنى أعيش بين عالمين متناقضين : عالم عقلى كونته التجربة فى الصحافة والسياسة والأدب والاحتكاك بكل تجارب الإنسان مع معظم بقاع العالم ، وعالم نشأت فيه وتعلمت تقاليده . إنى أكثر محافظة فى عاداتى وتقاليدى من أى فلاح نشأ فى القرية ومع هذا فإن دورى كأديب وروائى هو دور المصلح الاجتماعى (كذا) .

ولا ريب أن هذه الإجابة واضحة وصريحة وكاشفة لحقيقة عرفناها عن كل دعاة تحرير المرأة وكتابه القصة الجنسية ، وكتاب الإثارة جميعاً أنهم يوصدون بيوتهم ويعيشون حياة رجعية كاملة فى حياتهم الخاصة ، ولكنهم يحرضون الناس على الكشف بما يقدمونه من آثار قصصية .

* * *

يقول الأستاذ فتحى سلامة : لقد أطلق على (إحسان عبد القدوس) روائى الجنس . ظل يكتب بطريقته الخاصة متحدياً التيار الأخلاقى الذى طالب بتحريم كتب إحسان عبد القدوس . يقول : (وكان يمكننى أن أتجنب كل هذه المتاعب لو رفعت بضعة سطور من كل قصة ولكنى رفضت إنى لا أستطيع أن أشوه الحقيقة) .

ما هى الحقيقة التى لا يريد أن يشوهها إحسان عبد القدوس ؟ هذه الحقيقة يسميها توفيق الحكيم : الطريق الوعر .

يقول توفيق الحكيم : إذا كان إحسان عبد القدوس يسلك هذا الطريق الوعر ليحول دون وقوع خطر من الأخطار فيجب أن نعذره وأن نتحمله ، فإن كثيراً من الكتاب الاجتماعيين والأخلاقيين ، قد تعرضوا لسخط الناس فى مبدأ الأمر) .

ولا ريب أن عبارة توفيق الحكيم عبارة ضالة ، فما هى الأخطار التى يدافع عنها إحسان عبد القدوس ، أنها مماحكات باطلة ، فإن إحسان يتابع هذا توفيق الحكيم الذى ابتدع ذلك بكتابه الرباط المقدس ، وماذا يمكن

أن يكون من إصلاح اجتماعى من كاتب يصر فى أعماق نفسه على أن يذيع روح الإباحية والاغتصاب ويتخصص فى الخيانة الزوجية ليجعل من آحاد الأحداث (ظاهرة كبرى) مروجاً بإصرار مستمر على تحويل القصص الخيالية إلى صور لها طابع الوقائع لتكون أعمق أثراً فى النفوس .

ولكن عندما يعرف الشباب الآثار النفسية التى تشكلت فى نفوس الكتاب فى مطالع حياتهم فإن ذلك يفسر لهم الاتجاهات نفسها . أما الأستاذ إحسان عبد القدوس فهو صريح فى هذا ، يقول : إن جدى هو الذى أشرف على تربيتى حتى أول دخولى الجامعة فى ظل تقاليد ذلك الزمان وعندما وعيت الدنيا كان أبى قد انفصل عن أمى ، لهذا عدت للإقامة مع عمتى حتى بلغت الثامنة عشرة ، ودخلت الجامعة وعشت مع أمى .

وقد تعلمت أن أقبل يد كل شخص يكبرنى ويدخل دارنا : دار جدى وعندما انتهيت من تقبيل أيدى الجميع أخذتنى أمى ونهرتنى بشدة وقالت : يجب ألا تقبل يد أحد غيرى . وهكذا عشت فى تناقض بين بيتين لكل منهما تقاليده وعاداته .

ونحن نعلم أن كثيرين قالوا له : إن والدته كانت أكبر ممثلة فى مصر فلماذا لا يكون هو (. د هـ . لورنس مصر) وقد كان فقد سلك أسلوب لورنس فى الكتابات المكشوفة ثم فلسف هذا الاتجاه بدراساته لفرويد ، وسارتر ، ودوركايم ، وهافلوك إليس وكل الإباحيين .

ولقد استطاع إحسان عبد القدوس أن يغلف أفكاره ودعاواه وإباحياته بأن يديرها فى إطار قصة سياسية أو وطنية ليخدع بها الشباب ، وهو نفس العمل الذى قام به جرجى زيدان عندما أفسد تاريخ الإسلام وهو يعرضه للشباب فى قالب قصص غرامية .

ولعل أجمل ما فى الأمر كله أن طه حسين قال لإحسان عبد القدوس عندما سأله عن قصصه التى يرسلها إليه إن زوجتى تضع الكتب التى تأتينى فى البانيو ثم تختار منها أسبوعاً وبعدها تأمر بقذفها إلى الشارع .

• • •

يقول محرر مجلة حضارة الإسلام: إنه ضمن مسلسل التهويد الثقافى صدرت رواية إحسان عبد القدوس تحت عنوان: (لا تتركونى هنا وحدى) والتى يروى فيها قصة فتاة يهودية مصرية تتزوج مسلماً وتعشق الإسلام، ثم تضطهد من المجتمع المصرى بعد وفاة زوجها، هذه الرواية وغيرها جزء من عملية تهويد ثقافى قدمت للأمة على مراحل لم يقدمها كتاب يهود ولكنها قدمت من كتاب أمثال إحسان عبد القدوس، طه حسين، لطفى السيد، سلامة موسى، لويس عوض، نجيب محفوظ، توفيق الحكيم، ممن مثلوا طيلة ربع قرن طلائع الفكر التلمودى بدأوا من دار الكاتب المصرى التى قام على رأسها طه حسين ومولها أحد اليهود ومروا بالعلاقات الأدبية والشخصية، والتى أقامها توفيق الحكيم مع الجامعة العبرية، فقيل: وبعد إنشاء دولة إسرائيل والتى أخذت تعد ذلك الطابع السرى ثم عادت لتظهر إلى العلن. قال إحسان عبد القدوس فى الأهرام: ليست هذه أول قصة أكتبها عن المجتمع اليهودى، فقد سبق أن كتبت منذ عشرين عاماً قصة (بعيداً عن الزمن)، وفى عام ١٩٧٥ كتبت قصة (أين صديقتى اليهودية) بل أننى ذهبت عام ١٩٤٥ إلى فلسطين وزرت الوكالة اليهودية ودرست المجتمع اليهودى.

وبالجملة فإن إحسان عبد القدوس فى نظر الباحثين يحمل لواء — الدعوة إلى:

أولا: (انتقاص المقدسات) وهذا يتمثل فى قصة (منتهى الحب) التى يتحدث فيها عن ثورة قامت فى الجنة يقودها الأنبياء يطالبون بإلغاء الجحيم

ثانياً: الدعوة إلى انتقاص القيم والأخلاقيات.

ثالثاً: التفكير فى رفع مستوى التوزيع أكبر من التفكير فى العمل الأدبى وقد واجهه نبيل راغب بهذا المعنى فى مناقشة معه حيث قال له:

أجمع الكتاب على أنك كاتب تسرف فى نثر التوابل الجنسية فى رواياتك ويرون أن رواجك بين القراء يرجع إلى هذا العنصر، بينما تؤكد أنك كاتب اجتماعى تتحرك تحت تأثير أفكار محددة هى الجنس والهدم ومن ذلك

تساؤله : هل الخيانة الزوجية مبرر كاف لهدم الحياة الزوجية ؟ ، وهذه التساؤلات من صميم دستور الماسونية التى ترغب إلى الكتاب أن يقنعوا الناس به ودعوى إحسان بأنه لم يكن محترفاً هى دعوى مزورة ، فقد كانت مجلة روز اليوسف تعتمد على قصصه فى التوزيع ، وكانت الكتابة الجنسية هى المصدر الحقيقى للتوزيع وكذلك المجلات والصحف التى ينشر بها تنحو هذا المنحى .

رابعاً : إن العناوين التى يقدمها إحسان عبد القدوس لقصصه إنما هى مصطلحات يرغب دعاة التغريب فى ترويجها لكثرة ترددها فى الإعلانات وفى غلاف المجلات (أنا حرة) هى ليست اسم قصة ولكنها دعوة إلى الفتيات للتحرر من كل القيم والأخلاقيات ، وكذلك مصطلح (لا شىء يهم) هى دعوة إلى اللاادرية وانكار الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية ومفهوم الحرية عند إحسان عبد القدوس هو مفهوم الوجودية وأصحاب الفكر الإباحى وهو امتداد للطريق الذى شقه توفيق الحكيم بقصة (الرباط المقدس) ، ولا شك أن هدف القارئ مما يكتب مرتبط بموقف صاحبه وسلوكه الشخصى فى الحياة .

خامساً : إن إحسان عبد القدوس يقدم إيضاحات حقيقية عن منهجه فى الكتابة من خلال عرض ذكرياته ، يقول : لأن أمى فاطمة اليوسف كانت ممثلة شهيرة اسمها روز اليوسف فى العمر الأول لحياتها ، اعتزلنى الصبية فى طفولتى وتحفظوا فى معاملتهم لى ، هذا جعلنى فى حالة دفاع دائم عن النفس وما زلت ، وكان جزءاً من دفاعى عن نفسى ألا أرسب حتى لا أعطى مجتمعى الصغير سلاحاً يحاربنى به بشماتة .

* * *

(٣)

أمينة السعيد

(الصحافة النسوية)

حاولت أمينة السعيد خلال فترة إشرافها على مجلة (حواء) أن تطرح مجموعة من السموم وأن تقف فى عنف وصلف أمام حركة العودة إلى الله التى قادتها المرأة المسلمة حين التمست الزى الإسلامى والطريق الإسلامى فى التعامل ، فقد أحست – هى ومن وراءها من التغريبيين – بأن ذلك المخطط الذى ظلت تعمل له سنوات طويلة قد انهار مرة واحدة وفجأة ودون مقدمات فقد عمدت أمينة السعيد خلال أكثر من ثلاثين عاماً أو تزيد أن تأخذ بوجهة نظر التغريبيين فى كل قضايا المرأة وأن تدعو إلى إخراج المرأة من بيتها بدعوى معاونة الزوج ، ضاربة عرض الحائط بكل كلام يقال عن الأطفال الذين يسلمهم الأمهات للحضانات الغربية وأيدى الخدم ، وأن تدعو المرأة إلى الأزياء الغربية وإلى العادات الغربية ، وأن تزين لهم حبوب منع الحمل وتحديد النسل وأن تجرى فى التعامل مع المرأة على النحو الذى أوردته بروتوكولات صهيون وأن لا تتردد فى الهجوم على الأستاذ الإمام الدكتور عبد الحليم محمود فى أكثر من مناسبة بأسلوب طائش .

لقد كانت أمينة السعيد من أوائل الدعاة إلى دفع المرأة إلى مجالات السهر والرقص والرحلات بدون محرم ، وهى التى دعت إلى تقصير الثياب وعارضت التحشم وهاجمت الزى الإسلامى بأكثر الألفاظ سوءاً وحاولت الادعاء على الإسلام بما ليس فيه من آراء باطلة وزائفة :

ومن قولها الباطل : (إن توفير الثياب أولى من رعاية الدين فى ستر الأفخاذ والصدور) .

تقول أمينة السعيد : (إن الإسراف فى التحجب هوس دينى) بينما الحقيقة أن التحجب وقاية للفتاة المسلمة والتزام منها بتقاليد دينها ، فلا إسراف

فيه ، والكاتبة تعترف بأن قوامة الرجل على المرأة شيء مقرر فى الإسلام ولكنها فى نفس الوقت تعتبر القوامة اليوم لا مبرر لها ، لأن هذه القوامة مبنية على أن الرجل هو الذى يعمل ، أما وقد أصبحت المرأة تعمل ولها مصدر من المال فإن هذه القوامة لم تعد ، وهذا تفسير ضال وباطل ، فإن المرأة وما تعمل به ملك لزوجها فى الحقيقة ولا ينقص شيئاً من قوامته حتى ولو كان هو لا يعمل ومن الكذب والتضليل أن تعلن أمينة السعيد أن المرأة ما دامت قد استطاعت أن تتساوى مع الرجل فلا مبرر للقوامة .

* * *

وقد كشفت إحدى الباحثات فى رسالتها عن الصحافة النسوية فساد الدور الذى قامت به مجلة (حواء) التى تشرف عليها أمينة السعيد وقالت : إن اهتمامات حواء هى اهتمامات ومشاكل الشريحة العليا من الطبقة البرجوازية فنسبة كبيرة من موادها عبارة عن مواضيع تبحث فى قضايا الجمال والمكياج والمنزل والمطبخ والديكور والأبراج والأحلام فضلا عن عروض للأفلام ولقاءات وإعلانات عن سلع كمالية .

وهى تعالج اهتمامات فئة خاصة من نساء المدن ، أما مشكلات وقضايا نساء الطبقات الشعبية فى المدينة فليس لها أثر يذكر ، ولا تمثل المواضيع التى تتعلق بمسئوليات ومشكلات المرأة المصرية الحقيقية سوى ١٠ فى المائة .

أما صورة المرأة التى تعرضها حواء فهى تلك المرأة الأنثى المغتربة فى ذاتها وواقعها الاجتماعى العام الضائعة ضمن العلاقات الاجتماعية القائمة والتى لا ينظر إليها إلا ككائن ذى شعور مرهف حساس ليس فى مستطاعه خوض الصراع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى التى يمر به المجتمع المصرى .

وترى الباحثة أن معظم الموضوعات التى تتناولها الصحافة النسوية فى الوطن العربى لا تسهم بشكل أساسى فى ربط قضية تحرير المرأة بمشاركتها فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وهى تركز على الجوانب المختلفة من اهتمامات المرأة : أزياء ، ومكياج ، وتسريحات شعر ، ولا تحاول الصحافة النسوية الاقتراب من مشاكل الغالبية العظمى من النساء ممثلات بنساء البوادى والطبقات الشعبية فى المدن من فقر وأمية وتشريعات قانونية مختلفة ٥

وتقول أمينة السعيد : إننى أريد أن أثبت أن النساء يستطعن القيام بنفس الأعمال التى يقوم بها الرجال ويحملن نفس المسئوليات إلى جانب قيامهن بشئون البيت وهذا الذى تدعو إليه محال فضلا عن أنه مناقض للفطرة وللتاريخ ولواقع المجتمعات الآن ، فقد أثبتت المرأة فشلها فى أى عمل سوى عملها فى محيط الأسرة (زوجة وأماً) أما الجمع بينهما فمحال ولا شك أن البيوت التى تعمل المرأة خارجها بيوت فاشلة فى وجهتها قذرة مضطربة ، غير منظمة ، غير قائمة على ذلك الحنان والرحمة والأمومة التى لا تستطيع المرأة أن تعيشها إلا إذا كانت قائمة على بيتها وحده وقد فشلت المرأة فى كل عمل أسند إليها حتى عمل أمينة السعيد فى دار الهلال .

إن أمينة السعيد اليوم بعد (جهاد) ثلاثين عاماً فى سبيل إشاعة مفاهيم مسمومة عن طريق مجلة أسبوعية تبث فيها أفكارها ، تحس بالفاجعة عند ما ترى هذه الأفكار وقد سقطت وذبلت لأنها لم تكن موازية للفطرة الإنسانية ولم تكن على الطريق الصحيح ولكنها كانت ضد الأصالة والفطرة والحق والإيمان النفسى المنبعث من دين الله .

إن كل الدفوع التى حملتها فى سبيل دفع المرأة إلى خارج منزلها ، قد سقطت ، إن المرأة المسلمة عرفت اليوم طريقها إلى العلم وإلى العمل ولكن بمفاهيم أخرى مختلفة عن أهواء الماسونية والتغريب .

إن محاولة أمينة السعيد فى مجلة حواء وباب اسألونى فى تزهيد المرأة فى طريق الله ودفعها إلى الغواية والانحراف وفتح أبواب الأزياء والتجميل ومفاسد الترف والعطور والتواليت لم تعد تقنع أحداً إلا قلة قليلة . إن ضرباتها التى وجهتها إلى علماء الإسلام كل مرة لم تغنها شيئاً عن أن عرفت بالسفاهة والهجاء والبغى . ، إنها لم تعد تستطيع أن تدافع عن هذه المحنة التى نتجت عن عمل المرأة وهى فساد الأجيال التى ربيت فى أحضان الخدم والمحاضن الغربية وأن خسارة الأمة نتيجة ذلك لجد بالغة مهما حاولت أن تتحدث عن دور الحضانة ، إن مهمة المرأة الحقيقية المقدسة هى الأسرة والبيت وأبنائها جنود الوطن وحماته ، أما إخراج المرأة من المنزل فهو هدف الصهيونية العالمية ، أما حكاية (المورد الاقتصادى) فتلك قصة قد بارت

وفسدت فمن هو الرجل الشريف الذى ينتظر أجر امرأته، لتقيم به الأسرة معه، بعد شراء أدواتها وحاجاتها التى تتزين بها فى الخارج وتلبس فى البيت أقذر الملابس. إن البيوت قد أقفرت وتهدمت وامتلأت بالظلام نتيجة غياب المرأة عن مكانها الحقيقى وما تستطيع أمينة السعيد أن تصدق حين تقول إن المرأة تحقق ذاتها فى مجتمعها فنحن نعرف والناس يعرفون أن المرأة لا تعمل شيئاً ذا بال وأنها تعيش على مجاملات الزملاء أو على أهوائهم مع الأسف ، هذا الذى يفسد عليها علاقتها مع زوجها حين تسمع كلمات الإطراء الكاذبة ثم تعود إلى البيت فتجد مسئولية وجهداً ، هنالك تضطرب نفسيتها وتسقط وتتحطم أسرتها .

يقول الأستاذ محمد الشهاوى لأمينه السعيد: كفى عنا هذا البلاء يرحمك الله. الإسلام لم يحرم المرأة من التعليم ، تطالعنا السيدة أمينة السعيد بين الحين والآخر بأحاديثها الصحفية التى تذخر بالافتراءات على حمى الدين الإسلامى وعلماء الإسلام والتى لا تستند إلى البرهان العلمى أو السند الفقهى ، وكأن شريعة الله فى حكمها أمر متروك للتفسيرات العفوية التى تأتى مع النقاش الحاد الذى يفتقر إلى الموضوعية والالتزام بالحدود المتعارف عليها بين من يملكون حق ملء أعمدة الصحف والمجلات بالآراء والفتاوى . ، إنها ترى أن عودة المرأة المتعلمة إلى وظيفتها فى المنزل لتربية أولادها ورعاية زوجها نكبة ، وتستدل على ذلك بتجربة المرأة التركية بعد حكم أتاتورك ، إن زيارة للمصالح الحكومية التى تكتظ بالموظفات العاملات اللائى لا يجدن سوى الفراغ والجدال وشغل التريكو وتجهيز خضار الغذاء لأولادهم أو مشاهدة دور حضانات الأطفال لمشاهدة المعاملة التى تسقى بها أطفالنا والتربية غير السليمة التى تغرس فى نفوسهم العقد النفسية بسبب الإهمال والرعاية كافية للرد على دعاوى السيدة أمينة السعيد وقديماً قال أحدهم أن أولادنا (تربية خدامين) ، إن الأطفال فى الأسر التى يعمل فيها كلا من الزوجين لا بد أن يخرجوا إلى الحياة منحرفين ، إن متاعب المرأة العاملة هى فى عدم قدرتها على الجمع بين الوظيفة والزوجية وعدم القدرة على اللحاق بزملائها الرجال فى المناصب القيادية وعدم مقدرتها على مجاراة زميلاتها فى العمل فيما يلبسونه أو يتزينون به . الأمهات العاملات : زوجات تعسات بالليل والنهار لا يجدن وقتاً لقراءة كتاب عن كيفية إعداد الطعام .

إن السيدة أمينة السعيد عندما حاصرتها الأسئلة عن مسئولية الأبناء قالت على الرجل أن يرعى أولاده فهل هذا قول يقبله عقل ، تترك المرأة عملها الأصيل إلى عمل زائف ، ويتولى الرجل عمل المرأة، لماذا ؟ أليس الخير أن يتولى كل من الرجل والمرأة مسئوليته التى رسمها له الإسلام بدلا من هذا الجنوح إلى الأهواء .

• • •

(٤)

حسين مؤنس

(التغريب)

خلال توليه رئاسة تحرير الهلال (– ١٩٨١) كشف الدكتور حسين مؤنس عن متابعة تامة لكل أفكار الاستشراق والتغريب وخاصة فى مجال المرأة فقد حرص أن يجرى فى هذا الطريق الذى يلح عليه مصطفى أمين وزكى عبد القادر . . . التباكى على المرأة والقول : بأنها ما زالت بعيدة عن تحمل نصيبها من مسئولية الرجال وإنكار كل الضوابط والحدود التى يقورها الإسلام للمرأة فى العمل والخروج والملبس ، ويذهب حسين مؤنس إلى التساؤل : كيف أن شعر المرأة عورة ويد المرأة عورة وصورتها عورة .

ويتهكم الدكتور حسين مؤنس بالفكر الإسلامى فيقول : إن تاريخ الفكر الإسلامى طويل ، ولكن الشجعان فيه قليلون أو قل لم يوجدوا قط ، والواقع أن هذا – كما يقول الأستاذ عبد الجواد الحضرى – : كذب على الحقائق وما زالت الأرض التى عذب عليها مفكرو الإسلام شاهدة على ذلك – الإمام مالك والإمام أحمد والنووى – البخارى وآخرون غيرهم تحملوا أشد أنواع العذاب لأجل المبدأ الإسلامى ليس إلا يقول :

« ونرى الدكتور يحمل مفاهيم الحادية عن الأخلاق ويردد فى علانية آراء (دور كايم) فيقول : (إن عفة المرأة ترجع إلى شخصيتها وتربيتها ونوع الرجال الذين يحيطون بها) وهذه العبارة خادعة مموهة فإن علماء النفس يقولون صادقين : إن البيئة تلعب دوراً هاماً فى تحديد سلوك الفرد وتنشئة شخصيته وأن تلويث البيئة ينعكس على الجسد ، ومن ثم فإن الإباحية المعاصرة أشد ألماً من مخلفات البترول وهل يجوز لامرأة عفيفة الطابع أن تظهر جسدها للناس . إن الأدب الظاهرى دليل الكمال الباطنى وقديماً قالوا : ما فيك يظهر على فيك .

ويحاول الدكتور مؤنس الاعتماد على كتاب الأغانى (للأصفهانى) كمرجع أساسى للتاريخ الإسلامى الماجن كما يعبر الكاتب ويبدو أنه يجهل حقيقة الإسلام ويدلل على جهله بهذا التاريخ الذى كان فى عصر الحجاب ولو أنه علم حال الرجل الذى صنف الأغانى لما اتبعه أو نظر إليه ، فقد كان بذىء اللسان ، يغضب لأتفه الأشياء ويضيق من أيسر الأمور ، يطلق لسانه بلا هوادة حتى ولو كان فى أوفى الأوفياء وكان من القذارة بمكان، دنس فى ثيابه وفى نفسه ، لا يتورع عن مكروه ، اهتم بتاريخ الجانب الهزلى فزاد ليشفى غليله وتزيد ليرضى مزاجه الخليع ، ومثل الأصفهانى ساقط فى ميزان الفكر الإسلامى ونحن ننظر إلى أى رجل تحت ميزان (الجرح والتعديل) .

ويغالط الدكتور مغالطة واضحة يهدف بها إلى الطعن فى تاريخ المسلمات الأول، فيقول : إن المرأة السافرة اليوم أقرب ألف مرة إلى معنى الشرف والعفة ، وما عليه لو قرأ فضائح الجنس المنشورة صباح مساء ، ألا فليعلم أن توينبى قال : سيعانى العالم لسنين طويلة من أزمات أخلاقية يسببها الجنس وها هى ذى أوربا مجتمع الجنس والجريمة وخطف النساء وإباحة الأعراض والشذوذ الجنسى

ولا نشك أن آراء سيمون دى بوفوار بالغة الأثر فى أعماق الكاتب فهو يرى أنها المثال المحتذى لكل الناشئات ، يطالع أفكارها فى حرارة ، وحين يريد أن ينقل شعوره للآخرين يقول : (لقد قالت سيمون فى مذكراتها : إن سر نجاحها الأكبر هو أنها لم تذكر قط فى عملها أنها امرأة) ا. هـ

* * *

وعند الدكتور حسين مؤنس نجد كل العلاقات والتوجيهات : الحضارة المصرية أم الحضارات ، المرأة يجب أن تنطلق ، رأيه فى العرب واللغة العربية معروف تقول مجلة المجتمع الكويتية (٢٥ مارس عام ١٩٧٥) إن الدكتور مؤنس فاجأ المجتمع الكويتى بمقال أثار سخطاً عاماً وحاداً فقد وجه إساءات مباشرة للإسلام والشعب الكويتى — وكان يعمل هنالك — يسخر من الفضيلة والاحتشام ويروج للرقص والابتذال ويشوه سمعة مصر بتجريح نسائها ورجالها ومع ذلك يدرس الثقافة الإسلامية ويكتب تاريخ الإسلام .

كتب تحت عنوان (المرأة وسنتها العالمية) فى جريدة القبس، يدعو فيه إلى الرذيلة ويتهم فيه الذين يدعون إلى الاحتشام بالانحراف ويشبه علماء الدين بالقطط وينصب نفسه مروجاً للرقص الشرقى ، ويتجاوز كل قيم الدين فيجرى على لسان أشخاص هم من نوعه هذه العبارة :

وإذا لم يرزق الله إنساناً امرأة جميلة هل تحرم عليه أن يرى امرأة جميلة ترقص مثلا . ولا يزال يتدنى حتى اتهم نساء قومه بالخيانة واتهم رجال بنى قومه بعدم الرجولة وأن غيرتهم لا تتعدى إطالة الشوارب .

بقى أن يعرف القراء أن حسين مؤنس هو واحد من الذين تربوا على مناهج الاستشراق وتبنوا خطتهم فى تشويه تاريخ الإسلام . وهو الذى حاول تشويه حقائق التاريخ الإسلامى ، وهو يضع كتاباً تاريخياً لوزارة التربية هنا (أى فى الكويت) وتداركت الوزارة هذا الدس فحذفته ، وقد تجددت أسئلة كثيرة : هل يبقى مثل هذا الشخص رئيساً لقسم التاريخ فى جامعة الكويت وكيف يؤتمن على تدريس مادة الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية فى الجامعة وكيف يؤتمن على كتابة التاريخ الإسلامى .

إن ترويجه للرقص الشرقى ودفاعه عنه إساءة مباشرة لقيم القرآن والإسلام فكل رقص حرام لأنه يجعل جسد المرأة وبطريقة مبتذلة متعمدة محوراً لتركيز أعين الرجال . وإذا كان الإسلام يأمر بغض البصر فهل يسمح بفتح العين عمداً على امرأة ساقطة تتاجر بجسدها وتغرى بالرذيلة والانحلال .

إن الذين فقدوا هويتهم وفقدوا الإحساس بهذه الأمة لا ينبغى لهم أن يفرضوا تجاربهم الخاصة علينا « **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » .

ومن صنوف العذاب الأليم فى الدنيا إسقاط هيبة هؤلاء المجاهدين وكشفهم وتجريدهم من كل قيمة أدبية ، فلا وزن أبداً ولا احترام قط لأشخاص لا يقيمون للإسلام وزناً ويحاولون بشتى الطرق المجاهرة بعدم احترامهم لقيمه .

ما معنى أن يتهم حسين مؤنس الداعين إلى الاحتشام بالانحراف ، إن أوربا العارية فقدت مع العرى قيم المروءة والشرف وكذلك أمريكا وفى العواصم العربية التى انتشر فيها التعرى كثر فيها الفساد .

(٥)

صلاح جاهين

(العـامية)

تذرع صلاح جاهين ودعاة العامية بأكذوبة أسموها (الوجدان الشعبى) والوجدان الشعبي برىء من أضاليلهم ، هذا الوجدان الشعبي الذى نشأ وتربى وتشكل على بيان القرآن الكريم .

وقد استطالت العامية فى العقود الأخيرة فى حماية الماركسية والمذاهب الهدامة حتى عقدت مؤتمراً فى دمشق عام ١٩٥٥ يتحدث عن ازدواجية اللغة فى كل قطر عربى ويجعل من العامية لغة .

وكانت خدعة دعاة العامية دائماً هى قولهم : الكتابة بالعامية وصولا إلى الفصحى أو الكتابة بالفصحى وصولا إلى العامية .

ومنذ لطفى السيد الذى دعا إلى ذلك وما يزال هذا الاتجاه ممتداً ولكنه استطال فى السنوات الأخيرة فى ظل أزمات الفكر الإسلامى ، فارتفعت لغة الحديث العامى وحاولت العامية أن تسيطر من خلال الإذاعة والإذاعة المرئية وجرت محاولات فى الصحف لهدم الأسلوب البليغ .

ومهما حاول دعاة العامية الدفاع عنها فإنهم مضللون ، ولن يستطيعوا مهما قدموا أن يقنعوا الناس بأن للعامية بياناً أو دوراً حقيقياً ، ومهما دافع عنها من أصحاب الصحف أو كتاب القصص فإن هؤلاء جميعاً يدافعون عن الذوق العامى وطفولة البشرية وخرافات وأساطير الأمم فى سذاجتها وانحرافها عن المنطلق الحقيقى .

وإن هذا الاتجاه اتجاه تغريبى فاسد ، يعمل على حساب الفصحى وعلى حساب الكلمة البليغة والمعنى الرفيع ، وما كانت الكلمة العامية بقادرة يوماً على أداء الشعور النبيل .

ولقد كانت دعوة الشعر العامى كلها تستهدف الفصحى وتستهدف البيان العربي وما يزال دعاتها يبطنون مفاهيم خطيرة وخلفيات ضالة تحمل أهواء التغريب والشعوبية ، ولقد ارتبط الشعر العامى بالكاريكاتير وبالإثارة وعمل على خلق تيار من التغيير والحوار والأداء يجرى مع الكلمات المكشوفة والعبارات الهابطة ويصرف الناس عن القيم الإسلامية الحقة والمعانى الرفيعة .

إن دعوى صلاح جاهين العريضة بالانتماء إلى مدرسة غربية أو مدارس يثرثر دائماً بعرضها لا يغنيه شيئاً عن أنه على غير الطريق الصحيح : طريق الأصالة وأن مثل هذا الاتجاه لابد أن يموت وينطوى لأنه مضاد لنواميس الحياة والفطرة وقد انطوت من قبله كل دعوات العامية والحروف اللاتينية وغيرها .

ولاشك أن هذه المحاولات التى يرمى بها صلاح جاهين عن قوس فى كاريكاتيره اليومى لن تغنى عنه شيئاً ، فقد عرف بمحاربة الفضيلة والأخلاق والحشمة وأنه فى كل مرة يتعرض للمقدسات يمس مشاعر ملايين المسلمين ويزداد فى نظرهم مقتاً وكراهية ولن تغنيه هذه السخرية بالقيم الإسلامية شيئاً فهو مكشوف تماماً بدعوته إلى المفاهيم الماركسية المختفية تحت أستار من العصرية والفن والتى تستهدف تزييف أصالة النفس الإسلامية وتؤدى إلى تدمير المجتمع ، وأبرز ذلك سخرياته وأغانيه وعاميته ودعوته لكتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية .

ومهما دعا إلى العامية فإنها دعوة قد تجاوزها الزمن ، وكل نتاجها محكوم عليه بالفناء ، بعد جيل أو جيلين ، أما التراث الخالد فهو التراث المكتوب بالفصحى ولن تتحقق أهواء دعاة العامية وذلك لأن العامية لا تستطيع أن تنقل إلى المثقفين الأغراض الأدبية والفنية .

إن هؤلاء القوم لم يقرأوا فكرنا ولا تراثنا ولكنهم نشأوا على مفاهيم مكسيم جوركى والمتشائمين من الغربيين وقد وجهوا وجهة معينة تستهدف زرع ثمار مسمومة فى تربتنا مثل دعوتهم إلى (الحب مش عيب) وغيرها من المفاهيم التى تتعارض مع معانى الفضيلة والخلق الكريم .

ولذلك فهم دائماً مصابون بخيبة الأمل ، ومعدودون فى صف الخارجين على هذه الأمة .

(٦)

يوسف إدريس

(التغريب)

تتسم كتابات يوسف إدريس بالجده والاندفاع والعنف مع قلة المحصول والغرور والثرثرة وضعف الرصيد الثقافى ، فضلا عن تدنى الأسلوب ،وعدم القدرة على الأداء الأدبى الصحيح .

فإذا أضفنا إلى هذا طابعه الفكرى الماركسى والعلمانى والاباحى الذى لا يقر معهأى معنى من معانى الأخلاق أو احترام القيم أو الأصالة الفكرية إلى أى مدى تكون كتاباته غير ذات قيمة حقيقية .

ولقد بدأ يوسف إدريس من كتابة القصة وهو مجال مفتوح لكل من يستطيع أن يقرأ قصة أجنبية أو يترجمها ، وكان لاتصاله بالدكتور طه حسين كطبيب أثراً فى تنويه طه حسين به ، ومن هنا جاءت الشهرة أما القيمة الحقيقية فلا توجد ، إلا من حيث أن كتابات القصة فناً قائماً على التقليد والتبعية للفن الغربى وليس له أى جذر عربى أصيل ، من هنا كان إعجاب كتاب الغرب بما يكتب بوصفها بضاعتهم ردت إليهم . ولقد كانت صيحته فى الهجوم على التراث الإسلامى والعربى أكبر دليل على عجزه عن فهم هذا التراث أو الاتصال به أو معرفة قيمه الحقيقية ومن جهل شيئاً عاداه ، ولقد كانت الماركسية حريصة على أن تسىء إساءات واضحة إلى كل قيم الفكر الإسلامى وخاصة التراث الذى أنشأ ذلك الفكر الإسلامى الذى يقدره قدرة رجال الغرب المنصفين ويتجاهله أهله المنكرين له من أصحاب الأسماء العربية .

ولا ريب أن كتابات يوسف إدريس فى مجموعها لا تساوى أكثر من حفنة من تراب ، من حيث أن هذا (الفن) الذى يدعونه لا يمثل تصوراً حقيقياً للأمة الإسلامية وإنما يمثل أهواء هذه الجماعات التى تريد أن تطرح شرائح من الإباحيات والكشف والعبارات العارية الضالةعن طريق المسرح والقصة .

إن دعوة يوسف إدريس ومدرسة طه حسين ، ولويس عوض إلى إطلاق الفن من قيود الأخلاق مرفوضة فى أفق الفكر الإسلامى رفضاً تاماً ، فالفنان ملتزم بالقيم التى جاءت بها رسالات السماء ، وقد تنزه عن هذا المذهب الضال فى الغرب كثيرون وحاربه زعماء الإصلاح من أمثال : كارليل ورسكن ، وأن اللغة العربية والفكر الإسلامى لها آدابهما القائمة حول الدعوة إلى الحق والخير ومكارم الأخلاق .

ونحن نعرف أن الذين بدأوا حياتهم فى الطفولة فى مجال تعس وشقاء ، حيث لم يجدوا ذلك المعين على الوجهة الصحيحة ، هؤلاء هم قادة الفكرة الباطلة المنحرفة ويشيد يوسف إدريس – كما يشيد بذلك أنيس منصور بأن طفولتها كانت طفولة تعسة ،يقول(لقد كان مفروضاً أن أتحول إلى عدو للمجتمع أو خارج على القانون أو إلى التفيض ، متطرف فى حبى للناس وللآخرين) وليس عداوة للمجتمع أشد من هذه الدعوة التى يحمل لواءها وهى دعوى القصة الإباحية ذات المصدر الماركسى ، وعبارته واضحة فى رفض قيم الدين (أنا لا أريد قيماً ثابتة للحياة اكتشفها الأقدمون) وهذا أمر واضح فى دعوته المندفعة الحمقاء إلى حرب التراث وهو يعنى به كل قديم ولا يستطيع أن يصرح بأنه إنما يعنى مهاجمة الدين نفسه .

وهو يصور فى آرائه هذه من تلك النظرية الضالة : نظرية المتغيرات الدائمة التى لا تعترف بالثوابت الأساسية فى الحياة والمجتمع ، وهى لباب النظرية المادية وخطأ يوسف إدريس راجع إلى أنه لا يؤمن بالوحى ، ولا بالغيب وينقاد وراء المفهوم المادى الظاهر الذى يقايس عليه الأمور تحت اسم (القيم المتغيرة) وفى ضوء هذا الاتجاه المنحرف تصدر عن يوسف إدريس آرائه التى يقدمها بعنف وعصبية ، على نحو لا يمكن أن يوصف بأنه منهج علمى صحيح وإنما هى محاولة للمغايظة ولضرب القيم الأساسية الصحيحة ولكن هيهات ، وهو فى هذا تنكر الشجاعة الإنسانية ، والإخلاص الروحى ، وبطولة الاستشهاد ويرى أن هذه جميعها قيم انتهت لأنها كانت لعصر غير عصرنا .

ومن هذا المنطلق فإن نظرته إلى التراث الإسلامى هى نظرة فاترة لأن من جهل شيئاً عاداه ولابد أن التراث الماركسى هو فى نظره أعمق وأشد

خصوبة ، والعيب أن يحصر الكاتب نفسه فى محيط ضيق ، ثم يحكم على البشرية كلها التى لم يحط بعلمها فتبدو كتاباته وهى غاية فى السذاجة والضعف ومصدراً للسخرية ولذلك فقد انحصر يوسف إدريس فى العامية ، والمصرية ، والأساطير ، والحكاية . ولقد كان واضحاً فى حديث نبيل فرج معه (كتاب مواقف ثقافية) قوله :

– ألا تؤدى حرية الإنسان المطلقة التى تدعو إليها فى بعض أعمالك إلى الفوضوية ويحاول يوسف إدريس أن يدافع عن نفسه بمزيد من عبارات التمويه الغامضة المأثورة عن الماركسيين والماديين وسوف تطوى هذه الأوراق البالية .

إن موقف يوسف إدريس من اللغة العربية ومن التراث الإسلامى سىء وهو دليل على خصومة واضحة للإسلام رعداوه واضحة لموروث هذه الأمة ، وقد وضح ذلك عند كل قرائه ولم يعد يخدع أحداً .

فالجميع يعلمون أنه يصدر عن غير (الباب الأصيل) للفكر الإسلامى وأنه من هواة الكلمة الضخمة التى تحدث الدوى من أجل الوصول إلى الشهرة تأكيداً لنفسية عاشت طفولة قاسية وذاقت من المرارة ما تريد أن تعوضه بالتبريز فى مجالات مفتوحة من التغريب والشعوبية ومعارضة الأصالة التى ينطلق إليها الفكر الإسلامى وما تزال قصصه أشبه بأحجار وصخور وأوحال وغيوم وبرق ورعد يدل على نفسية غير مستقيمة الاتجاه ، انطلقت فصدعت الكثير وأثارت أحقاد النفوس ، وتركت جراحات فى نفوس أخرى كان من نتيجة اتصالها بها أن اضطربت هى الأخرى وفسدت وهو فى انطلاقة من ذلك المنطلق المسموم ، فقد دعا إلى الإقليمية ، والإباحية ، وما أشد فساداً من عبارته (الاشتراكية ثورة دائمة) تلك النظرة القاصرة التى تعتبر أن مشاكل الإنسان قاصرة على أن يأكل أو يزاول الجنس ، ولقد كانت بطولات قصصه فى العقد الأسود من حياة مصر عقد الستينات ممثلة فى فرفور الذى تقوم بطولته على التمرد حتى القوانين الطبيعية حتى وصفه الكثيرون بأن دعوته إلى الحرية المطلقة تدعو إلى الفوضوية والمغالاة ، وتصوير الجنس إيماناً بما آمن به الخاسر فرويد من أن الجنس هو المحرك الأعمق الذى يدفع للبحث عن الطعام والشراب فهو فى مفاهيمه خليط عجيب بين الاشتراكية والوجودية وهو فى مجموعة دليل على صدع واضح فى الفهم والعقل .

(٧)

أنيس منصور

كشف أنيس منصور عن حقيقته وعن هويته بمذكراته عن العقاد ، فقد كانت تاريخاً لحياته وأفكاره وهى ترسم صورة أنيس منصور الذى دار على جميع جمعيات مصر ، التصوف والماسونية والشيوعيين والبهائيين ماذا كان يفعل وهل كان يحمل ثمار هذا كله إلى أحد غير الأستاذ العقاد ، هذه القراءات المهلهلة ، والكتابات المملولة ، التى كشف بها عن هويته منذ الأربعينات والتى كانت وراء قناع من الفلسفة والعلم ، والحديث دائماً عن المفاتيح التى قدمتها الماسونية للناس لاحتوائهم : الموسيقى والرقص والغناء ، هذه الجماعات المنطلقة إلى اللهو فى كل مكان ، فى الأندية والرحلات والتى يدفعها الشيطان دفعاً بتلك الأيدى الماسونية القذرة التى تكتب وتترجم عشرات من الكتب الإباحية والمسرحيات والأغانى ، هذا الفن الذى يقدسونه وهذا الحب الذى يجعلونه قاسماً مشتركاً على كل المسرحيات والفنون والاستعراضات .

إن مذكرات أنيس منصور عن العقاد تكشف جانباً جديداً من الأثر العميق الذى أحدثه التغريب فى جيل أنيس منصور ، هذه الفترة الحافلة بالفرق الصوفية والبهائية وشهود يهوه والفلسفة ، هذا التحرك الذى كان يتحركه أنيس منصور يوحى بأشياء كثيرة ، لماذا هذا الحرص على معرفة كل ما يدور فى هذه الأماكن والتجمعات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار . وقد أوضح أحد الباحثين أن أنيس منصور كان فى كلية الآداب قسم الفلسفة تلميذاً لأحد اليهود ، هو بول كراوس وأن علاقته بالفكر الأممى والتلمودى بدأت من ذلك الوقت وقد أدى دوره فى كتابات استمرت أكثر من خمسة

عشر عاماً فى الصفحة الأخيرة من أخبار اليوم ما تركت كتاباً من كتاب الجنس أو الإباحة أو الانحلال إلا لخصه وترجمه وقدمه .

ولعل قصة ظهور أنيس منصور فى الصحافة معروفة ، فهى إدخاله إلى مصر لعبة السلة التى يكتب القلم بها بدون يد تحمله . إن قيمة أنيس منصور الحقيقية هى رحلته إلى بلاد السحر والخرافة وتقديمه خير ما وجد هناك مما أهله ليفوز بلقب رئيس تحرير مجلة الجيل الجديد، وتسويد مئات الصفحات بحكايات الجنس والأزياء وتحضير الأرواح والعلاج بالإبر الصينية ورقصات الشعوب وحفلات الزار وقصص الغرام والكنائس التى تحولت إلى متاحف تجتذب السائحين .

وكان دفاعه عن الخمر التى تحملها الطائرات أبرز أهدافه ، إذ كيف تترك الطائرات الخمر وتتعرض للخسارة وتفقد سمعتها بين شركات الطيران العالمية ، يتباكى أنيس منصور بشأن خسارة شركة الطيران العربية بسبب الخمور ، ولقد كان مروجاً لدجل الدجالين من مدعى علم الغيب من الفلكيين الذين يزعمون لأنفسهم عبقرية خاصة فى معرفة الغيب ، وقد تبين أن كثيراً من هذه التنبؤات كاذبة وأنها قد وضعت للإثارة ولترويج الصحف ، ومن قبل كان أحد التوأمين يكتب (بختك اليوم) ، بل أن إسماعيل النقيب يسجل فى جريدة أخبار اليوم (٨ ديسمبر عام ١٩٨٠) أن كتاباً صدر عن هذه التنبؤات بقلم أحد الفلكيين الذين وصفوا بالعبقرية (العبقرى الفلكى) ، وقد كتبه أنيس منصور بخطه :

قال أنيس منصور : إنى كنت أريد بعد أن أشهره أن أستفيد منه فى توزيع آخر ساعة عندما كنت رئيساً لتحريرها وقد اكتشف مدير مطابع بأخبار اليوم أن كتاب هذا الفلكى مكتوب بخط أنيس منصور الشهير جداً عند عمال المطابع وقد احتفظ إسماعيل النقيب بهذه التنبؤات ، ثم كشف كيف أنها كانت كاذبة تماماً فلم يمت عام ١٩٨٠ أبو رقيبة ، أو الخمينى ، أو يوسف وهبى ، أو برجنيف .

وبعد : فإن الصحافة هى المسئولة عن ترويج هذا النوع من دجل الدجالين ولن يغنى أن يكتب مقال لدحض هذه الشبهات إزاء ذلك القدر الواسع اليومى المستمر فى عشرات الصحف .

لقد كان أنيس منصور كما صور نفسه كرة فى كل شبكته ، يقول : اتجهت إلى الفلسفة وبهرتنى وأطاحت بى بعيداً جداً عن أى شىء فأخذتنى ولعبت برأسى وقلبى ، فأصبحت ورقة فى مهب الريح ، فأنا أجلس فى حانة الفلسفة وأشرب كل ما يقدم لى ، كل شىء جديداً وكلها أسلحة فى يدى أطلقها على المقلسات ، كتاب عبد الرحمن بدوى (من تاريخ الإلحاد فى الإسلام) اعترض طريقى وطمس عينى وتشعبت تحت قدمى السبل، هذا هو الضياع ، ومنذ ذلك الوقت وما زال أنيس منصور غارقاً فى الوحل !

يقول الأستاذ مصطفى الحولى : أيام حكم الطاغوت فى مصر كان يسلى الناس بحكايات عن الجدود والعمالقة وسفن الفضاء والصواريخ التى صنعت قبل العصر الحجرى أو بعده أو صنعتها مخلوقات فى عوالم أخرى ، ثم بعد ذلك أو قبل ذلك كتب مقالات عن العفاريت والأشباح والأشجار التى تمتص دماء البشر « . . . وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم . . . » .

ما هو عجل أنيس منصور ؟ هل كل الفلسفات الأرضية منتهياً بالوجودية المادية الحديثة ، ويخلط ذلك فى مقاله بالإسرائيليات والأفكار الدينية الموضوعة ويأخذ من هذا الخليط قصص القرآن ويمزجها به دون فواصل أو حدود ويستشهد بآيات من كتاب الله فى ثنايا مزيج فكرى موبوء ، ويتطاول على مقام الأنبياء والمرسلين ، ويتحدث عنهم كما يتحدث أى مفكر غربى عن أبطال الأساطير الوثنية .

زار الفيلبين فى خدمة الصليبية الكاثوليكية وأعطى صورة مشوهة عن ثورة المسلمين فى الفيلبين وتحدث عن الولائم التى كانت تقام له . وقال عن ثورة المسلمين ما لا يتفق مع الحقيقة التى اوئتمن الصحفى على عرضها بين الناس ، ولا ينسجم مع الصدق الذى يعرف به الرجال ، وقال : إن المسلمين قتلوا لأنهم متمردون على السلطة ولأنهم يطالبون بالانفصال لأنهم واقعون تحت تأثير عناصر غربية ، وأن أية دولة من حقها ، بل من واجبها أن تحمى نفسها وتحمى شعبها ، والحقيقة أن المسلمين قتلوا فى الفيلبين لأنهم مسلمون . قد تكالبت عليهم القوات الصليبية الحاقدة وأرسل المبشرون بالنصرانية إلى مناطقهم وهم لا يتأثرون إلا بالإسلام وحده وعواطفهم مع الدول الإسلامية . لهذا كانوا ما زالوا يقفون إلى جانب العرب فى حربهم

مع إسرائيل ويحاربون ولاء ماركوس للصهيونية وفضح أنيس منصور نفسه عندما سجل أسئلة المسلمين وأجوبته ، فقد تبين أنه لم يزر أى مدنهم ولم يقابل أى من رجالهم ، ولم يذهب إلى جزيرة سولو ، وشأن أنيس منصور فى ذلك شأن كل الوفود ، رأى كل شىء من خلال ماركوس وأنصاره ، ولم ير المناطق الإسلامية ولا الثوار المسلمين . إن أنيس منصور قد ذهب للمتعة والزيارة ، للفندق المريح ، والطعام الفاخر ، ومناظر النساء ، وماله والحرب ، والمصدر الوحيد الذى يأخذ كلامه منه هو ماركوس ، وحكومته وأرسلت زوج ماركوس مليون جنيه لأحد المسئولين فى مصر أثناء انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية وكانت الهدية بعد زيارة نسائية لمصر ، هذه الهدايا الظاهرة والمستترة يراد بها طمس الحقائق وتضليل المسلمين ا . هـ

* * *

الفصل السادس

دعـــــاة الشعوبيـــــة

١ – أتباع ديوى : (إسماعيل القبانى ، وعبد العزيز القوصى) .

٢ – محمدأحمد خلف الله .

٣ – عبد الرحمن بدوى .

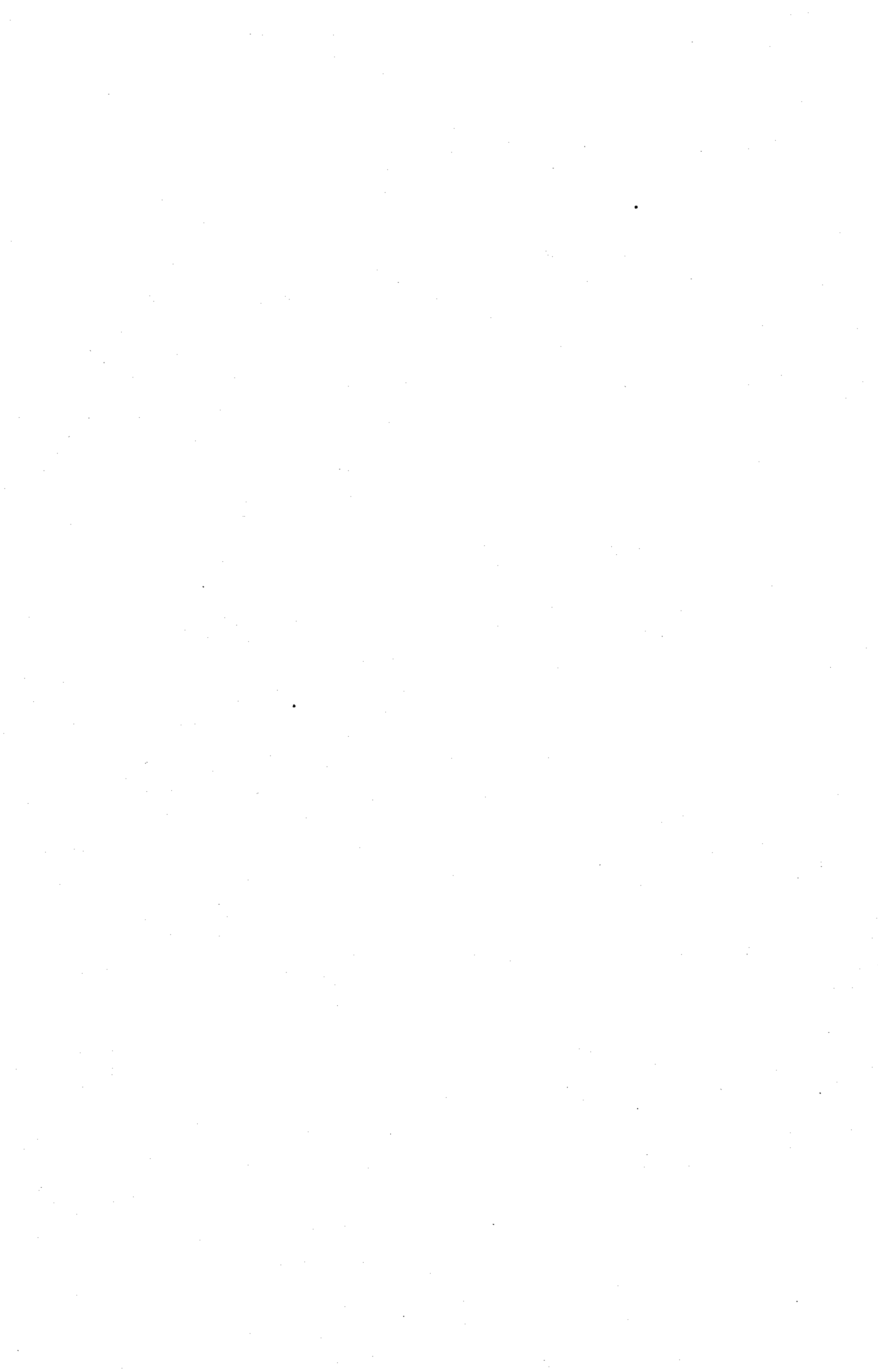
٤ – غالى شكرى .

٥ – زكى نجيب محمود .

٦ – عبد الرحمن الشرقاوى .

٧ – عمر عبد العزيز أمين .

٨ – صلاح عبد الصبور .



(١)

مناهج التعليم : (أتباع ديوى)

(إسماعيل القبانى ، عبد العزيز القوصى)

بعد أن ركز (دنلوب) أسلوب العمل فى وزارة (المعارف) نشأت مدرسة موالية سرعان ما اتصلت بالفكر التربوى الغربى ، وتركزت حول نظرية (ديوى) تحت ظلال كليات التربية .

وقد اشترك إسماعيل القبانى مع عالم النفس السويسرى ادوارد كلاياريد الذى جاء مصر لإنشاء معهد التربية عام ١٩٢٩ الذى حمل لواء الفكر التربوى الغربى الوافد ، وكان لنجاحه أبعد الأثر فى أن ولى وزارة المعارف فى صيف ١٩٥٢ ، لقد دأب على تكوين جيل أو مدرسة فكرية واصلت عملها فى المراكز القيادية فى معاهد وكليات التربية والمعلمين فى مصر والعالم العربى . وعلى أيدى هذه المدرسة تخرجت أجيال عديدة .

وكان الصراع قوياً بين القبانى ممثل المدرسة الأمريكية وبين طه حسين ممثل المدرسة الفرنسية وكلاهما يطمع فى أن ينصهر شباب العرب والمسلمين فى دائرته ليكون على ولاء لأى الثقافتين وكانت مفاهيم الثقافيين معارضة تمام المعارضة لمفهوم التربية الإسلامية . كانت نظرية طه حسين فتح أبواب التعلم على مصاريعها وكانت نظرية إسماعيل القبانى الاقتصار على ذوى الكفايات والقدرات .

المهم أن كلا الرائدين لم يكن يؤمن أبداً بمفهوم التربية الإسلامية الذى يقوم على بناء المسلم على أساس الإيمان بالله وأن للمسلم رسالة هى الاستخلاف فى الأرض وبناء الحياة فى إطار العمل لقيام المجتمع الربانى مؤمناً بالمسئولية الأخلاقية والجزاء الأخروى .

هذا المعنى كان بعيداً جداً عن مفهوم التربية فى المدرسة الحديثة .

إن المفهوم الذى تحمله أهداف التربية الحديثة مفهوم إقليمى قاصر على الوطن الضيق ، وقاصر على المفاهيم العلمانية المحدودة فى إطار العمل والثروة ومشكلات المجتمع المحدودة ، فى دائرة ضيقة بينما يتجه المفهوم الإسلامى للتربية إلى أفق واسع . إن نظرية ديوى فى التربية تقوم على أساس من نظرية فرويد من أن الإنسان حيوان ، وأن الجنس مصدر (دوافعه) وأن توجيه الطفل يؤدى إلى العقد ، وهكذا وكلها فروض لم تثبت وأثبتت التجربة فسادها بل أن مذهب ديوى نفسه قد تخلى عنه التربويون الغربيون ، ولكنه لا بأس بتصديره إلى بلاد الإسلام لتحطيم مقومات الأمة ، ويسير عبد العزيز القوصى فى نفس الاتجاه : وهو صاحب طريقة شرشر التى ترمى إلى هدم اللغة العربية الفصحى ، وتعمل على تبسيط اللغة وتطويرها وكلها محاولات لفصلها عن بلاغة القرآن وبيانه :

ومن أجل هذا عين القوصى مستشاراً للتعليم عام ١٩٥٠ — ١٩٦٠ ولما ذهب إلى باريس عين سفيراً فى منظمة اليونسكو ، ثم كلفته اليونسكو بإنشاء مركز تخطيط التعليم للدول العربية فى بيروت واختير مديراً له .

* * *

يقول مؤلف كتاب (الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب) : إن أبرز مظاهر مذهب ديوى فى التربية هو إبعاد الدين عن مجال التربية ، هدفه هو إبعاد المسيحية عن برامج التعليم الغربى . وقد قصد الاستعمار إلى فرض هذا المذهب فى دراسات مدارس المعلمين العليا التى كانت مجال تخريج رجال التربية فى مصر لعزل الإسلام عن مناهج التعليم ورأى فى هذا عوضاً عن الإشراف البريطانى على التعليم ، الذى كان يقوم به دنلوب حتى عام ١٩٢٢ وكانت نظرية (ديوى) عماد المنهج التربوى بعد ذلك وكان إسماعيل القبانى هو عماد هذه الدعوة وحامل لوائها بإنشاء معهد التربية وليس أدل على اضطراب نظرية ديوى من أنها هوجمت فى أمريكا نفسها ورميت بأنها (مجردة من العناصر الصالحة لتنشيط الحياة الفكرية) . وقد ظل لأتباع نظرية ديوى سيطرتهم الكاملة على أنظمة التربية والتعليم فى مصر خلال الفترة التى تؤرخها وبذلك استطاعت أن تبعد الإسلام عن مجال

التربية والتعليم مع حملات مستمرة على أساليب التعليم الأزهرية وإبعاد خريجيه عن مجالات التربية بحجة أطلق عليها (النقص فى مستوى الكفاية الفنية للتعليم) وذلك جرياً مع الهدف التغريبى الواضح . كما حرصت هذه المناهج على حجب الدراسات الوطنية والتاريخية التى تعمد إلى بث أمجاد الأمة وعظمة الشخصية العربية فى نفوس الطلاب.وقد خلت البرامج فى المدارس والمعاهد العربية فى عهد الاستعمار البريطانى والفرنسى فى مرحلتيه : مرحلة الحماية ، ومرحلة الاستقلال الذاتى من :

١ — الثقافة لإسلامية والتاريخ الإسلامى .
٢ — القرآن والدين الإسلامى .
٣ — أصول اللغة العربية وفلسفتها .

وأشار الدكتور محمد البهى فى كتابه (الأزهر فى تكوين الكتلة الثالثة) إلى أن اتباع ديوى فى مصر ومن قبلهم دعاة الاستعمار باسم الثقافة والتربية — يهدفون إلى إبعاد الإسلام عن مجال الحياة ومن مناهج التربية ، والغض من الأزهر والنيل من كرامته والتصدى والتحدى لما يعكف عليه من تراث ، وما تميز به تاريخ مصر وتاريخ العالم الإسلامى من توفر على دراسة الإسلام . وإن نداء اتباع ديوى فى مصر بالواقعية فى المناهج الأزهرية هو استرسال فى حملة الاستعمار على الأزهر وعلى الإسلام ، فالأزهر هو عقبة الاستعمار وسيبقى عقبة لهؤلاء الذين ينادون بالواقعية الديوية ، ونحن نريد من اتباع ديوى فى مصر أن يكونوا واقعيين يعيشون فى المجتمع المصرى ويقطعون تبعيتهم للمجتمع الغربى وعندئذ سيدركون أن الأزهر واقعى لأنه يعنى بالإسلام وبتراثه . إنهم ساعة ينادون بواقعية أوجست كومت فى مصر انفصاليون يحاولون فصل مصر وعزلها عن مجموعة الشعوب الإسلامية الأخرى ويحاولون بالتالى عزل مصر عن قيادة العالم الإسلامى قيادة ثقافية

ويقول : إن ثلاثين عاماً أنفقها أتباع (المربى التقدمى) : جون ديوى فى محاولة (الانسجام مع الحياة) قد أبعدت التربية الأمريكية عن مرحلة (الانسجام) وتركتها مجردة من العناصر الصالحة لتنشيط الحياة الفكرية .

* * *

(٢)

الدكتور محمد أحمد خلف الله

(الشعوبية)

كشف أخيراً الدكتور محمد أحمد خلف الله عن موقفه عندما أعلن انضمامه لحزب التجمع ، وقد كنا فى حيرة لمعرفة هويته التى كان يصدر عنها فى مواقفه منذ كتب الفن القصصى فى القرآن ، ثم توالت كتاباته عن مفهوم الدولة فى الإسلام ومحاولته تزييف المفهوم الأصيل للإسلام : ديناً ودولة ودعوته فى مجلة آفاق عربية (شباط عام ١٩٧٦ (إلى ترتيب جديد لسور المصحف الشريف . وهى دعوى سبق إليها لمستشرق بهل والأستاذ أمين الخولى) الذى وجهه فى رسالته عن الفن القصصى للقرآن ، وهكذا ينتظم عقد متصل من محاولات التغريب والشعوبية ، وقد رد الأستاذ جلال الحنفى على دعواه الخاصة بترتيب القرآن حسب نزوله فقال : من الحقائق التى تثبت سلفاً أن القرآن الكريم ليس كأى من كتب التاريخ التى تعنى بربط الأحداث بالأعوام والأرقام وتوثيق الوقائع بأسماء الأشخاص والأماكن وغير ذلك فإن القرآن جنب نفسه هذا الاختصاص . كان غالب أسلوب القرآن فى عرض الأمور التاريخية منصرفاً إلى إهمال القصد التاريخى والجغرافى كل انصراف فهو لم يعين فى قصة أهل الكهف موقع الكهف ولا عدة من لجأ إليه من الصبية الهاربين بعقيدتهم ، ولا ذكر أسمائهم ولا زمن وقوع الحادث ولا العهد الذى عادوا فيه إلى المدينة ثانية ولم يكن من دأب القرآن الإشارة من قريب أو بعيد إلى أوصاف الناس وانتماءاتهم القبائلية والجنسية .

لذا لا نرى فيه شيئاً من أسماء الأقوام والأجناس البشرية اللهم إلا ما جاء فى الآية القرآنية « **غلبت الرومَ . فى أدنى الأرض . . .** » .

إن القرآن تحاشى هذه الملامح حماية لمبدأ الأممية المقدسة فى مذهبه من أن يمس بضروب من التمييز العنصرى وهو دين الإنسانية جمعاء .

* * *

ولقد ظهر فى الفترة الأخيرة ما يسمى مدرسة أعداء الشريعة الإسلامية وهم تلاميذ الدكتور عبد الحميد متولى الذى أولى اهتماماً كثيراً بآراء الشيخ على عبد الرازق ، فتابعه فى هذا كثيرون منهم خلف الله والنويهى وغيرهم وكذلك مضى خلف الله إلى مهاجمة كل مقومات المنهج الإسلامى : فهو فى مقاله فى الطليعة (جريدة الماركسيين فى مصر) تتحدث عن ما ادعاه من ترك الإسلام لجماعة المسلمين أن يختاروا لكل عصر من النظم ما يلائم حياتهم فى الوقت الذى يعيشون فيه حتى لا تتجمد الأمة الإسلامية على نظام واحد وأن وظيفة الدولة فى القرآن هى تحقيق الصالح العام على أساس من الحق والعدل والصالح العام بما يتحقق بدفع الضرر عن جماعة المسلمين وجلب النفع لهم ثم يقول إن القيم القرآنية هى القيم التى نادت بها الاشتراكية فيما بعد .

والحق أن نظرية خلف الله مضللة ، وزائفة وأن الإسلام يختلف تماماً عن الأيدلوجيات البشرية وأن نظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى الجامع ، بإقامة حدود الله تماماً فى كل عصر وجيل وبيئة ، أما الذى يسمح به المنهج الإسلامى فى التطبيق فهى التنظيمات التى لا تخرج عن قواعده الثابتة ، أما الخضوع للمناهج البشرية الموجودة الآن فذلك هو الضلال المبين وأن شرط تحقيق الصالح العام فى الإسلام هو تطبيق شريعة الله التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم وأقام عليها الدولة الإسلامية والحكومة الإسلامية التى ظلت قائمة حتى حجبها النفوذ الأجنبى عند احتلال بلاد العالم الإسلامى حيث فرض قانونه الوضعى القائم الآن والتى يجب على المسلمين أن يرفعوه ويعودوا إلى منهجهم الأصيل .

وأن هذه المحاولات التى تسوقها هذه المدرسة بتبرير القانون الوضعى بأنه قريب من الشريعة أو أنه يمكن تعديله أو إدخال نصوص عليه ، فهذا كله لا يغنى عن العودة عودة صحيحة جديدة إلى تطبيق الشريعة بإنشاء قوانين جديدة فى التجارة والاقتصاد والسياسة والعقوبات والحدود وفق ما جاء به الإسلام .

كذلك يبرر خلف الله فكرة القومية العربية التي طرحها ساطع الحصري وميشيل غفلق ويدعى أنها حركة إسلامية ، والواقع أن القومية العربية ـ كما يقول دكتور محمود رشوان هي فكرة طرحها الاستعمار الغربي في أوائل هذا القرن رافعاً شعار العلمانية لتفريق الأمة الإسلامية وتمزيقها بعد أن أعيته الحيلة في ذلك وقد نجح إلى حد ما ، وما نراه الآن من تفرق وانهزام وذل ما هو إلا نتيجة لتبني هذه الفكرة الوافدة (مارس عام ١٩٧٦) الطليعة .

أما قول خلف الله بأن الدولة قد ترك تنظيمها للناس وأن ما يسمى بالتنظيم الأوربي لا يجب ربطه بالدين فإن هذا يعني أحد شيئين ، إما جهل بوجود فكر إسلامي سياسي ومنهج إسلامي جامع يقود الدولة وتنظيم الأمة وأما أنه يموه تمويهاً خطيراً ليخدع بعض البسطاء على طريقة الشعوبيين والماركسيين والتغريبيين في كل وقت وآن ، والآن قد عرفنا أن الدكتور خلف الله معتنق لمذهب الماركسية والتفسير المادي للتاريخ .

ملحوظة : (نناقش في فصل الشريعة الإسلامية أراء جديدة للدكتور خلف الله).

* * *

(٣)

عبد الرحمن بدوى

(الفلسفة الوجودية)

حرص الدكتور عبد الرحمن بدوى أن يكون بوقاً لكل التيارات والصيحات الفكرية الوافدة فقد حرص على ترجمة الفلسفات اليونانية القديمة والمعاصرة الحديثة ، وعنى بالكشف عن دعاة الحلول والاتحاد والمزيفين لمفاهيم الإسلام تحت اسم التصوف والفلسفة أمثال الحلاج والسهروردى وابن سبعين وابن عربى . ولم يتوقف عند هذا الحد فكان مترجماً لفكر سارتر داعياً إلى وجودية عربية ، بل كانت كتب سارتر تنشر فى وقت واحد فى باريس وبيروت بفضل ترجمات عبد الرحمن بدوى لها .

وكانت أطروحة الدكتوراة التى تقدم بها عام ١٩٤٥ عن الوجودية (الزمان الوجودى) ، وكان مشرفاً عليها عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى أعطاه لقب فيلسوف فهو خليفة هيدجر وياسبرز وسارتر وميرلوبونتى ومارسيل وكيركجارد فى هذا المجال. قال عنه عبدالفتاح الديدى أنه تعرف إلى المستشرق اليهودى بول كراوس الذى وجهه هذه الوجهة (هو الذى أمد عبد الرحمن بدوى بالزاد الفكرى الغربى الكبير وعرفه بمجالات البحث فقام عبد الرحمن بدوى بترجمة أبحاثه إلى العربية وخاصة كتابه الأثر اليونانى فى الحضارة الإسلامية .

لقد كان إتجاه بول كراوس اليهودى وتلميـــذه عبد الرحمن بدوى إلى التراث المنحرف المضطرب المتصل بالفكر اليونانى وأثره فى كتابات أمثال أبو البركات البغدادى وفخر الدين الرازى وكان اهتمامه بالخوارج والصوفية والباطنية فأصدر ما لا يقل عن ١٥٠ كتاباً فى الفكر اليونانى والفلسفة المعاصرة وحقق كثيراً من المخطوطات القديمة فى هذا المجال .

وعبد الرحمن بدوى ثمرة ناضجة من ثمار التغريب ، من ذلك الرعيل الذى شكله الاستشراق اليهودى وطه حسين ومدرسة التغريب والتبشير ، وقد صنع هو جيلا من الشباب فى مقدمتهم أنيس منصور .

هؤلاء الذين لم يقبلوا صيحة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى فهم للفلسفة الإسلامية على النحو الذى عرفه تلاميذه ، أمثال الخضرى والنشار وغيرهم الذين كشفوا زيف مدرسة (ابن سينا – الفارابى) ، وكشفوا صلتهم بالدعوة الباطنية واضطراب مؤلفاتهم فى مراجعها اليونانية التى نسبوها إلى غير مصادرها الأصلية والذين تأثروا بالتفسيرات المنحرفة التى وضعها النساطرة لترويج مفاهيمهم الكنسية . لقد استبان لهم الطريق الصحيح ولكنهم تجافوه ورغبوا إلى طريق التغريب .

* * *

(٤)

غالى شكرى

(التراث)

يحاول غالى شكرى حين يتحدث عن التراث أن يتحدث عن التراث الفرعونى والبابلى والفينيقى وتراث العصور القديمة ويرى أن الفلكلور جزء من التراث . وهو يحاول أن يضع المصريين والعرب أمام هذا الزكام المختلط المضطرب جميعه وينسى أن الإسلام قد أحدث انقطاعاً حضارياً بين عصر ما قبل الإسلام وما بعده وأن المسلمين منذ أربعة عشر قرناً قد كونوا تراثاً إسلامياً خالصاً مستمداً من معطيات الفكر الإسلامى وحده وأنهم قد قالوا الكلمة الفاصلة بالنسبة للفكر البشرى والوثنى والمادى والإغريقى القديم الذى كان خليطاً من الخير والشر والحق والباطل والذى جاء القرآن الكريم لتقييمه وتصفية موقف الإنسانية منه نهائياً .

وقد كشفت الدراسات عن أن الحضارات الفرعونية الفينيقية والآشورية والبابلية كلها كانت ثمرة موجات عربية خرجت من الجزيرة العربية وانداحت فى هذه المنطقة وأنها كانت استمداداً من دعوة الحنيفية الإبراهيمية وما يزال كل إيجابى فيها مستمد من هذه الدعوة التى امتدت حتى تكاملت بالرسالة التى حملها محمد صلى الله عليه وسلم والتى صححت أخطاء ومغالطات وتحريفات اليهودية والمسيحية .

أما إحياء التراث على النحو الذى قدمه التغربيون الذين يعتز بهم غالى شكرى فهو عمل باطل ومضلل فقد فتح الطريق إليه الدكتور طه حسين بكتاباته المسمومة فى هامش السيرة والفتنة الكبرى وسار على نهجه عبد الرحمن الشرقاوى فى كتابه محمد رسول الحرية ومحمد عمارة فى (مسلمون ثوار) وأحمد رشدى صالح فى كتابه اليمين واليسار والإسلام ، وهذه كلها صفحات

مظلمة استعمل فيها التفسير المادى للتاريخ ولم يستوعب مفهوم الإسلام الحقيقى وكان كتابها على عداء وكراهية من مفهوم الإسلام الصحيح وقد قصدوا إلى تزييفه ولم يكن التقدميون فى استلهام التراث على هذا النحو إلا خصوماً للإسلام كذلك فإن توفيق الحكيم فى استلهام الميراث فى الملك سليمان وأهل الكهف كان معارضاً لمفهوم الإسلام والقرآن ، وكاتب كتابات مأساة الحلاج لصلاح عبد الصبور مستمدة من مفاهيم الاستشراق وكذلك الحسين ثائراً وشهيداً لعبد الرحمن الشرقاوى . وقد ووجهت هذه الكتابات بالرد المفحم على انحرافاتها وأخطائها وأهمها أن أصحابها لم يستوعبوا مفهوم الإسلام الجامع بين الوحى والعقيدة والشريعة وإنما صدروا عن مفهوم الإسلام على أنه حركة إصلاحية بشرية وليس ديناً منزلا وهذا هو خطأهم الأكبر ، وهو الذى يرضى غالى شكرى حين يرى الأقلام العربية هى التى تهدم الإسلام .

وإذا كانت قصة التراث قد طرحت بعد هزيمة عام ٦٨ فإن المفهوم الحقيقى لها أن المسلمين خرجوا عن مفهوم الإسلام الأصيل حين التمسوا أسلوب العيش الفردى وخدعهم الاستشراق والتغريب بأن أسلوب الغرب هو الوسيلة الصحيحة للوصول إلى الحرية والتحضر ، ونسوا أن المصدر الأصيل للنصر والتمكن فى الأرض هو التماس مفهوم الإسلام الجامع الصحيح الذى تجاوزه المسلمون حين قبلوا الأسلوب الغربى فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية . ولم تكن مفهوم المسلمين للتراث يعنى الأنغلاق على النفس أو الاكتفاء بالذات ولكنه يعنى أساساً الحفاظ على الذاتية الإسلامية من أن تنصهر فى بوتقة الحضارة العالمية التى ترمى إلى إزالة هذا التميز الخاص الذى يجد فيه المسلمون قوتهم وقدرتهم وفى مقدمة ذلك التوحيد والعدل والأخاء الإنسانى ومفهوم الجهاد الذى هو فريضة ماضية إلى يوم القامة .

ولقد فرق المسلمون دائماً تفريقاً واضحاً عن الميراث الذى هو دين الله الحق المنزل (القرآن والسنة) وبين التراث بمفهوم الفكر الإسلامى الذى صاغ هذه المفاهيم وقاوم عمليات الغزو والتغريب على مدى العصور وهم لم يعطوا تراثهم ولا تاريخهم قداسة معينة ، ولكنهم جعلوه ضوءاً كاشفاً أمام الأحداث وإنما استمسكوا حقيقة بميراثهم الذى يقوم على مفهوم جامع للروح والمادة

والعقل والقلب والدنيا والآخرة ، والذى صيغ فى أطر واسعة مرنة قادرة على تقبل تغيرات الأزمان واختلاف البيئات ، ولقد كان منهج المعرفة الإسلامى جامعاً بين الثوابت والمتغيرات ، بين الإلهى والبشرى ، وقادر على العطاء وتقبل التطور والتغيير فى الجزئيات ، أما بالنسبة للأصول الثابتة وحدود الله فقد ظل قائماً ثابتاً راسخاً لم يتغير . وأن المسلمين يفهمون التقدم على أنه تقدم جامع بين الروح والمادة ، وهم لا يضحون بقيمهم ولا بذاتيتهم فى سبيل الحصول على تقدم مادى، ولا يخضعون الأصل الإسلامى ليكون مبرراً للحضارة فى انحرافاتها ، أو موئلا للواقع الاجتماعى الفاسد ، ولكنهم يطلبون إلى المجتمعات أن تصلح نفسها وتغير مسلكها لتوائم نفسها مع مفهوم الإسلام الثابت الأصيل .

* * *

حول قضيـــة .. التـراث

من أخطر محاولات التغريب الفصل بين التراث المتقدم للأمم والثقافة المعاصرة بحيل وأساليب خادعة وكلمات براقة كالتطور وروح العصر والتجديد وكلها ترمى إلى إخضاع التراث وإعطاء العصر حق القبول من الرفض بحيث يسقط دوره الحقيقى الذى يجعله مناراً هادياً وضوءاً كاشفاً للأجيال حتى لا تنحرف عن طريقها الأصيل وذاتيتها الحقيقية التى شكلتها منذ قرون طويلة ، وخاصة إذا كان هذا التراث كالتراث الإسلامى الذى يصدر عن عقيدة ربانية ومنهج أصيل .

ومن هنا تصطنع تلك المحاولات لانتقاص التراث ووصفه بأنه قديم وبأنه مضطرب وذلك فى محاولة للقول : بأن المجتمعات تستطيع أن تزيح هذا التراث وتبتكر من الحلول والأوضاع الجديدة المتفقة مع روح العصر وطبيعة التطور ما تشاء دون الخضوع للتراث أو استملاء روحه ، والواقع أن الذين يرون فى التراث ضوءاً هادياً ومناراً كاشفاً للأمم حتى لا تضل طريقها ولا تنفصل عن ذاتيتها وقيمها لا يطلبون الخضوع للصور أو الأوضاع أو الحلول التى عاشها أصحاب التراث من قبل ، فذلك مما لا يطالب به إلا جاهل لتطور الأزمان والبيئات ، ولكن القصد هو أن لا يختلف عن الطريق ، أو ينحرف عن الجادة الحقيقية ، ولا ريب أن خصوم التراث لا يستطيعون أن يعلنوا معارضتهم له فى صراحة (لأنهم يعلمون أن كلمة التراث أو القديم تحمل فى أطوائها ذلك المنهج الأصيل الذى هو من صميم العقيدة) والذى يرسم الطريق أمام الأمة فى حركتها إلى الأمام وفى تطورها وفى تقدمها فهو لا يحول بينها وبين التطور والتقدم ولكنه يحكم هذا فى

توازن ومواءمه واعتدال ووسطية عرفت منهج الإسلام وعرفها وإذا كان هؤلاء الذين يحاربون التراث يهتدون فى دعواهم الباطلة بما فعلت أوربا فإنهم يقارنون مع قصة مختلفة ، فليس التراث الغربى الذى وجدته أوربا فى عصر النهضة إلا مجموع أشتات من تفسيرات رجال الدين ومن وثنية اليونان ومظالم القانون الرومانى فإذا جاء عصر النهضة ليدعو إلى الخروج عن هذا الركام لإقامة دين الإنسانية الإلحادى أو فلسفة التنوير اليهودية ، فإن الأمر بالنسبة للمسلمين والإسلام جد مختلف فالمسلمون قد عرفوا منهجاً ربانياً أصيلا، لم يعتوره الاضطراب أو الانحراف أو الفساد لحظة واحدة وظل نصه القرآنى موثقاً لم يتأثر بتعليمات التاريخ ،ومن ثم فإن التراث الإسلامى هو تفسير لهذا المنهج الربانى الثابت الجذور ،الواسع الأطر ،القابل لمتغيرات الزمن والبيئة .

أما أن يدعو البعض إلى أن يسير التطور إلى غايته دون النظر إلى الأصول والثوابت فذلك ما يرفضه المنهج الإسلامى ، الذى يجعل من التطور حركة داخل إطار الحدود والضوابط وخاصة الأخلاقية التى لا سبيل إلى تجاوزها ، وإلا كانت حركة التطور عشوائية مندفعة إلى كل فساد واضطراب وخطر .

يقول الأستاذ عبد الله سلام الجهنى : إن هذه المحاولة تهدف إلى أن نجعل الثقافة المعاصرة وحدة متكاملة للإنسان المعاصر — كما تدعى ذلك هيئة اليونسكو — ولذلك فهى ترى أن تراثنا الثقافى الأصيل لا قيمة له بالنسبة للثقافة المعاصرة التى تخطط لهاو ترسمها وجل هذه الثقافة المرسومة تنصرف إلى تمهيد المادة لا الإنسان وهنا نلمس الفرق بين حقائق تراثنا الثقافى الأصيل والثقافى المرسوم المعاصر والفرق أن تراثنا يمجد الإنسان بينما الثقافة المعاصرة تمجد المادة .

ومن أجل ذلك لابد من التعرف على المصادر الصحيحة لتراثنا ، هذه المصادر ليست بالقطع ألف ليلة وليلة أو كتابات الحلاج وابن عربى وابن سبعين أو رسائل اخوان الصفا أو أشعار أبى نواس وبشار الضحاك وجماعة المجان ، فهذا هو التراث الذى تبتغيه اليوم قوى التغريب والغزو الثقافى لتفسد به عقليات ومفاهيم الأجيال الجديدة ، ومن الجانب الآخر تلك الكتب التى تبرز عظمة الغرب سواء فى مفاهيم المادية الوثنية أو فى فلاسفته

وأبطاله ، حتى أن الدكتور طه حسين عندما كتب قادة الفكر لم يذكر مفكراً واحداً من عالم الإسلام بل أن المفكرين اللامعين الذين نذكرهم اليوم فى مجال الأدب والثقافة لم يكونوا إلا قناطر للفكر الغربى وتابعين له ودعاة لمناهجه ومفاهيمه سواء فى الأدب أو الشعر أو الاجتماع .

بل أن هؤلاء اللامعين من كتاب العصر الذين اندفعوا فى جرأة لإعادة كتابة هذا التراث على نحو مختلف عن طابعه ووجهته وأخضعوه للمذاهب الأدبية الغربية وكانت كتابات طه حسين لهامش السيرة والفتنة الكبرى زائفة ومنحرفة ، وكانت تفسيرات عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد رشدى صالح للتاريخ الإسلامى خاضعة لمنهج التفسير المادى للتاريخ الذى لا يعترف بالوحى ولا بالنبوة .

لقد اعترف كثيرون بعظمة مدخورات التراث الإسلامى : اعترف به رجال القانون فى الغرب فيما يتعلق بالشريعة والفقه ، واعترف به رجال التربية فيما يتعلق بمناهج التربية والتعليم ، واعترف به رجال الاجتماع فيما قدم من مفاهيم ونظريات فى بناء المجتمع ، واعترف به رجال الحضارة فيما رسم من منهج لقيام الحضارات وسقوطها ، واعترف به رجال السياسة فيما قدم من مفاهيم لإقامة نظام الحكم ، واعترف به رجال الاقتصاد فيما زخر به من نظريات فى عالم الاقتصاد والمال . كما اعترف رجال العلم التجريبى بما حوى تراث الإسلام من معطيات فى مجال الكيمياء والعلوم والطبيعة والبحر والجو والجغرافيا . ولقد أفاد الغربيون كثيراً من هذا التراث الضخم ، وضموا ثمرات ذلك التراث إلى أعمالهم ، وحجبوا هذه النصوص عن المسلمين ، وما سمحوا بنشر شىء إلا تلك الكتب المضطربة التى كتبها الشعوبيون والمتابعون للفلسفات اليونانية والفكر الباطنى والحلول والاتحاد ووحدة الوجود وشعر العشاق والمجان وكتب أمثال الأغانى وألف ليلة وغيرها .

وهدفهم من طرح هذه السموم هى أبعاد الفكر الإسلامى عن أن يصل جوهر هذا الفكر الأصيل القائم أساساً على التوحيد والعدل والرحمة والإخاء

البشرى . إن علينا أن نتعامل مع التراث الإسلامى على الأقل كما تعامل معه الغرب فى استخلاص تلك المعطيات للانتفاع بها فى بناء مجتمعنا الإسلامى الجديد :

أو على حد قول أحد القائلين : (الحوار مع التراث من أجل إرساء قواعد تربوية خلاقة) .

* * *

(٥)

زكى نجيب محمود

(التغريب)

يدعى الدكتور نجيب محمود أنه لم يتعرف على التراث الإسلامى – ويقول : (التراث العربى) – إلا فى آخر العمر ويحاول أن يناقش هذا التراث فيما نأخذ منه وما ندع .

يقول : (ما الذى نأخذه ، وما الذى نتركه من التراث ، وما الذى نأخذه من الثقافة الجديدة التى تهب علينا ريحها من أوربا وأمريكا ؟ وهل فى مستطاعنا أن نقف منها هذه الوقفة التى ننتقى ونختار ، وبعد ذلك كيف ننسج الخيوط التى استللناها من قماشة التراث مع الخيوط التى انتقيناها من قماشة الثقافة الأوربية والأمريكية ، وكيف ننسج هذه الخيوط مع تلك فى رقعة واحدة لحمتها من هنا وسداها من هناك فإذا هو نسيج عربى ومعاصر)

هذا القول يؤدى فى الحقيقة إلى تقدير واحد ، هو إما أن الكاتب خادع كل الخداع أم أنه يفترض فينا السذاجة كل السذاجة ، وكأنها أول مرة يلتقى فيها الفكر الإسلامى مع الفكر الوافد . وكيف يمكن القول أن نأخذ من التراث قطعة ومن الوافد قطعة ونضمها إلى بعضها فيكون ذلك فكراً عربياً حديثاً .

ما هكذا يقوم الاقتباس من الفكر الوافد . إن لكل فكر أسساً وقيماً ومقدرات وما يمكن أن يقبل فكر له جذور وعراقة كالفكر الإسلامى أن يقتبس على هذا الأساس الضعيف. إنه لابد من استحضار « **قاعدة الأساس** » فى الفكر الإسلامى وإقرارها أولا وهى ليست تراثاً فى الحقيقة ولكنها منهج الإسلام الصحيح المنزل التى لا يمكن الحيدة عنها أو التحرر منها ، فهى الأصول العامة وعلى هذه الأصول يعرض الفكر الوافد ، فإذا جاء ذلك

المقتبس صالحاً وملتقياً وغير معارض للأصول الإسلامية فإنه يقبل ، أما إذا لم يكن كذلك فهو مرفوض، والمسلمون يفرقون تفريقاً عميقا بين الميراث الإسلامى الذى جاء من عند الله وبين التراث الذى صنعه المفكرون المسلمون فإذا كان ذلك الأمر غريباً عن الدكتور زكى نجيب محمود فهو لم يستوعب أمراً دخل فيه ، أما إذا كان يعلم — ويعتقد أنه يعلم — فإنه إنما يموه ويخدع السذج الأغرار بهذا القول ، وهى قوله قالها من قبل بعض التغريبيين وردها رجال اليقظة الإسلامية ، عملية الخلط هذه بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد ، هذه عملية مضللة ، فما الداعى إلى إعادتها مرة أخرى وهى مرفوضة من أهل الفكر الإسلامى الداعين إلى مداخل التغريب وخلفيات الغزو الفكرى التى يحاول اليوم أن يدخل فى أسلوب جديد يصفق له بعض البسطاء بأن رجلا كتب عن خرافة الميتافيزيقا ، يعود اليوم ، فيتحدث عن التراث وعن الغزالى .

يقول الدكتور عبد المجيد المحتسب : إن قماشة التراث (أى الإسلامى) تختلف كل الاختلاف عن قماشة الثقافة الأوربية فلا يمكن الجمع بينهما فى رقعة واحدة، الحضارة والأفكار والثقافة خاصة والعلم عام : تراث المسلمين يقوم على الإسلام والثقافة الأوربية مبنية على الفكر الرأسمالى الذى يقوم على فصل الدين عن الحياة ومنه الإيمان بالأفكار الديمقراطية التى أنتجت الحربات الأربعة ، وشتان بين الإسلام وبين الفكر الرأسمالى الأفكار الديمقراطية التى يؤمن بها الأوربيون ويطبقونها على أنفسهم هى أفكار قديمة وجدت عند الإغريق وطبقت فى المدن اليونانية ، فبأى مسوغ عقلى يدعونا زكى نجيب محمود إلى الأخذ بهذه الأفكار لأنها معاصرة وحسب مع أنها أفكار قديمة وهل غلبتها وهيبتها وسيطرتها على العالم اليوم تعنى أنها أفكار صحيحة وراقية .

إن الدكتور زكى نجيب محمود فى معالجاته لقضية الثقافة العربية المعاصرة لا يحس بكرامة الذات ولا بكرامة الأمة التى ينتمى إليها وتفكيره غير جاد وغير منتج وإن شئت فقل : إنه العقم فى التفكير بل أسوأ من العقم . وهو مصبوغ بفكرة التفوق العلمى فى الغرب ، وحسب أن التفوق العلمى ينتج

عنه تفوق فكرى وثقافى ونسى أن التفوق العلمى شىء . والتفوق الفكرى والثقافى شىء آخر . إن قماشتك الفكرية لتدل على الانهزام الفكرى والانصياع بحضارة الغرب وأفكاره وثقافاته وهى قماشة لن ترضى المخلصين الواعين من العرب ولن ترضى المفكرين الأوربيين .

* * *

ولم يتوقف الدكتور زكى نجيب محمود عن معارضة الفكر الإسلامى وانتقاصه والسخرية من شريعة الإسلام والتشكيك فى وجود منهج متكامل للاقتصاد الإسلامى فهو يصف الحدود الإسلامية علنا بأنها دعوة غريبة معادية لتطور العصر ، ويتساءل فى سخرية من الذى سيقطع يد السارق : هل الطبيب أم الجزار ، ويقول الأستاذ عبد القادر عطا :

(إذا كان الدكتور يقول : إن منهج الاقتصاد شديد الغموض فإن هذا الغموض قائم فى فكره هو ومن على شاكلته ممن لا علم لهم من قريب أو بعيد بشريعة الإسلام) .

ويخطىء الدكتور زكى نجيب محمود حينما يظن أن العالم منذ ظهور اليهودية حتى الإسلام لم تشغله غير مشكلة تحديد العلاقة بين الخالق والمخلوق . ذلك أن الإسلام قدم للبشرية النموذج الأكمل للمجتمع الربانى الذى حقق الرسول صلى الله عليه وسلم به نموذجاً عملياً لم يستطع الخلل أن يتطرق إليه إلا حينما احتلت قاعدة البناء فى القلوب . ولقد بدأ الإسلام عصراً جديداً من التحدى لتيارات الهدم والدفاع عن مبادئه ، أى أنه تحول من زحف منتصر إلى دفاع خلف الخطوط حينما خالف أهله تعاليمه فى بناء القاعدة الصلبة واعتبارها منطلقاً نحو نشر الحضارة الإسلامية بلغتها العربية وقرآنها العربى على أمم العالم .

أما دعواه العريضة الباطلة فهى قوله : (إن من يستعمل منتجات حضارة أخرى يجب عليه أن يترك كل وسائل العصر ليكون سلفياً ، ومعنى هذا أن كل من انتفع بوسائل من ابتكار بلد آخر فعليه أن يعتنق مذهب ذلك البلد ، وهذا خطأ كبير ، وهل اشترط المسلمون على أهل أوربا يوم كانت حضارة الإسلام وتراثه هو الذى ينير ظلامها أن يتخلوا عن شخصياتهم ويذيبوها

فى البوتقة العربية ، وهل اشترط المسلمون فى عصور الضعف على مستعمريهم أن يعلنوا عروبتهم لأنهم يقيمون حضاراتهم بخيرات بلاد الإسلام وإذا كان الطبيب هو الذى سيقطع يد السارق فإن الجزار هو الذى سيقطع ألسنة المارقين المتمردين من الفلاسفة والأدباء والفنانين » .

* * *

* ويقول الدكتور عبد الله بن المحسن التركى :

(إن الفلسفة التى تشكل منها عقل الدكتور تنزع به إلى التحرر من كل التزام عقلى أو قيد غائى شأنه فى ذلك شأن الفلاسفة الذين لا يدينون إلا لسلطان عقولهم وما تصل إليه تلك العقول من حقائق دون نظر إلى ما وراء ذلك مما جادت به القرائح أو تنزلت به كتب السماء) .

يقول : (إن عقوبة قطع الأيدى وتحريم شرب الخمر أو صنعها أو بيعها وتطبيق حد الإسلام يرى أن ذلك أمراً وحشياً يهدر كرامة الآدميين ، ولا نقول له أكثر من : إن هذا هو حكم الله فى السارق فهل يرجى للمؤمنين فلاح إذا هم حكموا بغير هذا الحكم الإلهى) .

* * *

إن الدعوى التى رددها الدكتور زكى نجيب لم تعد تقنع أحداً ، وكيف يتصور عاقل أن الفكر عندنا إما مستعار من الغرب أو من التراث القديم وأن الحاضر أرقى من الماضى وأنه لا معنى لارتداد الحاضر إلى الماضى يأخذ منه مقاييسه ، والحقيقة أن هذه المصطلحات غير دقيقة عند الدكتور زكى نجيب وهى منقولة مما وجهه فى الغرب إلى الفكر المسيحى ولو أمعن النظر قليلا لوجد أن التراث القديم فى الإسلام هو الميراث الذى قدمه الوحى والنبوة وهو من الثوابت ومن العطاء الوافر الكريم ، وأما من التراث الذى قدمه الفقهاء والعلماء المسلمون وهو ليس فى نظر المعاصرين إلا ضوءاً كاشفاً على الميراث الأصيل للانتفاع به فى استمرار الرابطة بين المسلمين وبين عقيدتهم ، وليس فى التماس المسلمين لمنهج الإسلام ما يسمى ارتداداً إلى الماضى للأخذ منه ذلك أن الإسلام نفسه هو منهج حياة ربانى المصدر له اطره الواسعة القادرة على العطاء على مختلف البيئات والعصور ، وتلك كلمات

يحاول الدكتور زكى أن يخدع بها الذين لم يعرفوا حقيقة التراث الإسلامى : الذى لا يمكن أن يوصف بأنه قديم ، والذى لا يمكن أن يكون الحاضر أرقى منه :

ولقد عرف الدكتور زكى نجيب محمود بأنه يدير لحناً قديماً مسئما قد ظل يردده حتى قال الناس : يا ليته يكف عنه ، فقد أصبح كريهاً إلى النفوس من كثرة ترديده :

ولم يستطع الدكتور زكى نجيب محمود أن يقنع أحدا بأنه يقدم منهجاً جديداً أو منهجاً صالحاً لأنه تاريخه القديم وكتاباته السابقة ما زالت تطغى على مفاهيم الناس فتحول دون الثقة به وما تزال كتاباته عن القول : بأن الغيب خرافة فى كتابه (خرافة الميتافيزيقا) أو أنه تابع لمذهب غربى مادى قد أشبعه الغربيون نقداً وتمزيقاً ، وقد داسته خيول الفلسفات المتوالية وهو مذهب الوضعية المنطقية وشيخة (اوجست كمت) التى يدور فى فلكها ، والموصدة عليه حلقة حياته كلها بعد أن تجاوزتها الفلسفات والأحداث .

إن علماء الغرب التجريبيون اليوم يتحدثون عن آفاق جديدة فى العلم تتصل بالإيمان بخالق الكون بينما لا يزال الدكتور زكى غارقاً فى الواقع التجريبى المحسوس وإنكار المتافيزيقا والغيب والإيمان بالجبر الذاتى ، والاحتكام إلى العقل الذى لا يستطيع أن يكون مقياساً منفرداً للنفس الإنسانية الجامعة بين المادة والروح ، كذلك فإن نظريته فى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ساذجة ، بل وزائفة ، وقد تخطاها المفكرون المسلمون ، ومن الأسف أن الدكتور زكى نجيب محمود يعالج الفكر الإسلامى بمفهوم الفكر الغربى ويتجاهل أن الفكر الإسلامى يختلف من ناحية تكامله ونظرته الجامعة ، وأن له مقاييسة الخاصة فى دراسته ومعالجيته بينما يقف الفكر الغربى عند الانشطارية والمادية . إن المناهج الغربية التى تحاول أن تستخدم العقل وحده وتنحى الجوانب الروحية والذاتية ، فى تفسير الكون أو تفسير الإنسان تتعثر ولا تستطيع أن تصل إلى شىء . إن فكرة ارتداد الحاضر إلى الماضى هى فكرة رجل لا يؤمن بأن رسالات السماء قدمت للإنسان جوهر المفهوم الإنسانى والعالمى وإذا كان هذا القول قد ردده أساتذته فى الغرب فإنما قصدوا شيئاً معروفاً فى الفكر الغربى الوثنى اليونانى الرومانى وعلاقته بالمسيحية ، أما بالنسبة للإسلام فإن الأمر يختلف ومسألة كتب الأقدمين هنا تصبح عبارة خاطئة .

(٦)

عبد الرحمن الشرقاوى

(التفسير المادى للتاريخ)

فى قصة الحسين شهيداً : شهد الباحثون الذين راجعوا القصة (الأساتذة زكى البنهاوى – الدكتور الطيب النجار – الدكتور أحمد الشرباصى) أن الأصابع الحمراء تشوه حقائق التاريخ الإسلامى وتشهر بالصحابة الأجلاء وإليك مجموعة الحقائق :

أولا : تردد فى المسرحية تشهير بجماعة من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول صلى الله عليه وسلم بمكانة أصحابه فى أكثر من حديث شريف ومن واجبنا أن نبرز مفاخرهم ونركز عليها ونهتم بها وألا نطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أخطاء .

ثانياً : ترددت فى المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعن والتعريض الشنيع بالحرمان وهذا كله بين مجموعة تنتسب إلى الإسلام وجاءت فيها ألفاظ جارحة مثل : يا أبناء الأمهات الزانيات . . . إلخ .

ثالثاً : صورت المسرحية العصر الأموى تصويراً يجافى الحقيقة فى بعض النواحى فوصفته بأنه عهد الإقطاع والأطماع ، وجردت الأمويين من كل خير ونحن لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب ومآخذ ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات إسلامية كبيرة وكان فيه جهاد ونضال فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ فى تصوير فساده كل هذه المبالغة .

رابعاً : المسرحية تعرض شخصية الصحابى (وحشى بن حرب) عرضا مخالفاً للسيرة والتاريخ تعرضه فى صورة سكير مخمور مع أنه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الحديث . وتصور المسرحية

مقابلته للرسول صلى الله عليه وسلم عند إسلامه تصويراً غير كريم وغير سليم ولا يتفق مع التاريخ ، ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التى تحلى بها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين . فالرسول صلى الله عليه وسلم قد قبل إسلام وحشى وقال له : يا وحشى اخرج فجاهد فى سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله .

ومن العجب أن توجد شخصية وحشى بن حرب من شخصيات هذه المسرحية ووحشى قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة فى خلافة عثمان ابن عفان ولم يدرك شيئاً من أحداث هذا العصر .

خامساً : هناك نوع من القسوة فى الحكم على معاوية مع أنه صحابى ومن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلا من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة التى يختلف فى تحديدها المؤرخون والباحثون .

سادساً : جاء على لسان الحسين – رضى الله عنه وأرضاه – أنه ذهب حينما اشتدت المحنة إلى قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وقال يخاطب النبى : (جدى : أنا لا أعرف ما أصنع فأعنى) فالحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله سبحانه وتعالى .

سابعاً : ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بمقتل الحسين رضوان الله عليه وهذا يخالف الواقع لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجس شراً من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه ، والمسرحية تصور يزيد فى صورة مهينة وقد انصرف عما عرف عنه من انحراف بعد تولى الخلافة .

ثامناً : أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامى بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنصف قرن فقط فى صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى ، وصار مجتمع عربدة وفجور ، ومجتمع شقاق ونفاق مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان .

تاسعاً : جاء على لسان أحد الأشخاص من أتباع الحسين رضى الله عنه ما يفيد أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين ، فهل يحكم على عقائد الناس بمثل هذه السهولة .

هذا أما فيلم (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم ، الذى سمى من بعد (الرسالة) فقد انطوت قصته التى كتبها عبد الرحمن الشرقاوى على أخطاء علمية وتاريخية بالغة التحريف ، وانطوت على تفسير مادى للسيرة وإيقاظ النزعات الطائفية ومداهنة اليهود. ومن ذلك أن فيلم (محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم على لسان كاتبه أن الوحى نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء وهو نائم . وهذا تحريف وافتراء . والرسالة كلها انعكاس لظروف اجتماعية عند المؤلف والفيلم يموج موجاً بالأفكار التى تفسر الأحداث ومواقف الناس تفسيراً مادياً كما فسر الجهاد تفسيراً مادياً من أجل التجارة والمال مما يتناقض مع مفهومه الصحيح وهو فى سبيل الله وابتغاء رضوانه وإعلاء كلمته . ومضيا مع التفسير المادى صورت القصة على أنها صراع بين الأغنياء والفقراء ، وإلى جانب التفسير المادى للسيرة هناك نزعة طائفية تحرف الوقائع وتصورها فى إطار طائفى .

* * *

والمصدر الأساسى للفيلم هو كتاب عبد الرحمن الشرقاوى (محمد رسول الحرية) صلى الله عليه وسلم وهو كتاب ملىء بالأخطاء والمغالطات ، يقول الدكتور على العمارى : إن عنوان الكتاب يوحى بادئ ذى بدء أن المؤلف سيعمد إلى مواقف خاصة من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم يتجلى فيها إقراره لمبدأ الحرية ودفاعه عنها والمبادئ التى جاء بها ، وأكد بها حق الإنسان فى أن يكون حراً فى عقيدته ونفسه وماله . ولكن المؤلف لم يبرز هذا الجانب بل لم يبين أنه يعنى به عناية خاصة وإنما عرض لطرق من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأرخ لأكثر غزواته — فى أسلوب قصصى طبعاً — دون أن يقف منها مشيراً إلى ما فى هذه الغزوات من عناية الإسلام بالحرية فى شتى مظاهرها . ولما كانت دعوة الإسلام لم تكن فى جانب من جوانب الإنسانية أظهر منها فى بقية الجوانب ، فقد عالج الإسلام كل القضايا التى تشغل الناس فى حياتهم من اجتماعية وسياسية ودينية وأخلاقية كما بين لهم طريقى الخير والشر ، أول ما نأخذه على المؤلف اعتماده الكلى على ما كتبه (المستشرقون) ولا أظن أن أحداً من الذين لهم أدنى دراية بأغراض الاستشراق ونشأته وتطويره يجهل أن هؤلاء المستشرقين لا يلتزمون الأمانة

العلمية وأن من أغراضهم الأولى محاربة الإسلام ، وقرآنه ورسوله وتاريخه .
فمن الخطأ والخطر أن يعتمد مؤلف يكتب عن الإسلام – بعامة – وعن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم – بخاصة – على ما زوره هؤلاء الأعداء الذين يتخذون من قداسة البحث العلمى وسيلة للطعن والتجريح بل لسوء الأدب واستغلال الشعوب .

عرض المؤلف فى كتابه لقصة (الفيل) ولهذه القصة أصل معروف واضح صادق كل الصدق ، فمن الانحراف فى العقيدة أن نتابع أحداً يتجهم لهذا الأصل ، ويحاول أن يتعسف فى تأويله وتفسيره ، أو يحاول – بخبث ومكر – أن يكذبه وقد حرف المستشرقون القصة وادعوا أن (أبرهة) لم يكن يقصد مكة ، وإنما مر بها فى طريقه لمحاربة الفرس مجاملة من الأحباش للروم وزعموا أن ما أصاب جيش أبرهة كان وباء جاء معه من اليمن وأن العرب أيقنوا أن ذلك أثر من تدخل العناية الإلهية ، هكذا نقلها كاتب مسلم من المستشرقين ، وكان من الواجب الرجوع إلى القرآن الكريم وتفاسيره والقصد من ذلك هو تكذيب القرآن ، فالقرآن أثبت أن الذين جاءوا بالجملة كانوا (أصحاب الفيل) والقرآن يثبت أن أصحاب الفيل كانوا يريدون بمكة شراً ولابد أن يكون الكيد للبيت الحرام وليس للفرس ، والقرآن يثبت أن الله (تبارك وتعالى) هو الذى أهلك جيش أبرهة « وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » ، ويميل مؤلف كتاب (محمد رسول الحرية) إلى تجاهل كل ما أيد الله به رسوله فى أمور غير معتادة . كذلك يخطئ المؤلف فى أن يجعل للنبى علماً قبل النبوة مما كان متداولا فى كتب الأولين فالنبى لم يتلق علماً من أحد قبل النبوة ولا بعدها إلا عن الله عز وجل وحاول المؤلف أن يؤكد أن بدء الوحى كان فى النوم وأن الذى جاء محمداً إنما هو (حلم) ، وحديث بدء الوحى حديث معروف مشهور روته كل كتب السنة والحديث واضح فى أن الرسالة إنما جاءت الرسول يقظةوهو فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحسن اختيار الألفاظ .

* * *

إن محاولة أصحاب المذاهب المادية والماركسية إتخاذ مادة التاريخ الإسلامى الكريمة النقية مادة لدس أفكارهم أمثال الفتى مهران ، ومصرع الحسين لعبد الرحمن الشرقاوى حيث يقولون فى المسرحية ما لا يستطيعون أن يقولوه بصراحة فى كتابات عامة فهو أمر خطير يجب أن يتنبه له شبابنا ، فليس التاريخ عندهم أكثر من إطار للحركة ووسيلة لبث السموم وهم لا يحترمون وقائعه ولا أحداثه ويستهينون بها ويرون أنها موصل إلى غاية وكذلك فعل بالتاريخ الإسلامى دعاة القرمية ودعاة الديمقراطية ودعاة الشيوعية والماركسية والاشتراكية ولكن تاريخ الإسلام على ألسنتهم جميعاً وأقلامهم لا يمكن أن يغرى أحداً من الواعين بأنه حقيقة وكل من يقرأه يفهم أنه زائف ولن تجد أحد عند هؤلاء حقيقة فهم التاريخ الإسلامى أو مفهوم الإسلام نفسه .

• • •

(٧)

عمر عبد العزيز أمين

(ترجمة القصة)

منذ أكثر من أربعين عاماً (١٩٨٠) وعمر عبدالعزيز أمين يترجم القصص الغربية ويصدرها فى سلاسل وقد ترجم حتى الآن ما يزيد على ألف قصة غربية ، وفى هذه الأيام يترجم قصص أجاثا كرستى (البالغة نحو تسعين قصة) وبذلك نجد أن ركاماً ضخماً من القصص الغربى الفاسد الملىء بالجريمة والجنس مطروح على أسوار حديقة الأزبكية وعلى الأرصفة وهى كتب قبيحة تصور العلاقات بين الرجل والمرأة فى صورة غير كريمة وقد ترجمها أناس لا يقدرون أمانة الكلمة ولا مسئولية الكاتب إزاء الشباب الغض والفتيات الصغيرات ، ذلك أن هذه القصص المترجمة لا تمثل فى الحقيقة مجتمعنا ، ولا قيمنا وأن روح الكشف والإباحية والفساد فى العلاقات بين الرجل والمرأة ولقد تسرب هذا الفساد إلى ما يسمونه القصة العربية فأصبح كتاب العرب يكتبون القصة الجنسية ويتطوحون وراء المذاهب الغربية والماركسية فيخلطون بين فساد المذاهب الفرويدية والمذاهب الماركسية ويقدمون هذه السموم كلها إلى شباب المسلمين والعرب الذين يظنون أن كل ما يقدم لهم هو حقيقة وهو فن .

ومع الأسف فإن القصة قد باءت بالفشل وانهارت ، ان كتاب القصة قد تحولوا ليكتبوا يوميات صحفية أمثال : نجيب محفوظ ، ويوسف إدريس ، وإحسان عبد القدوس ، وفارق كبير بين أن يكون الكاتب قصصياً ينشىء من الخيال شخصيات يدير بينها حواراً وبين الكتابة الاجتماعية التى لها مقاييسها ومفاهيمها التى تجعل فارقاً عميقاً بين شخصية القصاص وشخصية الكاتب الاجتماعى ولكن كتابنا مع الأسف يكتبون فى كل شىء حتى

فى القضايا الدينية والتاريخية التى لا يفهمون أبعادها كأن يكتب كاتب قصة عن الملك الكريم عزرائيل (يوسف السباعى) ويسخر به أو عن النبى الكريم سليمان عليه السلام ويصوره وفق مفهوم التوراة (توفيق الحكيم) وهكذا تفتح كتابات القصص باباً واسعاً إلى إفساد المفاهيم والقيم الإسلامية الأساسية ومن دلائل تخبط كتاب القصة ما كتبه توفيق الحكيم فى الشهور الأخيرة عن الحياد ومحاولة تحطيم مكانة مصر العربية الإسلامية ودعوته إلى إدارة مصر ظهرها للعرب والمسلمين وهى دعوة مسمومة يقوم بها توفيق الحكيم كلما وجد الغرض لذلك فهو يحمل فى كتاباته عن العرب وعن الروابط التى تربط مصر بالعروبة فى قسوة وعنف .

* * *

صلاح عبد الصبور

الشعر الحديث بلا شهادة ميلاد

نشأ الشعر الحديث نشأة (لقيطة) فقد خرج عن أحضان الأصالة التى عرفها الشعر العربى المنظوم ، وذلك أن الذين التمسوه أسلوباً للتعبير كانوا فى حقيقة أمرهم متغربون ، تابعون لمفهوم وافد من الأدب الغربى الذى له منهجه وطبيعته الشعرية المختلفة عن النظم العربى ، وكانوا من حيث المضمون تسيطر عليهم فكرة الخروج عن القيم والضوابط والمعالم التى يدور فيها الشعر العربى الأصيل .

وكان أبرز هذه المعالم التى اغترب فيها الشعر الحديث سيطرة الأساطير والخرافات القديمة إليه والدعوة الملحة إلى إحياء هذه الوثنيات وذلك حين أخذ برموز الصلب والخطيئة وهى مفاهيم نصرانية وافدة ليس لها أصل فى معين التراث العربى الإسلامى ، فضلا عن الإحساس الواضح بالسخرية لكل مقومات الدين والأخلاق وتبنى نظريات الفن للفن وإعلاء الجماليات على الأخلاق وسيطرة مفاهيم الأدب اليونانى والإغريقى التى تركز على الجنس والجسد واللذة والدوران فى فلك مفهوم سارتر النفسى وفرويد الفكرى والجرى فى طريق دوركايم الكاره للفطرة والأسرة والزواج والراغب فى الجريمة والإباحية فضلا عن سيطرة الفكرة الماركسية أساساً بمختلف مفاهيمها الاجتماعية والأدبية على الوجدان الشعرى فضلا عن قصورهم لدى المفاهيم الإقليمية والقومية الضيقة .

ونرى هذا واضحاً فى أشعار صلاح عبد الصبور ، وأدونيس ، وخليل حاوى ، ونزار قبانى ، والبياتى .

ولا ريب إن حصيلة الشعر الحديث قد أكدت إن هذا الاتجاه بعيد عن الفطرة التى فطر عليها الأدب العربى ، وأنه نبت لا جذور له ،

وأن التجربة التى احتضنتها قوى معينة ودفعت بها إلى آفاق الصحف قد باءت بالفشل وانحدرت ولم تلبث أن ماتت ، وقد كان ذلك نتيجة أمرين : أن التعبير نفسه هابط ومستواه الشعرى ضعيف ، وأنه ليس شعراً بالمعنى الحقيقى وإنما هو أقرب إلى عبث النثر وأهم من ذلك أن المضمون نفسه كان دائماً تافهاً ومنحطاً ومتدنياً وساذجاً وطفولياً وإذا كان بعض هؤلاء يدعون أنهم إنما يصورون (أزمات الإنسان) فإننا نقول لهم : إن كتاباتهم لا تدل على شىء من التجربة ولا من عمق المعرفة بآفاق النفس ، ولا من التأمل العميق الذى عرفه الشعر العربى الأصيل ذلك لأن العطاء إنما يأتى من منابعه ، فأين منابع أمثال هؤلاء السذج الأغرار الذين لم يلبث أحدهم أن أمسك بالقلم فكتب شعراً ، وأين آفاق التجربة النفسية عند جماعة الماديين والإباحيين والشعوبيين وليس لهم من الحكمة أو العلم أو ايمان بالغيب أو معرفة عوالم النفس والروح والمعنويات والقيم التى تصنع الإنسان .

وليس من ريب إن وراء الدفع لهذه الموجة المنحرفة قوى تهدف بها إلى تحقيق غايات بعيدة من التأثير فى البيان العربى الأصيل واللغة العربية الفصحى وهدم عامود الشعر الذى هو الشق الثانى للبلاغة العربية ، والهدف هو إشاعة روح العاميات وخلخلة البناء القوى المتين الذى يقوم على مستوى بيان القرآن وبلاغته وذلك لمحاولة إيجاد حاجز باستحداث أساليب عامية نازلة تفصل الأدب العربى عن إطار القرآن والسنة .

ولا ريب إن بعض قادة هذه الحركة هم فى تقدير كثير من الباحثين من الشعوبية . وقد ساوقت هذه الحركة ارتفاع المد الماركسى فى البلاد العربية غير أنها لم تستطيع أن تثبت بعد أن تحطمت الأيدى التى كانت ترفعها وتحميها ولو كانت لها أصالة حقيقية لثبتت واستمرت .

يتحدث أحد أبناء هذا الجيل الذى كونته ثقافة التغريب (صلاح عبد الصبور) فيقول : وقر فى أذهاننا الاخلاص لنا إلا بإدراك ما عليه هؤلاء القوم علم وفن وذوق ، وبالرغم من أننى كنت طالب لغة العرب وآدابهم (فى الجامعة) إلا أن الأسماء التى تفزع أذاننا كل صباح أو معظمها

كانت أسماء أجانب وكفى بالفزع العالى من المستشرقين دليلا على ذلك ، فإن قراءة طه حسين كانت تقودنا إلى (نلينو) وقراءة تاريخ العقائد الإسلامية يقودنا إلى (أجناس جولد تسيهر) والبحث عن مصادر الأدب العربى كان يقودنا إلى (نولدكه) .

أما فى مجال الذوق فقد كان المناخ الأدبى آنئذ عامراً بأسماء المدارس الأدبية المتوالية منذ نشأت الرمزية فى أواخر القرن الماضى ونازعتها البارناسية فى فرنسا آفاقها ثم خلعت السريالية ضبابها على أرض الشعر وعبثت بها ما طاب لها العبث حتى ولدت شقيقتها الدادية ثم ولدت الواقعية الاشتراكية وانطلقت الوجودية بمذهبها الحديث فى النظر إلى الإنسان والفن .

ولدينا عشرات من الجوركيين (جمع جوركى) والسراترة (جمع سارتر) والالاتية (جمع اليوت) كان كل من كتب حرفاً فى الفن والتذوق يحرص على أن يحليه باقتباس بعض خطرات هؤلاء الفرنجة .

الدكتور عبد الرحمن بدوى قدم نيتشة ، وشوبنهور ، وأرسطو والذى قدموا لنا ليسوا هم بذواتهم الحقة بقدر ما هم صورة منعكسة فى مرآة بدوى ، لويس عوض انتظم مجموعة من مقالات الأدب الإنجليزى تضم إلى جانب الرؤية الفنية الجانب الاجتماعى ، بدوى قدم لنا هؤلاء الأعلام كأرواح قلقة ولويس قدم لنا أعلامه بعقول مدركة فاعلة .

فى هذا الطقس المغرب الضائع نشأ الشعر الحر الذى لم يكن أكثر من تقليد أجنبى فى مرحلة احتواء ضخمة كانت مقاده الثقافة فيها إلى الماركسيين والعلمانيين الذين كانوا عاجزين عن الأداء العربى البليغ ، والذين كانوا يعملون على الخطة المرسومة فى هدم هذا السور العالى الذى يصل الأدب العربى والبيان العربى بالقرآن الكريم ، وهذا مجال جديد مهما كان زائفاً لإبراز شخصيات وزعامات ومن هنا جاء لويس عوض ليعطى صلاح عبد الصبور إمارة الشعر (الحر) جزاء له على تضمينه شعره بعض مفاهيم الإنجيل والصلب والخطيئة ، وهى مفاهيم لا يعرفها الأدب العربى الأصيل ،

وفى الغرب عندما يولون اهتماماً للسياب والبياتى وصلاح عبد الصبور ويعطون الجوائز ، فإنما يريدون أن يقولوا كلمة واحدة :

هذه بضاعتنا ردت إلينا :

لقد تغرب الشعر العربى الذى هو ديوان العرب ، ولا يعرفون أنها موجة عاصفة لا تلبث أن تموت وتنطوى وتعود الأصالة مرة أخرى إلى الشعر العربى .

* * *



الفصل السابع

عصبة العلمانية أعداء الشريعة الإسلامية
خلفاء على عبد الرازق

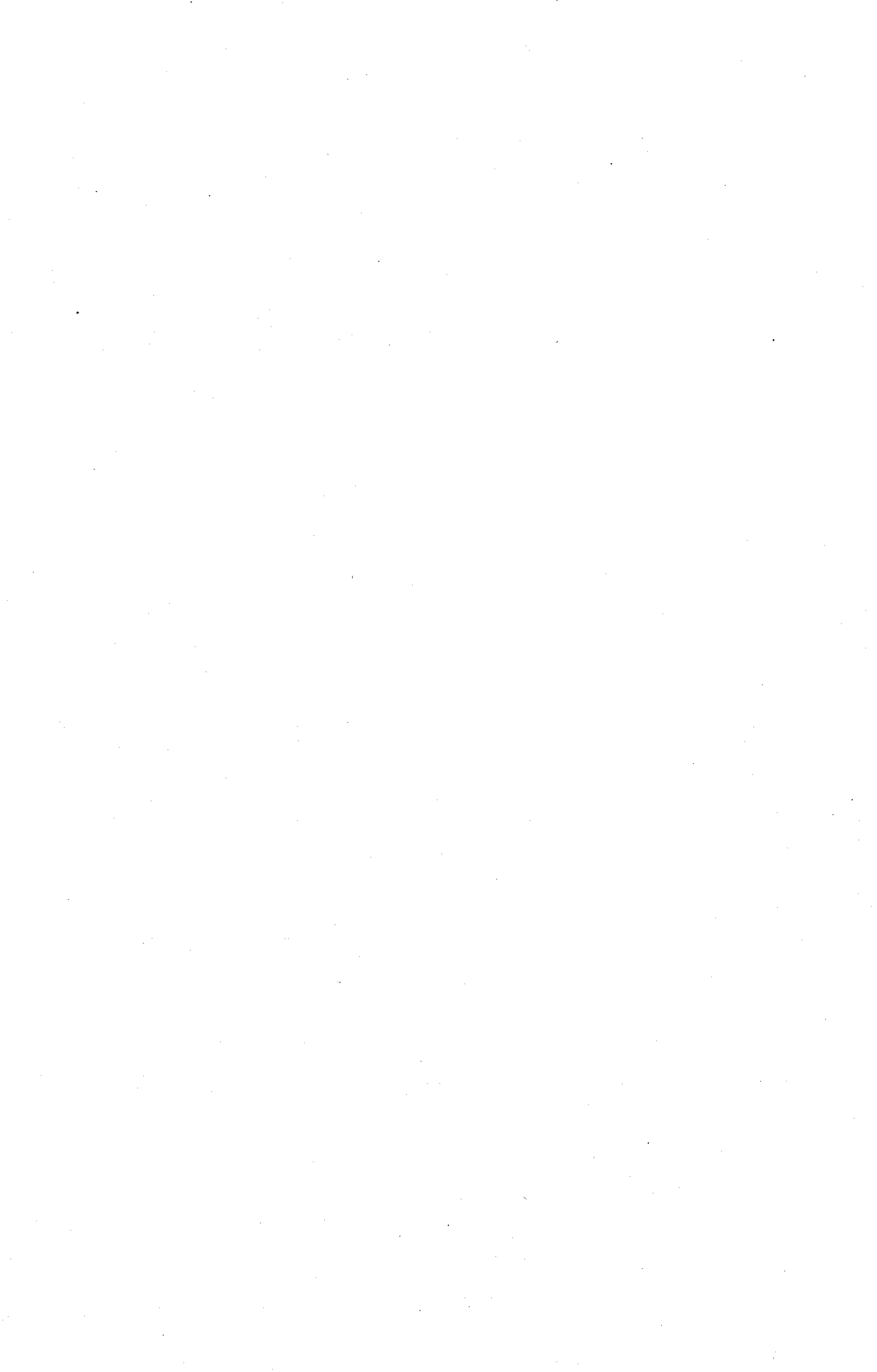
١ ـ خالد محمد خالد .

٢ ـ أحمد بهاء .

٣ ـ محمد عماره .

٤ ـ محمد أحمد خلف الله .

٥ ـ محمد سعيد العشماوى .



(١)

خالد محمد خالد

حاول الأستاذ خالد محمد خالد أن يحدث حدثاً عندما أصدر كتابه (الحكم فى الإسلام) محاولا التنصل من آرائه القديمة التى أعلنها فى الخمسينيات من إنكار أن الإسلام دين ودولة ، وفرح النـــاس لهذه العودة إلى الله ولكن التفسيرات التى قدمها لم تكن مقنعة فكيف يمكن أن يكون الديمقراطية الحديثة هى الشورى ، وكيف يمكن أن تكون الاشتراكية هى العدل الاجتماعى. إن خالد محمد خالد قد اشتهر فى نظر العصريين بأنه من دعاة (الديمقراطية) الحرة بأحزابها وصحفها وأنه يرى أنها العلاج الأمثل لحاضرنا وتأمين مستقبلنا ، فكيف يمكن أن يكون من يقول : هذا مفكر إسلامى ، ثم إن هذه الجماعية المختلطة التى يجول فيها ويصول ، ويتحدث فيها عن بوذا إلى طاغور إلى سقراط إلى كونفوشبوس إلى عشرات من هذه الأسماء ، كيف يمكن أن يكون هذا تصور إسلامى يصح معه أن يوصف خالد محمد خالد بأنه مفكر إسلامى ، الحقيقة أن الأستاذ خالد لم يخرج بعد من ذلك التصور المسيحى القديم الذى عاش فى ظله طويلا إلى مفهوم إسلامى أصيل محرر من كل تبعية لفكر آخر تحت اسم الفكر الإنسانى . إن هذا الخلط هو تمـاماً ما فعله (إخوان الصفا) وأريد به غير الإسلام ، يقول الأستاذ خالد فى كتابه الجديد :

أرجو أن يجىء كلامى هذا تصحيحاً لرأى أبديته من قبل فى كتابى (من هنا نبدأ) إذ قلت يومها : إن الدين لا يعنيه أن يكون دولة ، ولا يعنيه أن يتدخل فى بناء الدولة ، ويبدو أننى كنت يومها متأثراً بتصور مسيحى عن الحكومات الدينية ولا سيما تلك التى قامت تحت ظل الكنيسة فى أوربا فى عصور الظلام ناسياً يومها أن الإسلام مختلف جداً ، وأن الدولة يشكلها وبمضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى وأنه خاطبها بمسئولياتها كما خاطب الفرد والجماعة بمسئولياتها .

وفى الإسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة إلا إذا أمكن عزل الدين عن الدين فهو يدرك دور الدولة فى الحفاظ على دين الله ويعلن أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ثم أنه وقد جاء يدعو الناس إلى الدخول فى دين الله لا يمكن آن يترك الدولة تشكل عائقاً دون هذا الدخول . من أجل ذلك رأينا الرسول يبدأ بدعوة الملوك والأباطرة ليحملوا تبعاتهم تجاه رعاياهم فى إبلاغهم كلمة الله ودعوتهم إليها ، ومن أجل ذلك أيضاً رأينا الإسلام كدين لا يكتفى بدعوة الناس إلى الصلاة والعبادة ، بل رأيناه ينظم للمجتمع وللدولة كل شئونهما فيبين للدولة مسالك الحق والعدل فى حمل أعبائها ولا يغيب الإسلام أبداً عن أى شأن من شئون الحياة نريد أن نعرف رأيه فيهما »

وقد حمدنا له هذا العود إلى الله ، ولكن ما رأيناه بعد ذلك من كتابات وخاصة ما نشره فى مجلة (الدوحة) أحسسنا بأن الكاتب لم يخلع ثيابه القديمة تماماً وأنه ما زال متشبثاً بها ، وأنه أعاد نشر ملخصات كاملة لكل أفكاره من جديد ، عاد مرة أخرى بعد أن توقف أكثر من عشر سنوات منذ اختفت كتبه الصارخة التى كانت توزع كميات ضخمة أبان مرحلة العلمانية والشيوعية ، فقد انسحب من هذا اللون واستأثر بدراسة السيرة النبوية سنوات بعد ذلك قبل أن يعلن تراجعه عن قولته المعروفة ، وبعد أن سجل المستشرقون له التبعية والموالاة كامتداد للشيخ على عبد الرازق ، ثم جاءت كتاباته الجديدة كلها وليس فيها ما يتوافق مع الصحوة الإسلامية والتطور القوى الذى قطعته الدعوة الإسلامية لتتحرر من ذلك التيار المضبب الذى كان يكتب به عدد من الكتابات فيخلطون بين الفكر الإسلامى وبين الفلسفات الغربية والشرقية ، وهذه الاستشهادات بكتابات أمثال هؤلاء عن الدين وعن الله تبارك وتعالى وهى موجة معروفة كانت تريد أن تقول : إن أخناتون وأفلاطون وأرسطو وكل هؤلاء موحدون ومؤمنون ، ولم يكن واضحاً أمام من يقرأ ذلك الفارق العميق بين هذا الإيمان بالله وبين مفهوم الإسلام ، فالحقيقة أن الإسلام يختلف تماماً عن مفهوم الأديان فى الفلسفات بل أن الإسلام جاء ليضع مفهومه فى إسلام الوجه لله فوق كل هذه المفاهيم التى تحمل راية الشرك والثنائية ذلك أن الإسلام أقام مفهومه على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ولذلك فإن استشهادات خالد محمد خالد بالأسماء

الأجنبية والقديمة لم يعد يصلح لأن يقال لشباب الإسلام اليوم الذى تخطى هذه المرحلة وأصبح يفهم الإسلام فهماً صافياً نقياً خالصاً مستمداً من القرآن الكريم ، وقد انطوت المرحلة الفلسفية نفسها التى حمل لوائها كثيرون ، وجاءت المرحلة القرآنية الأصيلة ، وكان على الأستاذ خالد أن يتجاوز هذه المرحلة أيضاً وأن لا يتوقف فى أوائل القرن الخامس عشر عند مفاهيم طرحها فى كتبه منذ ثلاثين سنة تقريباً ، وهو يعيد الآن تلخيصها من كتبه فى مقالات تدفع عنها مكافئات سخية فى صحيفة يشرف عليها أحد اليساريين الذين يتملقون الناس بتقديم كلمات عن الإسلام فى افتتاحيات المجلات خداعاً ومكراً لينشر بعد ذلك كل سموم الفكر البشرى .

إن إصرار خالد على هذا الخليط من الأسماء التاريخية دليل على أنه يجعل الإسلام أقل قدراً من هذه الفلسفات أو على الأقل موازياً لها ولا زلنا نذكر كيف غضب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر رضى الله عنه عندما رآه يقرأ فى ورقة من التوراة وقال له كلمته الخالدة :
« لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعى » .

فهذا الخليط الذى يقدمه خالد محمد خالد لا يمكن أن يقره عليه مؤمن بالإسلام حقاً ، وإلا فكيف يمكن الجمع بين فلاسفة الوثنية والثنائية ، والإغريقية والغنوصية ، فكيف يمكن الجمع بين سقراط ، وأفلاطون وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وبوذا ، وغاندى ، وهيجل ، وابن سينا وشكسبير ، والمعرى ، وانتشاين ، وابن الهيثم ، وديكارت ، وابن رشد ، والفارابى تحت اسم الإنسان السوبرمان الذى يتحدث عنه ، وهل هناك حقيقة ما يسمى الإنسان الأعلى ؟ أم أنه لا يزال مخدوعاً بكتابات قديمة عفى عليها الزمن ونظريات وافدة يحاول أن يصوغها من جديد تحت أسماء عربية .

إن الذين أبدعوا هذه النظريات أمثال : بوكاى ، وجارورى ، وهونكة وغيرهم قد أذعنوا أخيراً للإسلام وأحنوا رءوسهم إجلالا وإكباراً لمفهوم واحد هو مفهوم التوحيد الخالص الذى جاء به محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم إلى البشرية فى كتاب منزل موحى به هو القرآن .

إن نظرية الإيمان بالإنسانية هى نظرية غربية خادعة باطلة نحن نعرف مصادرها ودعاتها وهى ترمى إلى تقديس الإنسان وإفراده بالعظمة ، وهى نغمة طالما رددها خالد محمد خالد ، بينما أن المفهوم الإسلامى يقدم لنا الحق تبارك وتعالى وحده على أنه هو الذى تفرد بالعظمة وأن كل هذه العقول خاضعة له وعبيد يحنون جباههم تذللا ويقيناً ، نحن حملة القرآن لا نقر بالعظمة إلا الله تبارك وتعالى ، أما الإنسان فإنه مخلوق يجب أن يخضع لحكم الله .

ومن عباراته الغربية المستمدة من الفكر الغربى قوله :

(تعالوا نقدس حرية الكلمة) وشهداء الرأى والكلمة ،أى كلمة تلك التى يريد أن يقدسها الشيخ خالد، كلمة لامارك،وابن مسكويه أو سقراط . هل يظن أن كلمات هؤلاء أو غيرهم بها قيمة حقيقية إن لم تكن مستمدة من « لا إله إلا الله » . إن هذه كلها كلمات بالية تافهة .

وعندما أجريت معه الأحاديث حول عودته إلى الإسلام بمفهومه الأصيل كان خلاصة كلامه أن الإسلام : ديمقراطية واشتراكية (أو ما يتلخص فى هذا)كأنما يرى أن ما نحن منه الآن من دعوات عصرية تعيش الإسلام وأن الديمقراطية هى الشورى الإسلامية ، وأن الاشتراكية هى العدل الاجتماعى وهو حين يقول ذلك ينجس الإسلام نجساً شديداً مع الأسف ويضع دين الله الحق فى صف الأيدلوجيات بل يجعلها تفضله ،وحاشا أن يكون هذا ، فإن هذه المذاهب البشرية لا يمكن أن ترقى إلى مصاف دين الله ، ولا تستطيع أن تعيش إلا سنوات قبل أن يصيبها الاضطراب والتمزق ، وقد بلغت ذلك منذ وقت بعيد وهى الآن تضيف وتحذف حتى تتمكن من متابعة المتغيرات . وقد ثبت فسادها وعجزها عن إعطاء الإنسان أشواقه ومطامحه ،أين الاشتراكية والديمقراطية من منهج الإسلام الجامع الربانى القادر على العطاء على مدى الدهور والبيئات ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن ذلك تسميته (الحكومة الإسلامية بالحكومة الدينية) ، فهذا فيه تجن وخطأ ، فعبارة الحكومة الدينية لها مدلول تاريخى يتمثل فى كيان كهنوتى قام فعلا وطال مكثه ، وكان الدين النصرانى يستغل أبشع الاستغلال فى دعمه

وإخضاع الناس له . إن الإسلام فى فترات استغلاله من بعض الخلفاء والحكام لم يمنح أياً منهم سلطة بأبوية كهنوتية ، لأنه لا يتسع لأى كهنوت لا فى تعاليمه ولا فى تطبيقاته ، من أجل هذا كان تسمية الحكومات الإسلامية المنحرفة بالحكومات الدينية وتحميل الإسلام وزرها أمر مجاف لكل صواب (وأن إجماع المسلمين على ضرورة قيام الدولة الإسلامية مستمد مما انتظمه القرآن والسنة من آيات وتوجيهات ، كما أنه مستمد من حركة الإسلام خلال التاريخ الطويل ، فالقرآن لم ينزل على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ليتعبد به المؤمنون فحسب . بل ليكون أولا منهجاً للحكم يحكم به الرسول صلى الله عليه وسلم أمته المسلمة بما أراه الله – أى بما رسم له فى هذا القرآن من سبيل وما قنن فيه من قانون : **« فاحكم بينهم بما أنزل الله »** . (المائدة – ٤٨)

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم . . . » .

(المائدة – ٤٩)

(٢)

كانت كتابات خالد محمد خالد المجددة فى مجلة الدوحة تلخيصاً لكتبه القديمة ، التى صدرت قبل ذلك ، ولم يكن لديه شىء جديد ، وهو فى تلخيصها وقع فى عدة أخطاء منها أن الأجواء التى كانت تقال فيها هذه الكلمات قد تغيرت ، فأصبحت لا تجد صدى ، ومنها أن مراجعات كثيرة ظهرت لمسائل كان يسوقها سوقاً ، قد وجد من يكشف خطأها ، ولذلك توالت الردود التى تدحض تقولاته ، وتكشف أخطائه .

وقد سقط أكثر من مرة فى موضوعات هامة منها موقفه من معركة كربلاء .

فهو حين عرض لها لم يكتف ببيان أن الولاء يجب أن يكون للحق وحده دون غيره وأن خروج الحسين رضى الله عنه لم يكن لتحقيق مغنم أو لبناء مجد شخصى ، وإنما كان لإحقاق الحق وتضحية جليلة فى سبيل هذا الحق ، وقد استشهد الحسين فى سبيل ما اعتقد أنه حق وصواب ، غير أنه – على حد مراجعة الأستاذ إسماعيل الكيلانى – جاء بروايات يلمح القارئ من خلالها تكفيراً لواحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وليته عند اختباره ما اختار من روايات قام بتمحيصها ما دام يريد أن يرتب عليها قضية ، كما كان يفعل أسلافنا المحدثين ، وليته ذكرها للقارئ بسندها حيث لا تخرج فى حقيقتها عن كونها رواية من مجموعة روايات تحتمل الصدق وغيره قابلة للتمحيص والاختبار . أورد رواية يشكك فى إسلام أبو سفيان بن حرب ، وما زعم من أنه وقف على قبر سيد الشهداء حمزة وقال :

ــ إن الأمر الذى اختلدنا عليه بالسيوف قد صار إلى غلمان بنى أمية »
هل كان حمزة يختلد مع بنى أمية على الملك أم أنه كان يجاهد لإعلاء كلمة الله تعالى وقد استشهد فى سبيلها ؟

لقد كان أبو سفيان من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه عاد فأسلم والإسلام يجب ما قبله ، واشترك مع المسلمين فى معركة اليرموك .
ومن هذا نجد هذا التجنى على حقائق التاريخ .

وما هى مسوغات التشكيك من الناحية العملية ؟ وما هى فوائده لمجتمع المسلمين اليوم إلا تعميق الهوة وإيجاد الشروخ وتكريس التنابذ وإثارة الأحقاد.

لقد قال : إننى كنت قلت ما قلت بفصل الدين عن الدولة متأثر بفكر مسيحى عن الحكومات الدينية ، ولا سيما تلك التى قامت فى ظل الكنيسة فى أوربا فى عصور الظلام ناسياً يومها أن الإسلام مختلف جداً وأن الدولة بشكلها ومضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى .

هل يقبل خالد بعد أن تراجع أن ينسب إليه ذلك الموقف الذى تبرأ منه ، فكيف يجيز لنفسه أن ينسب لأبا سفيان موقفا تبرأ إلى الله عز وجل منه بقوله وفعله وجهاده فى سبيل هذا الدين . إننا نقرأ فى كتب التاريخ كثيراً من الأخبار التى نسبها بعض الشعوبيين إلى بنى أمية وبنى العباس ، هى أخطر ما ينسب إلى خلفاء ورجال ، ونقرأ كذلك فى كتب القصاصين أخباراً منسوبة إلى الخلفاء وأهل العلم والأدب هى أقبح كثيراً مما نقرأه لدى المؤرخين والحقيقة التى يجب ألا تغيب عن الأذهان أن النزاع السياسى بين هذه الشيع المختلفة هو الذى أدخل كثيراً من الشوائب فى التاريخ الإسلامى

ولا سيما فترة صدر الإسلام والأمويين فالحقائق تشبه الدر الملقى بين أشواك حيث يحتاج استخراجه إلى روية وأناة وصبر وتقليب نظر ، أما يزيد بن معاوية الذى يسميه الكاتب (يزيد القرود) ويقول : إنه كان يتلهى عن أمر الإسلام والمسلمين بفهوده وقروده . فإن الأخطاء التى حدثت وارتكبت فى عهده لا تجيز لنا أن ننسب إليه ما ليس منه والأمانة العلمية يقتضيها التثبت أولا وعدم تضخيم هذه الأخطاء ، فأن فيها أحقاد وسخائم قرون متطاولة علينا أن نذكر الحقيقة كاملة ولا تكتفى بالسوء من القول وباطله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه (منهاج السنة) الجزء الثانى والذى نقله غير واحد : إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين رضى الله عنه ولا كان له غرض فى ذلك ، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما أمره بذلك والده ، ولكنه كان يختار أن يمتنع الحسين من الولاية والخروج عليه ، فلما قدم الحسين وعلم أن أهل العراق يخذلونه ويسلمونه طلب أن يرجع إلى يزيد أو يرجع إلى بلده أو يذهب إلى الثغر فمنعوه من ذلك حتى يستأسر فقاتلوه حتى قتل مظلوماً شهيداً رضى الله عنه وأن خبر مقتله لما بلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله ولم تسب له حريما أصلا ، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلدهم وقال : لعن الله ابن مرجانة ، يعنى (عبد الله بن زياد) ، أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله ، وقد كنت أرضى من طاعة أهل العراق دون مقتل الحسين (انظر : أيضاً ابن كثير والطبرى فى حوادث عام ٦١ هـ) لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ولا أمر بقتل قاتله ولا أخذ بثأره وما عدا ذلك فتزيد وافتراء . إن الوضع فى الأخبار والتزيد فيها والتجنى على حقائق التاريخ كان يتم قديماً لمصلحة الشعوبية عدوة الإسلام والمسلمين وفى عصرنا الحاضر يتم على أيدى أصحاب النزعة الاستعمارية التى كان همهم إثارة أحقاد الماضى الدفين ، وإيقاظ سخائم النفوس بغية إبعاد المسلمين عن أمجاد تاريخهم التليد بقطع صلتهم بالجيل القدوة . ومن هنا وجب على كل من يتصدى لحوادث ذلك التاريخ اليوم ألا يختار من الروايات إلا ما يصح حسب قواعد النقد العلمى التى وضعها أسلافنا رحمهم الله لتحقق للمسلمين خيراً فى حياتهم المعاصرة وينير الطريق للأجيال القادمة والله من وراء القصد» ا.هـ

(٣)

أما أكبر أخطاء خالد محمد خالد فهو دعايته لإخوان الصفا وقولته العريضة : بأنهم أحرار الفكر ، والحقيقة أنهم ليسوا من المفكرين الأحرار ولكنهم جماعة سرية هدامة ، ومن أخطائه قوله : إن أخناتون واحد من الأفذاذ الذين يختارهم الضمير الإنسانى لكى يقوموا بعمل جيل أو أجيال ، ونحن نسأل الشيخ خالد : ما هو الضمير الإنسانى الذى يقصده ؟ هل هو شيء غير الإسلام ؟ ، وإذا كان غير الإسلام فنحن نرفضه . إن هذه الكلمات التى يلوكها خالد محمد خالد وغيره ، هى كلمات نثرها أصحاب مخططات بروتوكولات صهيون والماسونية وأذاعوها لخداع الناس عن الحقيقة المضيئة المشرقة الوحيدة فى هذا الكون وهى كلمة التوحيد ، وأن كلمات الإنسانية هذه المطروقة كانت خادمة فى يوم ما لأهداف خطيرة وإذا كان خالد محمد خالد اليوم سنة ١٩٨٠ يردد الكلمات التى كان يكتبها فى مطالع حياته الفكرية سنة ١٩٥٠ وما بعدها ، فإنه يثبت أنه لم يتقدم خطوة واحدة فى سبيل الوصول إلى الحقيقة ، وأنه مع الأسف لم يجدد نفسه ولم يتابع تطور الفكر فيصحح الآراء التى كان تتمسك بها دعاة اللبيرالية المنهزمة والفلسفات الباطلة ، والتى كان يدعيها أولئك الذين يريدون أن يقولوا : إنهم من المتفرنجين التابعين لتيارات طه حسين وسلامة موسى فى الحديث عن إخوان الصفا وأخناتون ، وهى معانى أصبحت اليوم منقوضة وقد كشف النقاب عن فساد وجهتها .

إن محاولة خالد محمد خالد فهم الإسلام فى إطار مفاهيم الغرب (الديمقراطية والاشتراكية) يكشف عن حقائق أقل ما فيها هى عدم القدرة على الخروج من التبعية إلى الأصالة وهو الذى درس علوم الإسلام قبل أن يتصل بالفلسفات المادية وهذه الكلمات التى يقولها لا تقل عن كلمات الماسونيين والماركسيين ودعاة الفكر الغربى .

أما الادعاء بأن كل من ادعى التوحيد على مفهوم ما فهو توحيد الإسلام فذلك أمر مرفوض تماماً . إن هذه هى عبارات الماسون ، أخناتون كان

موحداً وأفلاطون ، وأرسطو . . لا ، نحن لا نؤمن إلا بالتوحيد الخالص الذى عرفه الإسلام وهو إسلام النفس لله .

أما إخوان الصفا الذى انخدع فيهم خالد محمد خالد فهم جماعة سرية ، وقد تبين من مراجعات كثيرة – للمستشرقين قبل الإسلاميين – أنهم كانوا يدعون إلى غاية مقصودة وهى إقامة إمام بعينه ، ولكنهم أحاطوا هذه الصراحة بلون من دقة البحث ونعومة النسيج وإتقان الصقل ، كما يقول أحد الذين ردوا على خالد (عبد الأمير غلوش) فقد أسسوا جمعية سرية هدامة فى مطلع القرن الرابع الهجرى أفرغت على نفسها هذا اللقب البراق الخادع ،ظاهرها طلب المعرفة والانتصار لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وباطنها هدم بيت محمد صلى الله عليه وسلم أى دينه الشريف السمح ، وإزالة دولته الموحدة من الوجود وإقامة دولة لها دين مزيج من إسلام ووثنية لا يستطاع فصل أحدهما عن الآخر ، وقد ألف هؤلاء الدجالون عدة رسائل أطلقوا عليها رسائل إخوان الصفا ، وهى عبارة عن سياحة تنتقل بك من حقيقة إلى خرافة ، ومن حق إلى باطل ، ومن منطق إلى سفسطة ، فهى سياحة متموجة ذات تعاريج وتضاريس ومنعطفات ملغمة بأنماط من تعاليم مرذك ومانى وزرادشت ، وهم قوم ملحدون وزنادقة يموهون بمظاهره كل فرقة بينهم ويجرون فى ذلك مجرى المجوس والماسونية التى استهوت مختلف الطوائف والأنماط ، فهم أعرف الناس بدس السم فى الدسم وتارة باسم المعرفة وتارة باسم البركات والنفحات الروحانية . وقد انخدع فى أعمال هذه الجمعية السرية ورسائلها كثير من رجالات الفكر والأدب والدين ، كما خدعت واستهوت الماسونية مثل هذا الجمع الغفير ، ومن ذوى الميول والغايات دون أن يعلموا أنها خدنية الصهيونية العالمية . إن رسائل إخوان الصفا التى تترجم عن أفكار ابن ميمون لم تخلص للإسلام ولو أنها أخلصت لاعتذر عنها ، أرادت توجيه الإسلام توجيهاً فلسفياً مع حفظ الجوهر ناظرة إلى تطورات الزمن ولكنها لم تكن كذلك بل لوثت الإسلام ، وأقل نتائجها أنها جرؤت على تحريف القرآن الكريم وإخراجه عن ظاهر التفصيل إلى بواطن التأويل ، كل ذلك تحت ستار الزهد المبرقع والانقطاع إلى الله كما فعل الكثيرون من دعاتهم دون أن يفطن أحد إلى مراميهم الهدامة .

إن هذه النحلة الهدامة تحاول صبغ الملة الإسلامية صبغة الأساليب الوثنية المنضمة للشرك والعبودية والرجوع بالمسلمين إلى الولاء بعد أن ذاقوا نعمة التوحيد الحر الخالص .

وسكت الأستاذ خالد إزاء ما وجه إليه ولم يحر جواباً ، سواء فى مسألة الحسين أو فى إخوان الصفا أو فى غيرهما لأنه فوجىء بجو مختلف عن ذلك الجو الذى كان يسبح فيه فى الخمسينيات ، لقد اتسعت دائرة اليقظة الإسلامية وكان عليها أن تكشف الزيف ، قد يكون ما قاله خالد محمد خالد بحسن نية ، ولكن أين وعى المثقف المتابع لتيارات الفكر الإسلامى ، وكيف يغفل عن الكاتب عن ترشيد أفكاره والارتفاع فوق النظريات الاستشراقية المضطربة فيبدو كأنه تجمد عند موقف قديم .

* * *

(٢)

أحمد بهاء

هذا واحد من أعداء الإسلام الذين تسربلوا بأساليب التقية والحيطة وتغيير الوسائل فى مواجهة الأحداث ولكن الغاية تظل واحدة وقائمة ، مهما اختلفت الطرق والأساليب ، وقد أتيحت له الفرصة واسعة لهذا العمل عندما تولى تحرير مجلة العربى الذائعة الصيت سنوات ، ففتح أبوابها للماركسيين واليساريين والعلمانيين وحشد السموم من خلال أقلام كثيرة ومخطط واضح وهو من دعاة الربا والناصرية والبعث والاشتراكية ،وهو من تلك الجماعة التى أتيحت لها الفرصة فى ظل ظروف مصر القاسية فى الستينات عندما فرض على مصر تسليم الإعلام والصحافة والمسرح للماركسيين ليبثوا سمومهم فتولى دار الهلال ورأس تحرير الأهرام،ثم كان فى مقدمة من تركوا مصر عندما وجدوا الفرصة الذهبية هنالك ، فعملوا فى الصحافة العربية وكسبوا الكثير ، ثم عاد بعد أن هدأت الظروف لينتقل بين غرف مفروشة فى لندن وباريس وحسابات مرصودة وأشد حملات قلمه على علماء الإسلام . وقد تولى تلك الحملة المسمومة على العلامة الكبير الشيخ أبو زهرة فى سنوات حياته الأخيرة ، وكانت فى الأخير حملته على الشيخ الشعراوى ، وهو يحاول عبثاً أن يهاجم دور الأزهر وعلماء المسلمين من حدود الله ومن الشريعة الإسلامية ، فقد أبدى أكثر من مرة اعتراضه على حق الأزهر الشريف وعلمائه فى الأدلاء بآرائهم والفتوى فيما يعرض للناس من كل مشاكل متصوراً أنه سوف يسلب الأزهر وعلماءه واجباً أكيداً وأصيلا ظل يقوم به على مدى ألف سنة كاملة ، وكان بهاء قد كتب قبل ذلك يقول : إن أى نشاط دينى أو جماعة دينية يؤدى بالضرورة إلى الإرهاب ومحاولة قلب نظام الحكم ، ولذا يجب استئصال الأنشطة الدينية أصلا . وقال : إن هذا هو رأى السادات قاله له قبل سنوات .

قال أحمد بهاء : يريد بعض الناس أن تنصب أقواس النصر لعدد من الصحفيين والكتاب الذين خرجوا من مصر ثم عادوا والذين كتبوا يشتمون مصر فى الخارج ويسيئون إليها والآن يتصورون أنهم أبطال ، لأنهم حملوا لواء المعارضة عندما خرست الألسنة ودقت طبول النفاق وهذا منطق عجيب أو إعطاء الأشياء عكس معناها ، يقول الكاتب الذى عرض هذا برد على بهاء : أنا أقول بمنتهى الصراحة إن هؤلاء خرجوا من أجل المال ليكسبوا الألوف ومئات الألوف ، وأنه لا أحد منهم صاحب مبدأ ولا صاحب فكر ولكن صاحب دينار ودرهم وصاحب دولارات تدفع ، لقد اتخذ هؤلاء جميعاً مصر سلعة تباع وشعب مصر تجارة رابحة ، وكانت لكل كلمة يكتبونها ثمن مدفوع وثمن باهظ وكونوا الثروات من تجـارة الكلمة بالباطل ، وعندما أحسوا أن الجو العربى بدأ يتحسن وأن الذين كانوا يدفعون لن يدفعوا فى المستقبل ، عندما أحسوا أن تجارتهم قد بدأت تبور أسرعوا عائدين ، وقد أكد (رجب البنا) فى الأهرام أن الأزهر ليس كالفاتيكان وهذه قضية محسومة فى الفكر الإسلامى ولكنى أردت أن يقوم الأزهر ويأخذ مكانه فى الصدارة ويعيد النظر فى قانونه ونظامه .

وفى صدد حملته على الأزهر وعلى الشيخ شعراوى كتب فايز حلاوة فى مجلة أكتوبر : لا أحد فينا فوق مستوى النقد وأولنا فى هذا الإمام الرفيق أحمد (بن ماركس) الذى أفزعته ودهولته آراء الداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى ، كما أفزعت وأرهبت إبليس ، فأعلن الحرب الهجومية عليه من مقره المؤقت فى باريس ، ومن المؤكد أن الرفيق أحمد (ابن ماركس) من أشد الناس وأكثرهم غيرة على الدين الإسلامى الحنيف ، وأنه قد تفوق ظاهراً وباطناً فى علوم الدين وفقه السنة وتعاليم إنجلترا وماركس ولينين وبرجنيف ، ومن المؤكد أن خلافه مع الشيخ الشعراوى ليس خلافاً شخصياً لا سمح الله ولا عقائدياً والعياذ بالله ، بل هو خلاف فقهى شرعى مذهبى ،ما شاهدت إجماعاً على الأسف والاستمرار مثلما حدث بمناسبة هذا التهجم المنكر على هذا الداعية المفكر المفسر ،أما ثالثة الأثافى فهى أن الرفيق (ابن ماركس) بصفته من كبار العلماء الواصلين قد أصدر فرمانا عنترياً بخلع الشيخ الشعراوى ،وحرمانه من الانتساب إلى رجال الدين ،وهو سلوك يتفق

تماماً مع تعاليم كارل ماركس الذى نادى صراحة بتحقير رجال الدين والقضاء على هيبتهم واحترامهم والإساءة إلى قدرهم . إن هذا صاروخ صنع فى موسكو وأطلق فى باريس . إن مشكلة وضع الشباب على الخط الإسلامى الصحيح ، قد أصبحت من أشد مشاكلنا إلحاحاً وأكبرها تعقيداً ولا أعرف لحساب من توجه الطعنات الطائشة إلى صدر واحد من خيرة علماء العصر وأغيرهم على تقوى المسلمين .

(٢)

ويقول الدكتور موسى شاهين لاشين : إنه كاتب معروف فى فكره واتجاهه وسلوكه وآرائه تعودنا منه التهجم على أفاضل العلماء محاولا الحط من قدرهم العالى وكرامتهم ، هذا الكاتب فى بلد دينه الإسلام ، يهاجم الشريعة الإسلامية ، التى كان عليها الخلفاء الراشدون والعلماء المجتهدون ، سخر الكاتب من ليلة القدر وسخر من هؤلاء الذين أمسكوا بالأقلام وأفتوا فى الحلال والحرام وعباد المادة واتباع لينين واللادينيون لبسوا مسوح الرهبان . وأطلقوا دموع التماسيح يبكون ضياع الدين وطعنوا فى العباد والعلماء وأصبحت ساحة الفكر الدينى خليط مزيج تعلوه الفوضى وأصوات الغوغاء . إن السخرية من الشريعة الإسلامية ومناسكها تخدم فكراً أجنبياً ونظاماً لا دينياً وهى تسىء إلى مصر والإسلام وتستخف بأحاسيس المسلمين .

وقال أحمد زين : ماذا يعنى الكاتب عندما قال عن ليلة القدر : إن الله سبحانه وتعالى يقيم فيها (أوكازيوناً) لعباده فيه بسعر الجملة أسهل وأرخص وهل يليق أن يقال عن الله سبحانه أنه يقيم أوكازيوناً ، وهل يجرؤ أن يقول الكاتب هذه الكلمة عمن استأجروه ليعمل عندهم ، أم إن الاستهزاء بالله واجب وأننا نخشى الناس ولا نخشى الله سبحانه وتعالى .

لقد قضى فى الكويت عدة سنوات كانت صحف الكويت خلالها تشن حملة عنيفة على مصر وشعب مصر فلم يفتح فمه بكلمة واحدة ليرد على الحملة خوفاً على الدنانير التى كان يتقاضاها ، وهذه سنة بعض الناس يهربون من الوطن عندما يصاب بنكبة .

إن كلام الكاتب هذا فيه من إساءة التعبير ما لا يخفى فى حق الخالق تبارك وتعالى لأن فيه يشبه فعل الله سبحانه بفعل البشر على صورة هزلية ، والله تبارك وتعالى منزة أن يتحدث عنه بصورة تشعر ولو من بعيد بالهزل ، فالكلام عنه سبحانه وتعالى يجب شرعاً وعقلا أن يكون متسماً بالخير وألا يكون منافياً مع الكمال المطلق المتصف به سبحانه .

وإذا كان أحمد بهاء لا يسمح لنفسه بل لا يجرؤ أن يتكلم بنفس هذه العبارة فى جانب رئيس الدولة ، فإنه يجب أن يعلم الجميع أن جانب الله هو الاسمى والأعظم وذاته سبحانه مقدسة لا يجوز شرعاً ولا عقلا المساس ولو من بعيد بجلالها » .

ويعاود أحمد بهاء المعركة من الشريعة الإسلامية فى صورة علماء الإسلام من أجل الربا (إن على علماء المسلمين أن يكفوا عن الحديث ، عن الربا ، والأزهر ليس فاتيكان حتى يحسم ويثور ، إنما الأزهر يجب أن يكون كما أقيم جامعة عليا لعلوم الدين ، الأزهر أو أى مؤسسة دينية رسمية ليست جهة اتخاذ قرار وليست سلطة إصدار تشريع ، تحليل وتحريم شهادات الاستثمار مثلا . إن استخدام السلطة لرجال الدين عبر تاريخ الدول الإسلامية كان دائماً وخيم العواقب) .

إن أحمد بهاء فى هذه التصريحات يريد أن يفرض أن مصر دولة علمانية متجاهلا نصوص الدستور عن الإسلام ، وأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للقوانين وهذه جرأة بالغة فى مواجهة قضايا الإسلام ، ولم يتوقف عند هذا الحد ، بل تابع دعوة التغريب المكارهة لموجة الإسلام الجديدة فهو يهاجم البنوك الإسلامية ويشكك فيها ويتهمها بأن فى معاملاتها ربا ، فى إطار حملة تشهير بالبنوك الإسلامية ، ذلك النبت الجديد الذى أينع والذى يغبط أعداء الإسلام ، وهى فى نفس الوقت حملة تهوين للربا لحساب البنوك الربوية ، وقد استخدم فى ذلك كل أسلحة الغمز والتعريض والشتم الصريح للمعارضين حيث يصف دعاء الإسلام بالجهل والعبث والافتراء والجمود بينما يصف نفسه بالدراية ، وقد جعل وسيلته للوصول إلى هدفه هدم أصول الإسلام ، ويقول : إن الشريعة الإسلامية ليست صالحة لكل زمان ومكان ،

وأن الصحابة غيروا الأحكام التى شرعها الرسول صلى الله عليه وسلم حسب تغير العرف والمصلحة لظنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصدر حكمه إلا فى ضوء الظروف القائمة ، والادعاء بأن شهادات الاستثمار تستثمر فى مشروعات خيرية ، بينما المعروف أنها تقرض مرة أخرى إلى الشعب بفائدة أكبر ،وبهذا يتضح أن مال شهادات الاستثمار تقرض بالربا ويصبح صاحب الشهادة آكلا مؤكلا للربا فى وقت واحد ، ولا شك أن أحمد بهاء يتصدى للرأى الإسلامى فى جريدة الأهرام لخدمة البنوك الربوية وهو يستعمل أسلوباً متعالياً لا يقبله أحد ولا يقنع أحداً بما يقول ، ويحاول أن يحرر مفاهيم المجتمع من رأى علماء الإسلام بدعوى أن ليس لهم الحق فى الإفتاء ، وهو حين يرد عليهم لا يقبل منه ذلك لأنه ليس متخصصاً .

يقول المستشار محمد كمال فراج : إن الكاتب لم يتحر شرعية الموضوع وإذا كان من حقه أن يكتب فى الصحف فالأولى بحكم القرآن أن يبغ بجميع وسائل النشر وليس فى الإسلام رجل دين بل حكم وحاكم ومحكوم منه ومحكوم عليه ، أى مكلف ، وفى لجنة الاقتصاد والمال بمجلس الشعب المصرى انتهينا إلى تحريم الربا بنص قطعى الدلالة وكان من معاملاته شهادات الاستثمار عدا المجموعة (ج ١) وروئى إمهال المتعاملين بالربا فترة يصححون خلالها أوضاعهم وفقه الإسلام يقيم الهيكل الاقتصادى على أرقى ما عرفه الفكر المعاصر ، وليس من الصحيح منهجياً تجريد الاقتصاد من جوانبه وقضى على الوصف اللاربوى ،ومنهج الإسلام أنه كفاء، وشفاء ، ووفاء ، ووقاء ولا اتفق مع القول بالبديل الشرعى ، فالبديل يقتضى المساواة ولكن الربا تخريب للاقتصاد بالمفهوم الاقتصادى ،على أن فكرة القيمة فى القرآن تمتاز عن دلالتها فى الاقتصاد فهماً يتعلق بكل مال له منفعة تحافظ على بقاء الكون إحياء وإنماء ، والربا أسلوب تعامل فهو وسيلة لا يتعداها إلى الغاية فلا يكون المبادل إلا بين قيمتين محدودتين ، وهذا أصل فى البيوع فى القانون المقارن والمنقول بالدليل على الفقه القرآنى فى تحديد محل الالتزام ، والكاتب زميل فى هذا التخصص ولم يتخذ هذا القرار فى مجلس الشعب إلا بعد الموافقة الاجتماعية للمؤسسات المتعاملة بالربا ، والبنك الدولى ذاته عدل عليه نظام

الإقراض بفوائد إلى نظام المشاركة ، فراحت معاملاته من نسبة ١,٢٥٪ إلى ما يزيد على ٢٥٪ ، وفى الإسلام يكفل الاستغلال لعلماء الدين إلا من اتباع الفقه ليتحرروا من ابتداع الفكر ، وقالت مجلة البنوك الإسلامية : إن بهاء بدأ بالتشكيك دون إلمام تام ووقوف على الأشياء فى المناشط والمعاملات الاقتصادية الإسلامية . إن البنوك الإسلامية كنشاط مصرفى قائم على الشريعة الإسلامية هى حلقة من المنظومة الاقتصادية التى تهدف أولا وأخيراً إلى تحرير المجتمعات الإسلامية من سوءة الربا وقبضة المؤسسات الربوية وهى بالحق النظام الاقتصادى البديل الذى برز إلى دنيا الواقع ، وقد برهنت هذه المؤسسات على أنها أوعية لها من الفاعلين والاستجابة لأغراض المجتمعات ما تجعلها تبز الأدعية والهياكل التقليدية القائمة وتتفوق عليها .

(٣)

فإذا أضفنا إلى ذلك أن أحمد بهاء دائم السخرية يكتب التراث فى التفسير والحديث والفقه ويحاول تقليل من شأن أئمة هذه العلوم ، يقول : الكتب القديمة التى يعتبرها البعض تراثاً رغم أنها كلام فيه سخف عظيم لا يقدم ولا يؤخر ، وهدف الكاتب من هذا التهجم أن ينصب نفسه وأقرانه أئمة مجتهدين فى دين الله يحلون آرائهم محل شريعة الله ، وإذا كان هذا هو رأى أحمد بهاء فى التراث الإسلامى فهل هو هذا رأيه فى التراث اليونانى والرومانى القديم ؟ أعتقد أن لا ، فتلك مقدسات أكبر وأعظم من التراث الإسلامى فى نظره .

وهكذا يعمل التقدميون العلمانيون الماديون ، على مهاجمة القيم الإسلامية والتراث الإسلامى والطعن فى الشريعة الإسلامية ، وتبريز الفكر الأجنبى والوافد وخاصة الفكر (الماركسى اللينينى) ، فذلك شىء مقدس .

وحين تولى أحمد بهاء مجلة العربى ، تولى رجاء النقاش مجلة الدوحة ، ومن خلالها انتشرت سموم الفكر الوثنى والماركسى ، حيث نرى من يدعو إلى معارضة مصادرة الكتب التى تهاجم الإسلام ، أنهم يرون أنهم فى مرحلة جديدة بعد هزيمة الماركسية والناصرية فى البلاد العربية ، ولكنهم يزحفون حيث ينتفعون بالتناقض بين مصر وبعض البلاد العربية . إن المحاولة مستمرة

داخل قفازات من حرير وبأساليب الغزو الفكرى عن طريق تغيير العقلية الإسلامية والأعراف الإسلامية إلى عقلية تابعة خاضعة للوافد سواء من الفكر الغربى الماركسى أو الرأسمالى على السواء . إن هدف هؤلاء جميعاً ماركسيين ، وليبراليين ، احتواء الفكر الإسلامى وتغريب المجتمع الإسلامى تحت اسم الحضارة والتقدم . إننا لن نقبل رأى (تويمبى) الذى طالما ردده أحمد بهاء من أن استيعاب التكنولوجيا مرتبط باستيعاب التجربة السياسية الغربية . إننا نحن المسلمون لن نقبل التكنولوجيا والعلوم الحديثة إلا كمواد خام نشكلها فى دائرة فكرنا ونصنع منها حضارة الإسلام ولن نكون أتباعاً أو قابلين لدائرة الاحتواء.إن هؤلاء التغريبيون نتاج غير أصيل يحمون أهداف الهزيمة والانحلال عن طريق أسلوب لين خادع ، كتب أحد الكتاب يعرف بصديقه فقال : (له لون سياسى معروف ارتحل لكى يضع نفسه فى خدمه أهداف بعيده عن رسالة القلم وبعيدة عن أمانة الكلمة ، ولكى يروج الأكاذيب ويشوه الصورة السياسية والاجتماعية ولم يكن الأجر المقبوض عن هذه الكلمات السوداء هو الأجر الشرعى القانونى ، بل كان رشوة مستترة يوزن فيها السطر الواحد وتوزن فيها درجة حرارة الشتائم والتشويه والتشهير بمثاقيل الأصفر الرنان) .

ويتحدث أحمد بهاء عن جيله ، ولا يستحى بأن جيله هذا هو جيل الستينات اللعين ، الذى كان أسوأ جيل شهدته البلاد العربية وفيه نفقت فلسفات الهزيمة والشعوبية ، وقد بدأ هذا التيار فى مجلة العربى بالحديث عن فتحى غانم ، وصلاح عبد الصبور ، ومن الطبيعى أن تتفق هذه الذيول المتبقية من جماعة الهزيمة وأن تدافع عن الفن القصصى الماركسى الذى قدمه فتحى غانم ، ونعمان عاشور وغيرهم ، وعن الشعر الحر الذى قدمه أدونيس والسياب ، وحجازى ، وعبد الصبور وهم يحاولون تركيز هذين التيارين المنهارين وإحيائهما بعد السقوط ،ويحول أحمد بهاء فى افتتاحه مجلة كالعربى العمل لترويج هذه المفاهيم الزائفة ، بعد أن كانت المجلة فى أيام أحمد زكى تقدم عرضاً شاملا للعالم وتياراته وتحولاته . إن مجلة العربى قد استخدمت خلال فترة تزيد عن سبعة سنوات لخدمة الفكر المعادى للإسلام وتجمع فيها كل اليساريين والشعوبيين والزنادقة ، وإثارة مفاهيم الماركسية والعلمانية فى غلاف براق ،ومعهم فهمى هويدى يمركس الإسلام ويثير الشبهات .

(٣)

محمد عمارة

إن بدعة اليسار الإسلامى التى ظهرت فى السنوات الأخيرة كانت بمثابة عملية تمويه كبرى ، فإن دعاتها يحاولون أن يضعوا أنفسهم فى صفوف الباحثين المسلمين وهم يتناولون المسائل الإسلامية بجرأة بالغة ، ويصدرون منها عن مفهوم ناقص :

أولا : من حيث أنهم لا يؤمنون بالإسلام كنظام مجتمع ومنهج حياة ويحاولون إخضاعه لنظريات التطور التى خضع لها الفكر المسيحى الغربى ، ومن حيث سوء عقيدتهم فى الوحى والنبوة فهم يحاكمون الإسلام كنظام بشرى ويحاولون إيجاد الثغرات فى جوانبه يعتمدون فيها على ظاهر بعض الأحاديث كحديث : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » الذى يتخذونه تكأة للقول : بأن الإسلام دين عبادة ولاهوت ، وأنه يترك للمسلمين الحرية فى اتخاذ مناهج الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وليس الأمر كذلك ولم يكن هذا الإطار الذى قيل فبه الحديث ولا هذه هى الوجهة فيه .

ثانياً : من حيث أنهم يعلون من شأن النزعة القومية بمفهومها العلمانى ويجعلونها أساساً ومصدراً ، ويجعلون الإسلام قطاعاً منها وهذا ما لم يقل به مفكر مسلم أصيل ، ذلك أن العرب قبل نزول الإسلام لم تكن لهم قومية واضحة وقد خلا شعرهم وكتاباتهم من ذكر العروبة وأن الإسلام هو الذى جمعهم عليها وجعلها فى إطار الإسلام ، فالإسلام هو الذى صنع للعرب مجدهم وهم لم يكونوا إلا شيئاً مبعثراً ولن يكونوا وكيف يمكن أن يوضع المنهج الإسلامى الجامع الفسيح الجوانب الشامل للعقيدة والمعاملات والأخلاق ، موضع النظرية القومية ، التى تتعلق بالجنس والدم والعرق ، صحيح أن الإسلام لم ينكر الإعراق ولكنه جعلها فى إطار الإسلام وجعلها سمحة كريمة واسعة الأفق ، قابلة للالتقاء مع القوميات

الأخرى تحت لواء الأخوة الإسلامية وحررها من العنصرية والكراهية والاستعلاء ، ونقاها من دعوى الجاهلية .

ثالثاً : من حيث إيمانهم بالنظرية المادية والتفسير المادى للتاريخ والإيمان بالصراع الطبقى وهذه كلها مفاهيم النظرية الماركسية التى لا يمكن أن يخضع لها التاريخ الإسلامى ، ولا الواقع الإسلامى ، هذا فضلا عن فساد فكرة (اليسار الإسلامى) ، فليس فى الإسلام يمين ويسار ، ولكن هناك منهج الله تبارك وتعالى يعمل الجميع حاكمين ومحكومين على تطبيقه ، والالتزام به والعمل فى إطاره ، مع السماح لاختلاف وجهات النظر وخلاف أمتى رحمة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : موقفهم الحاقد من الدولة العثمانية وإنكارهم فضلها فى حماية الإسلام أكثر من أربعة قرون فى مواجهة الحملات الصليبية المتجددة فضلا عن موقف السلطان عبد الحميد الحاسم فى مواجهة الصهيونية العالمية

ولكن الهدف المضمر وراء هذه المحاولات هى اتخاذ الإسلام ستاراً لهدم مقوماته فى نظر أتباعه من خلال إغرائهم بأنهم يتكلمون بلغة إسلامية ، غير أن الغرض الواضح معروف وهو تفتيت الإسلام وإخراجه عن مفهومه الجامع ، واتخاذه أداة لتبرير الواقع من مثل دعواهم بأن الخلفاء غيروا بعض التصرفات التى جرى عليها المجتمع فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويرمى كل هذا إلى الوصول إلى ما لا يقره الإسلام هو تبرير :

١ — القوميات بمفهومها الغربى .

٢ — أو قبول مناقض المجتمعات الإسلامية كالخمر والزنا والربا تحت أى محاولات لتبرير ذلك أو التهوين من شأنه .

وفى الأخير إنما تجرى هذه المحاولات بقوة فى هذه الأيام ، لتأخير تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية والتوهين من شأنها ومن نتائجها خدمة للنفوذ الغربى الذى يرغب فى هذا ،والذى يرمى إلى محاولات لوضع الإسلام فى مستوى بعض النحل وذلك للقضاء على ذاتيته وتميزه الخاص على النحو الذى يسعى إليه دعاة (الحوار) وغيرهم .

وقد جرى الدكتور محمد عمارة شوطاً طويلا فى تجديد كتابات جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، والكواكبى واستغل نصوص هذه الكتابات فى خدمة قضايا مثارة : كقضية المرأة ، أو قضية المعاملات مع أن اجتهادات الشيخ محمد عبده كانت لعصرها ولوقتها ، ولا يمكن أن تكون صالحة لعصرنا بعد مرور أكثر من سبعين عاماً ، وبمراجعة كتاب (تجديد الفكر الإسلامى : محمد عبده ومدرسته) للدكتور عمارة يتبين إلى حد أمكن استغلال تراث الفكر الإسلامى لخدمة الماركسية والمذاهب القائمة على التفسير المادى للتاريخ وهى محاولة خطيرة ترمى إلى استغلال النصوص القديمة ومن ذلك ترجمتهم لبعض الشخصيات الإسلامية على النحو الذى قام به عبد الرحمن الشرقاوى وما كتبه أحمد عباس صالح عن اليمين واليسار فى تاريخ الإسلام وما كتبه أحمد عبد المعطى حجازى عن السيرة وهذه ظاهرة فى حاجة إلى دراسة لأنها تمتد وتمتد حتى تتصل بكل التراث الإسلامى فى محاولة لتقديم مفهوم جديد يختلف عن المفهوم الأصيل (وهم يرون أن طه حسين ، وهيكل ، العقاد) قد فتحوا لهم الطريق إلى التفسير المادى للتاريخ الإسلامى .

وقد عنى الماركسيون فى الفترة الماضية برجلين : الطهطاوى الذى اعتبروه مدخلا إلى الفكر الغربى ، و (الكواكبى) الذى اعتبروه مدخلا إلى القومية ، وفى السنوات الأخيرة استخدم الماركسيون آراء الشيخ محمد عبده استخداماً واسعاً فى سبيل الحيلولة دون الفهم السلفى الأصيل ، حيث كان الشيخ محمد عبده يحاول عن طريق التأويل محاولات يرمى بها إلى الدفاع عن الإسلام من اتهام الغربيين له بالجمود .

٢ — ومن أخطاء الدكتور محمد عمارة فى ضوء مفهوم الإسلام تفسيره للحروب الصليبية ومقاومة المماليك للتتار وغيرها على أنها معارك عربية قومية بينما هى معارك إسلامية حقيقية كان يديرها المرابطون والمجاهدون المسلمين ورجال الطرق الصوفية . ومن العجيب أن يقال : إن حروب التتار ، والحروب الصليبية هى حروب عربية قومية ، وهى مرتبطة أساساً ببزوغ الإسلام وأثره فى السيطرة على مناطق كانت فى حوزة الدولة الرومانية فى الشام ومصر والمغرب ، وقد امتدت هذه المعارك منذ ظهور الإسلام

بين المسلمين على حدود الشام والدولة البيزنطية ، ثم اتسعت إلى حروب صليبية فى الشام وحروب الفرنجة فى المغرب بمحاولة استرداد الأندلس ، كل هذا دار فى إطار الصراع الذى أثاره الغرب فى دعوته إلى القول : بأن كل ما كان فى يد المسيحية يجب أن يعود إليه ، فكيف يمكن القبول بدعوى محمد عمارة وحاشيته فى إنكار هذا الفهم الحقيقى ، وحصره فى كلمة عروبة مع أن كلمة العروبة لم تكن موجودة فى ذلك الفترة ، والمعروف أن كلمة العروبة لم تظهر حقيقة إلا بعد سقوط الدولة العثمانية عام ١٩١٨ .

٣ — كذلك فإن هذه الحملة الضارية على الدولة العثمانية (الدولة الإسلامية التى حمت العالم الإسلامى أكثر من أربعة قرون من عودة الحروب الصليبية الأوربية) تواجه دائماً بالكراهية والانتقاص من عمارة والماركسيين جميعاً ، لأنها الدولة الإسلامية التى غزت أوربا والتى يحمل لها الأوربيون مثل حقد العلمانيين تماماً ، فإذا كان هناك مدخل حقيقى لدور ينسب إلى الدولة العثمانية فى صراع مع العرب أو محاولتهم تتريك العناصر أو تعليق زعمائهم على المشانق فإن الإنصاف يقتضينا أن ننسب هذا الدور إلى القائمين به وهم الاتحاديون أصدقاء الدونمة والذين شكلتهم المحافل الماسونية وأصحاب الدعوة القومية المفرغة من الإسلام ، والداعية إلى الطورانية ، وهم الذين حكموا منذ عزل السلطان عبد الحميد عام (١٩٠٨ — ١٩١٨) وهم الذين سلموا طرابلس الغرب لإيطاليا ، وسلموا فلسطين للصهيونية ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العظمى فى صف الألمان ، هؤلاء أولياء الصهيونية وعملاء العلمانية والذين غرسوا مفاهيمهم فى أحزاب عربية كثيرة ، وحمل لواء الدعوة القومية على مفاهيمهم شيخ دعاتها ساطع الحصرى ومن ورائه زكى الأرسوزى ، وميشيل عفلق ، وجورج حبش وغيرهم .

ولا بد أن تتلاقى مفاهيم محمد عمارة مع هؤلاء الذين ينتسبون إلى الماركسية والقومية المفرغة .

وحين تقرأ كتابات محمد عمارة عن الوهابية والسنوسية والمهدية ، نجد الهدف واضحاً وهو ضرب الوحدة الإسلامية القائمة باستثارة شبهات وهدم

قيمه ، وذلك من إدخاله عبارة جبهة العروبة ، وما يسميه عروة الدولة والفكر والحضارة حيث لم يكن هناك ما يسمى بهذا الاسم .

وتأويل التاريخ الإسلامى من تفسيرات القوميين والإقليميين والماركسيين فكل منهم يحاول أن يفرض على هذا التاريخ مفاهيمه وتفسيراته ، وفى أبان الدعوة القومية برز كتاب كثيرون بلوكون عبارات القومية العربية ويوزعونها على الدول الأموية والعباسية وغيرها بغير حساب .

ويحاول محمد عمارة أن يصور السنوسية والوهابية والمهدية وكأنها معارضة للدولة العثمانية ومعتبرة إياها دولة استعمارية ، ولم يكن الأمر كذلك فى الحقيقة .

إن خطأ عمارة أنه يفسر التاريخ بأهواء القوميات والماركسيات المعاصرة التى تريد أن ترتد إلى الوراء لتجعل لها جذوراً غير حقيقية ، وهى تعتمد فى ذلك على خيوط واهية منها ذلك الخيط الذى تردى فيه الكواكبى وهو الخلافة العربية ، وما يسمى بالتسلط العثمانى فى حكم ما يسمى بالأمة العربية ، حيث لم يكن هناك مفهوم يسمى الاستعمار فى هذه المرحلة أو فى هذه المعركة ، وكلمة الاستعمار كلمة مستحدثة ارتبطت بالاستعمار الغربى وحده ، أما العلاقة بين الدولة العثمانية والعرب (سواء المصريين أو السوريين أو الجزائريين أو التونسيين) ، فقد كانت علاقة الأخوة الإسلامية وعلاقة استعانة الجزء بالكل فى سبيل مواجهة الخطر الغربى المتحفز الذى كان يستعد بعد انتهاء الحروب الصليبية إلى جولة أخرى لولا هذه الوحدة التى طالبت بها مصر وتونس وغيرها الدولة العثمانية بصفتها دولة إسلامية تجمعها وإياها كلمة « لا إله إلا الله » .

وكل التفسيرات التى تحاول أن تصور الأمر على غير هذا فهى تفسيرات ضالة ، ولقد حضرنا الملتقى الإسلامى فى الجزائر عام ١٩٧٢ ونوقشت هذه القضايا مناقشة واسعة . إن هذا الاتجاه الذى يحاول أن يصور الوهابية والسنوسية والمهدية فى صورة معارضة سياسية للدولة العثمانية ومعتبرة إياها دولة استعمارية هو اتجاه مرواغ غير صحيح وليس هناك أى سند له أو أى

دليل ، فإن المسلمين فى هذه المرحلة لم يعرفوا هذا (الاتجاه العروبى) المفروض من بعد على تفسير التاريخ فى مراحل سابقة لوجوده مثلا ، ولعل هذا انسياق وراء التيار البعثى والماركسى الذى يحاول أن يفسر التاريخ الإسلامى تفسيراً يخرج به من مفهوم (الجامعة الإسلامية) والوحدة الإسلامية التى يكرهها البعث ودعاة القوميات من ساطع الحصرى إلى محمد عمارة .

وهى محاولة لالتقاط كلمات من هنا وهناك لإقامة مفهوم وهمى ، ولست أدرى لماذا هذه الكراهية العنيفة للدولة العثمانية – وخاصة من مدعي اليسار الإسلامى وكان الأولى بهم أن يكونوا منصفين ، إلا أن تكون مؤامرة لمؤازرة مفهوم الصهيونية العالمية والشيوعية العالمية التى هدمت هذا الصرح لإقامة دولتها فى فلسطين ومن شأن هذا أن يكشف أن هناك ارتباط خفى بين الماسونية وبين هذه الدعوات التى يحملها الكارهون للدولة العثمانية من أحمد بهاء وعمارة وغيرهم .

٤ – كذلك فهناك الزج بكلمة العقلانية فى كل ما يتصل بالإسلام ، فما كان الإسلام عقلانية خالصة ولا كان هو (المعتزلة) ، وما كان كل خارج عن الإسلام من الثوار على النحو الذى أورده فى كتابه (رجال ثوار) حيث ضم دعاة الباطنية إلى إعلام الإسلام ، وهو فى كل كتاباته يصف الأفغانى بأنه كان عقلانياً قومياً ، وما كانت تلك العبارات أو المسميات مما تصور موقف هذا الرجل أو موقف محمد عبده أو رفاعة الطهطاوى . كذلك فإن أحداً منهم لم يكن علمانياً بالمعنى الأوربى الذى هو فى الترجمة الحقيقية (لا دينياً) .

والعلمانية نبت أوربى خاص وضرورة وجدت أبان الخلاف بين الكنيسة ورجال العلم وفى ظل قسوة الكنيسة وطغيان الكهنوت . وهذا أمر مختلف تماماً فى الإسلام ، فالإسلام لم يعرف الكنيسة ولا الحكومة الثيوقراطية ، وكان نصيراً لحق الجماعة وللحرية وقد أفسح المجال أمام العقل الإنسانى ، وكان من أبرز منجزاته (المنهج العلمى التجريبى الإسلامى) الذى نقلته أوربا وبنت عليه حضارتها .

٥ – ومن أخطائه حملته على السلف الصالح وإعلاء شأن الفلاسفة ، والمتصوفة الخارجين على مفهوم الإسلام . والمتكلمين ، وخاصة الحلاج ،

وابن عربى ، والقرامطة ، والباطنية فإن هؤلاء لم يكونوا دعاة إسلاميين حقيقين أو مناضلين كما يسميهم ، فضلا عن أنهم ناقضوا أصل الأصول فى الإسلام وقد ثبت أنهم كانوا يهدفون إلى هدم الإسلام بتدمير الدولة الإسلامية ، لذلك فلا يمكن أن يوصفوا بأنهم فرسان الدفاع عن إنسانية الإنسان ، وليس معنى أن بعض الفقهاء ارتبطوا بالحكام أن يوضع هؤلاء الحاقدين على الإسلام بالمقابل فى صف الثوريين المصلحين ، ولقد رفض الإسلام مفهوم الفلاسفة الذين يقولون : بقدم المادة والعالم وأزليتهما رفضاً تاماً.

ومن أخطائه الفصل بين العلوم الشرعية والعقلية والتمييز بينهما وخاصة بين التصوف والشريعة فهذا مفهوم خاطىء ، أو بين الفلسفة والشريعة ، ولا يمكن القول بالنظر فى كل منهم بمناهجه ومعاييره ، فليس هناك منهج أو معيار لكل علم ولكن هناك منهج واحد تحاكم إليه العلوم كلها هو منهاج الشريعة الحاكمة على كل العلوم من جهة واحدة هو سلامة صلتها بالعقيدة . ومعنى ما يقول عمارة : شديد الخطورة ، فهو يدعو إلى تقبل التصوف الفلسفى وهو خارج تماماً عن مفهوم الإسلام وكذلك قبول الاعتزال وفيه انحراف كثير .

ومن أسوأ ما قال محمد عمارة قوله : (إن الدولة) التى بناها وأقامها الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة على شرع الله وسنته عليه الصلاة والسلام لم يكن لها علاقة بالدين .

ولا أدرى كيف بلغت به الجرأة على الحق هذا المبلغ وهو يعلم أن الدولة الإسلامية التى أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت على أساس أحكام الله : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . . .** » .

٦ — ويجرى الدكتور محمد عمارة مع ذلك التيار الخطير الذى يحاول احتواء الفكر الإسلامى والذى يديره أعداء الإسلام ، على هذا الأسلوب الخبيث ، وهو إثارة التعصب القومى والمذهبى وإشعال نار الطائفية فيتناحر المسلمون ويتنازعون فيما بينهم فيفشلوا وتذهب ريحهم . هذا الأسلوب

الخبيث تستعمله اليوم بعض المحاور الحاقدة على الإسلام ببث الشائعات الكاذبة المغرضة وإثارة الأحقاد المندرسة ونكأ الجروح القديمة المتدملة من أجل إثارة الفتنة والبلبلة بين المسلمين لتشتيت شملهم وتبديد جمعهم ، ومن ذلك ما نجده من تأليف الكتب وإذاعتها عن طريق دور النشر الكبرى عن المذاهب والفرق الإسلامية بعد أن انطوت صفحتها وانتهى أمرها ، ولم يعد لها وجود حقيقى فى المجتمع الإسلامى ، وهو عمل من أعمال الغزو الثقافى الذى يرمى إلى إحياء هذه الخلافات وتمزيق جبهة المسلمين والحيلولة دون التقاء المسلمين على وحدة الفكر الحقيقية المنبعثة من مفاهيم أهل السنة والجماعة ، وبذلك فإن محمد عمارة — وهو فى احد أعمـــاله العديدة ينشر تاريخ الفرق الإسلامية مما يعد خطوة فى هذا الطريق ، وقد بدأ هذا العمل يؤدى دوره الخطير المسموم منذ بدأه أحمد أمين وكان قد عقد مؤتمر فى تليتمور منذ سنوات أوصى بإعادة إثارة الخلافات والفرق عن طريق مؤلفات تجدد هذه القضايا .

ولقد تكشفت أبحاث الدكتور محمد عمارة عن أخطاء تاريخية عديدة راجعه فيها ذوى الشأن ، تبين منها غلبة أهواء المذهب على حقائق التاريخ .

* * *

(٤)

محمد أحمد خلف الله

تناولنا أعمال الدكتور خلف الله فى فصل سابق ، ولكن كان علينا أن نعرض له فى هذا الباب لأنه شغل نفسه فى السنوات الأخيرة بمسائل الشريعة الإسلامية وتصدى للفتوى فيها ، وهذه ظاهرة جديدة نعجب لها من أسماء لم يكن لها اتصال بها من قبل شأنه فى ذلك شأن حسين أحمد أمين الذى نفث سمومه وما زال ينفثها على هذا النحو الذى يشغل خلف الله ، وعمارة ، وحسن حنفى ممن يسمون أنفسهم اليسار الإسلامى والذين هم أشبه بمن يفسد ماء البحيرة الهادئة بإلقاء الأحجار والأوساخ . وتاريخ الدكتور خلف الله مظلم منذ بدأ حياته الثقافية بكتابه (الفن القصصى فى القرآن) وما تضمنه من تجن وافتراء على كتاب الله وما ثبت فى أذهان القراء والباحثين من أنه رجل غير موضع الثقة فى بحوث الإسلام ، بعد أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قصاص يعتمد أسلوب الفنانين فى الإضافة والحذف وهو بهذا ينكر عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اتخذ جماعة من اليساريين فى الفترة الأخيرة مهاجمة الشريعة الإسلامية عن طريق وجود بعض المداخل التى يسلكون منها .

وحين تقرأ مقالاته عن التشريع الإسلامى — كما يقول عودة الله القيسى — : تحس أنه يحاول أن يقنع القارئ بأن عليه أن يتقبل التشريع الغربى تشريعاً لنا بحيث نأخذ منه كل قانون لا نجد ما يقوم مقامه فى التشريع الإسلامى ، ويحاول أن يخدع فى هذا فتعتمد على نص عند الفقهاء فيقول : (كل قضية تجد وليس فيها حكم إسلامى فإن لنا أن نأخذ لها من التشريع الغربى لأنه إذا كان شرع من قبلنا شرع لنا فشرع معاصرينا شرع لنا كذلك) ويحاول أن يصور التشريع الغربى المعاصر فى مستوى شرع من قبلنا ، وهذه

خدعة بلغاء ، فليس المقصود بالنص هو هذا . إن التشريعات السابقة يقصد بها تشريعات الديانات السماوية التى بقيت على ما أنزلت عليه من عند الله دون تحريف ، أما التشريع الغربى فهو تشريع بشرى وليس شرع الله ، ففكرة الحلال والحرام غير واردة فيه ، وإنما وارد منه فكرة المصلحة التى هى غالباً مصلحة الطبقة الحاكمة وقليلا هى مصلحة الشعب ، على أن البشر قاصرون فى النظر البعيد عن إدراك المصلحة إدراكاً دقيقاً من تلقاء أنفسهم ، أى دون أن يهتدوا بشرع منزل من الله تعالى .

إذن هناك فرق جوهرى بين شرع من كان قبلنا وشرع المعاصرين لنا يجعلنا نأخذ من السابق ما لم يحرف ولم يخالف ما ورد فى الكتاب والسنة ويمنعنا من الأخذ من شرع معاصرينا لقصوره وقيامه على الإلحاد .

(٢)

يصور الدكتور خلف الله التشريعات النبوية بأنها اجتهاد بشر يخطىء ويصيب ، ولا يقتصر فى خطأه على السنة ، بل يمتد إلى القرآن نفسه فيأخذ من السنة بيانها للقرآن (نوع واحد) هو السنة المبينة للعقيدة والعبادات وحدهما دون السنة المبينة للأحكام والمنشئة لها ، يقول الأستاذ حسين ناجى محيي الدين : هكذا نراه أهدر من القرآن والسنة ما ورد فيهما من أحكام بدعوى أنها غير ملائمة للعصر واعتماداً على أن الأصوليين (علماء الفقه) قالوا : إن المصلحة تتغير بتغيير الزمان وترد عليه فيقول : إن الأصوليون حين قالوا ذلك لم يقصدوا الأحكام الواردة بصريح القرآن ولا الأحكام التى وردت وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا الأحكام التى أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم إنشاء ، وإنما قصدوا بعبارتهم الأحكام التى لم يرد منها نص من قرآن أو سنة ، وهى التى قال فيها المجتهدون بالقياس أو الاستحسان أو الإجماع ، أى الأحكام التى وصل إليها هؤلاء بفكرهم البشرى .

(٣)

ومن أخطائه دعواه بتعطيل آية الفىء والغنيمة على أساس أن الزمن تغير وقد سمى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن اجتهاد بشرى وليس يلزم

أن يكون ديناً وله جرأه على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ،وله مغالطاته وتناقضاته فيقول : (إن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن قول بشر ومعنى قول بشر : أنه غير ملزم أى يؤخذ منه أو يترك فلا يعقل أن يكون قول بشر له صفة الإلزام) .

ولا يعنى هذا الكلام أكثر من أن صاحبه لا يعرف معنى النبوة ، ولم يحط إحاطة صحيحة بمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومسئوليته ، ولو أن قلبه كان يحمل ذرة من يقين لما استطاع أن يتكلم بهذه الجرأة .

(٤)

أما مقولته : بأن الدين وضع إلهى والدولة وضع بشرى فتلك مقولة ظاهرة البطلان تستمد مفهومها من مفاهيم اللاهوت الغربى ونظرية فصل الدين عن الدولة التى قام بها الغربيون من أجل الخلاص من الدولة الثيوقراطية ومن مظالم الكنيسة ، أما فى الإسلام فإن الأمر يختلف ولو كان لخلف الله أقل إلمام لمفهوم الإسلام كدين ونظام مجتمع ، لما عرض لهذه العبارات التى تصوره بصورة من يتحدث عما يعلم ، أو من يعلم ولكنه يراوغ فى سبيل التشكيك وإثارة الشبهات .

لقد وضع الإسلام القواعد لقيام حكومة إنسانية ، على أسس العدالة الإلهية والحق والرحمة والإخاء البشرى ، فماذا فى هذا ؟ وما هو وجه التعارض إلا أن يكون قد فهم الدين فهماً لاهوتياً ، فكلمة الدين هذه التى يستعملها ليست هى الإسلام ولكنها هى أى دين آخر .

(٥)

ومن ذلك محاوراته المضطربة حول هو ما هو ملزم وغير ملزم ،والنص والإجهاد فيما ليس فيه نص ، وقد رد عليه المستشار سالم البهنساوى فقال : إنا نطالب أن يكون الحكم بما أنزل الله ، فهل يعارض هو فى ذلك ؟ إن الحكم بما أنزل الله إنما يستمد مقوماته من أمرين :

الأول : أن يكون بما فى كتاب مما هو قطعى الدلالة بما يستطيع الإنسان أن يصل إليه بنفسه .

الثاني : أن يكون ما فى كتاب الله محتاجاً إلى البيان ، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بهذا البيان ، فماذا فى هذا من بعد عن الصواب أو بعد عن السنة التي جعلناها أساساً لبيان ما أنزل الله .

(٦)

إن هذه الجرأة على الله تبارك وتعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يمكن أن تصدر من رجل يريد أن يقدم اجتهاداً فى تطبيق الإسلام . إن أول شرط لذلك هو التقدير الكامل للقرآن ومنزله ومبلغه ، من حسن الأدب والذوق .

وكيف يمكن أن يقول خلف الله : أن فى القرآن أحكاماً معطلة ويجب بقاؤها معطلة مسايرة لظروف الزمان والتغييرات الطارئة على المجتمعات . إن ما جاء من الله سبحانه لا يمكن لبشر أن يقول : إنه ليس صالحاً وتلك هي إحاطة المولى تبارك وتعالى بالماضى والحاضر والمستقبل بكل مافيه من أبعاد ، أما خلف الله فإنه يريد أن يفرض مفاهيمه على سنوات لن تتجاوز العشر أو العشرين من عمره ، وهى لا تساوى شيئاً من عمر الإسلام ، وهو يظن أن الأوضاع القائمة فى البشرية كلها اليوم ستسير على هذا النحو بينما يتنبأ علماء الغرب بأن البشرية مقبلة على تقبل كامل لشريعة الله ، وأن هذه الحضارة الفاسدة التي يحاول أن يبررها خلف الله ويخضع لها نصوص القرآن والسنة سوف تنهار وتهوى ويهوى هو معها .

إن هذه النظرة الضيقة هى نظرة غير المسلم المؤمن ، وأن هذا العلم المحدود ليس علم الدعاة إلى الله أو الحق .

وماذا يمكن أن يصل إليه خلف الله حين يزعم أن بعض النصوص القرآنية غير قادرة على تحقيق الصالح العام للمجتمع الإسلامي ، أو قوله : إن بعض أحكام القرآن الواردة فى النصوص القطعية أصبحت غير صالحة للتطبيق وغير عادلة بسبب تغير الأزمان والأحوال ، وكيف يمكن أن يوصف من يفرق بين الدين وبين الأحكام ، أو يخرج التشريع ويخرج الأحكام من

مفهومه الدين،سواء أكانت هذه الأحكام واردة فى القرآن أو فى السنة أو بإجماع المسلمين أو باجتهاد المجتهدين من الفقهاء والعلماء . إن خلف الله يضمر فى نفسه معانى لا يستطيع أن يبوح بها هى نفس المعانى الذى رددها على عبد الرازق فى كتابه ، وأمين الخولى فى مجالسه ، وكيف يمكن أن يكون مقبولا من رجل مسلم أن يقول : إن النص القرآني إن لم يكن قادراً على تحقيق المصلحة تركناه ولجأنا إلى الفكر البشري ، وهل يري أن الفكر البشرى يستطيع أن يحقق المصلحة العامة للبشر من دون القرآن ، أن صانع البشرية هو الذى يعرف الصالح العام لها وما يوجهها إليه هو الصالح العام ، أما القوانين الوضعية فإنما تحقق أهواء النفوس وتسلم البشرية إلى الفساد والانحلال وإلي تبرير أوضاع المجتمعات البشرية الفاسدة التي تعيش اليوم على الربا والزنا والانحلال الخلقى .

(٧)

لا يوصف النص القرآنى بأنه غير قادر على تحقيق الصالح العام ، وإنما يوصف القائل بذلك بأنه غير قادر على الفهم وعاجز عنه أو يوصف بأنه غير عالم وغير فاقه ، كما يوصف بأنه أساء الأدب فى حق آيات القرآن ، كما يوصف بالتناقض البين بين تقرير أن ما يصدره القرآن لا يتغير بتغيير الأزمان وأنه صالح لكل زمان ومكان ، وأنه يجب الالتزام بما جاء بالقرآن وبين الزعم بأن بالقرآن نصوصاً غير قادرة على تحقيق الصالح العام .

يقول المستشار حسن ناجى محيى الدين :

هل يريد الدكتور خلف الله أن يلقن الناس أن بالقرآن آيات قادرة وآيات غير قادرة بمعنى آيات صالحة وآيات غير صالحة للتعامل معها وبها ، وإذا كان الأمر كذلك كان من حقنا وحق كل سامع له أن يدفعه بالتناقض الفاحش ، وكان من حق المسلم أن يصف تناقضاته بأنه يحمل ريباً وشبهات ، فليس فى كلام الله ما هو صالح وما هو غير صالح ، وليس فى كلام الله ما هو قادر وما هو غير قادر ، بل كلام الله تبارك وتعالى كله فى ميزان الصحة صحيح ، وفى ميدان القدرة قادر ، لا فرق بين أى وأى ، فالكل من عند الله وما كان

من عند الله فهو الكمال المطلق والحكمة المطلقة ، فإن الله (جل شأنه) لا يكون قادراً مرة وغير قادر مرة أخرى ، لقد خان التغيير الدكتور خلف الله إن كان الأمر هو ذلك فإنه بشر ولم يؤت جوامع الكلم ، وأن كلنا يرى أنه يدير الحديث ويستعمل الكلمات بلباقة ومهارة ، وإن زلقة اللسان أو شطط العلم ما يبغى أن يبلغ مبلغ التجرد على آيات القرآن ، وقد يقبل ذلك من مستشرق حاقد لكن لا نقبله من منتسب للإسلام يسره أن يقال في حقه : إنه مفكر إسلامي فإن للمسلم عزة على ربه وأدباً فى الحديث معه أو الحديث عنه .

* * *

إن خلف الله يثير محاولة باطلة حين يدعي أن هناك فرقاً بين الدين وبين الشريعة وأن مصدر الدين هو الله ، وأن مصدر التشريع هو القرآن والسنة ، والحقيقة التي لا شك فيها هو أن الشريعة جزء من الدين وأنها جميعاً من الله تبارك وتعالى ، وأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم وكل محاوله لإثارة الشبهات حول ذلك هي من باطل الذين لم يصل علمهم إلى حقائق الأشياء : (مالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس) .

* * *

(٥)

محمد سعيد العشماوي

فى مرحلة من أدق مراحل الحياة السياسية والاجتماعية المصرية ظهر جماعة من الدعاة إلى وحدة الأديان ، بهدف صهر الإسلام فى بوتقة الأديان ، وكان لهذه الموجة سابقة بدأها دعاة الحوار الذين استهدفوا الحصول من علماء المسلمين على شهادات خادعة بأنه لا خلاف بين المسيحية والإسلام إلا فى مسائل شكلية ، أما هذه الدعوى التى قام بها الماكرون وجندوا لها بعض المسلمين المخدوعين ، فقد حاولت أن تسوى بين الأديان تسوية تاريخية بحيث يبدو لغير الإسلام الأولية والسبق وله التبعية والاقتباس ممن سبقه من أديان ، والحقيقة هى غير ذلك تماماً ، ذلك لأن مصدر الدين المنزل واحد من الله رب العالمين ولكن بعض الأديان حرفت بعمل رؤسائها فبعدت عن الطريق الصحيح الذى يسلم كل منها إلى الآخر وصولا إلى الدين الخاتم ، ومن هنا فإن صفة التشابه بين الأديان صحيحة لأنه ناتج عن وحدة المصدر الأول ، ولكن الأديان غيرت وثبت الإسلام على المفهوم الربانى الأصيل . ومن العجيب أن يغيب مثل هذا المفهوم عن رجال لهم قدر من الثقافة العصرية ، ولكن مع الأسف قصرت مفاهيمهم الإسلامية عن إدراك هذه الحقيقة ومن هنا جاء ذلك الخلط الشديد الذى وقع فيه المستشار محمد سعيد العشماوى فى كتاباته عن نظام الحكم فى الإسلام ، ولم يكن العشماوى إلا حلقة من سلسلة متصلة الحلقات ضد الإسلام ، فقد كتب الطبيب الذى قال : إنه لا يمكن تطبيق شريعة الله إلا إذا بعث الله نبياً ، وحيث أن النبوة قد ختمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فلن تطبق الشريعة ، أما العشماوى فخلاصة رأيه أن نظام الحكم الإسلامى السديد يقوم على ثلاث مبادئ :

الأول : واقع المجتمع لا كتاب الله .

الثانى : إرادة الأفراد لا إرادة الله .

الثالث : الظروف المعاصرة وليس فيها حكم لله .

إذن ليس لله دخل فى هذا كله ، لا كتاب الله له دخل ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها دخل وسمى هذا كله (وازداد شططاً) أنه نظام الحكم السديد .

إن دعوى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا حكاماً هى دعوى باطلة وآيات القرآن تترى لتسجل ارتباط النبوة والحكم فى كل عصر :

« وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث . . . » .

« يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس . . . » .

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور . . . » .

ومن خطأه قوله : إنه بمجرد أن انتهت النبوة فقد انتهت حكومة الله بوفاة محمد صلى الله عليه وسلم ، أما مجيء أبو بكر رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبو بكر ليس خليفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى تنفيذ أحكام الشريعة ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يعين أحداً بعده والقرآن لم يبين المنهج الذى يحكم به أبو بكر رضى الله عنه ولم يخجل المستشار أن ينقل ما كتبه على عبد الرازق ، وطه حسين من قبل وما رد به عشرات علماء المسلمين على ذلك من أن الحكومة الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم حكومة إنسانية وليست ثيوقراطية ، تقوم على شريعة الله ، وأن صمت الرسول صلى الله عليه وسلم عن تسمية خليفة له هو أعلى درجات الشورى وإعطاء الأمة حقها فى اختبار حاكمها تحت لواء الإسلام وفى ضوء القرآن .

نعم : الحكم فى الإسلام ليس حكماً دينياً على نحو ما عرف فى الغرب ولكنه حكم مدنى .

وأنت حين تقرأ تلك الكلمات المرصوصة تحس بأمرين :

أولا : تحس بأنها منقولة عن مصدر يريد أن تكتبها أسماء إسلامية جغرافياً .

ثانياً : تحس بأن صاحبها يجهل أقل قدر مما يجب أن يعرفه المتخصصون

فى الفقه ولعل ما دعا إليه المستشار العشماوى قوله : إن جميع الرسل دعوا إلى الإسلام وغاب عنه كثير . يقول الدكتور عبد المنعم النمر : إن قوله :

أولا : بأن جميع الرسل دعوا إلى الإسلام وأن أتباعهم يسمون مسلمين ، قد أسقط فى تعريفه هذا للإسلام ضرورة الإيمان بالرسل جميعاً وبما جاءت به آيات أخرى حتى يمكن أن يطلق عليه كلمة مسلم : **« لا نفرق بين أحد من رسله »** ، لابد من الإيمان بالرسول الذى أرسله الله إليهم والإيمان كذلك بإخوانه الرسل الذين جاءوا قبله ودعوا الناس إلى ما يدعوا إليه رسولهم ما دامت دعوة الأنبياء فى أصولها واحدة .

ثانياً : أن تكون مهمة الرسول السابق إذا جاء رسول جديد برسالة من عند الله قد انتهت ، أو توقفت وبدأ عهد رسالة جديدة وعلى الجميع أن يؤمنوا بها ويتبعوا الرسول الجديد مع استمرار إيمانهم بالرسول السابق ، وسيجدون أن الأصول واحدة ولكن منهاج العبادة ورسومها والأحكام قد تغير بعضها ، فعليهم أن يعملوا بالأحكام الجديدة متبعين الرسول الجديد فى ذلك فإن لم يؤمنوا بالرسول الجديد ولا بما جاء به حين ظهوره فانهم حينئذ يكونون قد فرقوا بين الرسل وآمنوا بالبعض ورفضوا الإيمان بالبعض الآخر وحينئذ لا يطلق عليهم أنهم مسلمون لأن الإنسان لا يطلق عليه كلمة مسلم إلا إذا آمن بالرسل جميعاً ، آمن بالسلسلة كلها ، فإذا رفض الإيمان بأحد منهم فإنه يكون قد قطع السلسلة ولا يطلق فى هذه الحالة عليه أنه مسلم ولا أن دينه الإسلام . وبهذه النظرة نظر سيدنا عيسى عليه السلام والمؤمنون به إلى من لم يؤمن به ويتبعه من اليهود وسماهم كفار ، فقد استمرت رسالة سيدنا موسى عليه السلام واستمر العمل بها حتى جاء سيدنا عيسى عليه السلام فبدأت رسالة جديدة يجب على الجميع أن يؤمنوا بها ويتبعها ، فمن اتبعها وآمن بها وبالسابقين من الرسل عد مسلماً ومن رفضها كان كافراً ، فقد جاء على لسان سيدنا عيسى عليه السلام فى القرآن مخاطباً بنى إسرائيل : **« ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم . . . »** .

وكان كفر اليهود بسبب رفضهم الإيمان بعيسى عليه السلام مع إيمانهم بموسى عليه السلام ، وسمى الذين استجابوا بعيسى عليه السلام وآمنوا به

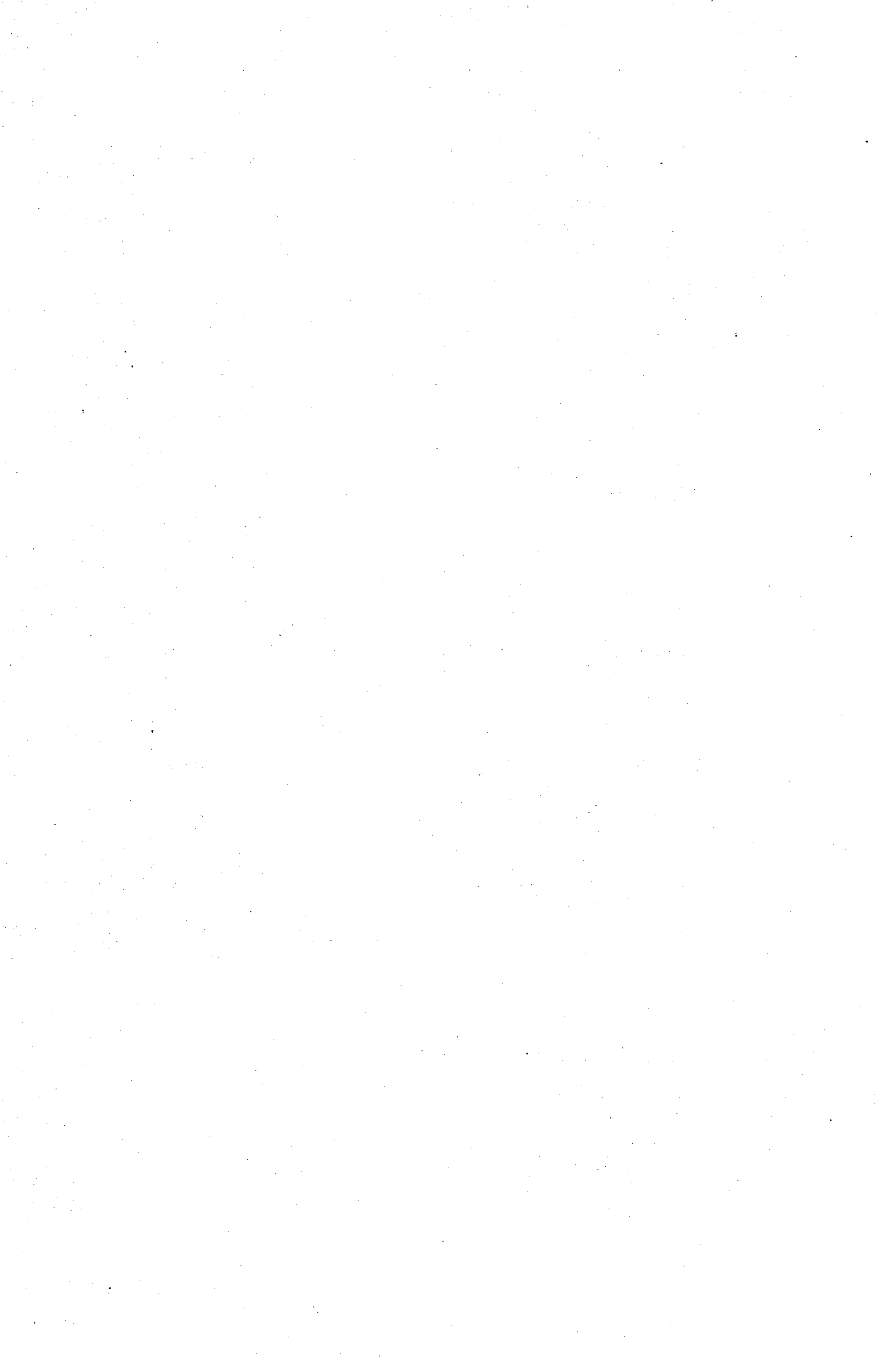
مسلمين ، وكل من أسقط رسولا من رسل الله ولم يؤمن به ولو آمن بباقى الرسل جميعاً لا يسمى مسلماً لأنه قطع سلسلة الأخوة من الرسل وأسقط حلقة منها . ويقول ابن كثير فى تفسيره : « **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** » . إخباراً من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله فى كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لقى الله بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته فليس بمسلم .

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر : لقد استند (المستشار العشماوى) إلى آيات عامة يفندها ويحققها ، وهناك آيات أخرى كثيرة لم يشر إليها طبعاً ولم يضعها فى حسابه إذ لو كان قد أطلع عليها لما كلف نفسه هذا المقال الطويل ، أو على الأقل كان قد استطاع أن يقطع بالقول الحاسم فى هذا الصدد وهو أن جميع الموجودين حين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة مكلفون وملزمون بالإيمان به متى بلغتهم دعوته وأنه غير مقبول منهم عند الله أن يفرقوا بين أحد من رسلة ويؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض .

ورد على قوله : (إن الله ترك لأهل الكتاب الحرية فى أن يؤمنوا « بمحمد » صلى الله عليه وسلم أو لا يؤمنوا فقال : إنه يرى أن أهل الكتاب لم توجه إليهم الدعوة وذلك قوله : غير أن الله ترك لأهل الكتاب — الجزية . . . إلخ) .

ومفاد هذا أن القرآن لم يوجه الدعوة لأهل الكتاب ، ومن هنا لم يكن الإيمان بمحمد واجب عليهم ، وهذا كلام خطير ، وأن الإيمان بالله يعنى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، فلا يتأتى الإيمان بالله دون الإيمان برسول الله الذى يتعين الإيمان به حيث يبعث .

* * *



الفصل الثامن

إعادة النظر فى كتابات التغريب

تنوعت تيارات التغريب وتوزعت ولم تترك مجالا من مجالات الفكر أو الفلسفة أو الأدب إلا وقدمت فيه سمومها وهذه طائفة من هذه التحديات نكشف عنها ونعريها حتى لا ينخدع بها بعض من يقرأها .



أولا : دعاوى المهجرين : فيليب حتى ، وميخائيل نعيمة :

بدأت بذور التغريب فى كتابات المارون اللبنانيين الذين وفدوا إلى مصر وأنشأوا الصحافة التى كانت فى حماية النفوذ الاستعمارى فى المؤسسات الثلاث الكبرى : (الأهرام – المقطم – الهلال) وقد عرضنا لهذا فى الباب الأول ، ثم كان للمهجريين دورهم : جبران ، فيليب حتى ، ميخائيل نعيمة ، جبران ومن أهم هؤلاء فيليب حتى المتوفى عام ١٩٧٨ ، فقد كتب تاريخ سوريا ولبنان من وجهة نظر العرقية المارونية الفينيقية ، فقد نشأ فى أحضان الجامعة الأمريكية فى بيروت ، ثم أرسل إلى جامعة كولومبيا ، ثم عمل فى جامعة بريستون أستاذاً لتاريخ العرب والمعروف أن الولايات المتحدة أولت اهتمامها بشئون المنطقة منذ وقت بعيد ومن ثم اهتمت جامعاتها بدراسة اللغة العربية ، وأدابها ، وتاريخ المنطقة وأوضاعها (فيليب حتى ، سوريال عطية ، مجيد خدورى) وكانت جامعة بريستون أول جامعة أمريكية تعترف بأهمية الدراسات العربية الإسلامية وتوفر فيليب حتى على ريادة هذا الميدان الذى حظى بأهم مؤلفاته :

* تاريخ العرب المطول والمختصر .
* تاريخ سوريا بما فيها لبنان وفلسطين .
* صانعوا التاريخ العربى .
* لبنان فى التاريخ .
* الإسلام أسلوب حياة .
* الإسلام والغرب .
* أصول الدروز والديانة الدرزية .

وقد ترجم كتاب (تاريخ العرب المطول) إلى أغلب لغات العالم (طبعة

خاصة لنحيش الأمريكي وهو يحول كل أمجاد الإسلام إلى العرب ، العرق ، العلاقات بين الشرق والغرب ، المؤثرات الغربية .

ومن أخطائه أنه يربط الفتح الإسلامى بالواقع الاقتصادى وعادات العرب قبل الإسلام ، وهو يمضى فى نفس طريق المستشرقين فيقول :

ليست الإثرة الدينية والتعصب ماحداً بالعرب إلى تدويخ الدول وفتح الأمصار وإنما هى الحاجة المادية التى دفعت معاشر البدو وأكثر جيوش الفتح منهم إلى وراء تخوم البادية الفقراء إلى مواطن الخصب فى بلدان الشمال وهذا المفهوم دحضه مفكروا الإسلام وكشفوا زيفه .

ويذهب فى عرض الإسلام فهماً خاطئاً فى كتابه (صانعوا التاريخ العربى) وغيره ، فيرى أن بعض النصارى من أهل أوربا وأهل الشرق تكون عندهم فى العصور الوسطى رأى يستند إلى أن ما بين الإسلام واليهودية والنصرانية من تشابه مؤداة أن الإسلام بدعة نصرانية أكثر منه ديناً جديداً ، وأن الإسلام من جميع الأديان الأخرى أقرب دين إلى المسيحية ، وليس هناك شك فى خطأ هذا الرأى وفساده ، وهو يعتبر الكندى وابن سينا وابن رشد فلاسفة على مفهوم الغرب ، ، ويدحض ما يقال : من أن ابن خلدون قد أثر فى الفكر الغربى ، وأنه حين اكتشفه الغرب كان الذى يمكن أن يؤثر فى الفكر الغربى قد ولى بحكم أن العلوم الاجتماعية التى عالجها كانت قد انتظمت فى الغرب ، وذلك برغم سيقه للعلماء الأوربيين فى فلسفة التاريخ وتنظيم العلوم . وهذا الكلام غريب والمنصفون من الباحثين الغربيين أمثال توينبى وغيره يعترفون بفضل ابن خلدون ، بل ويعتبرونه مؤسس علم الاجتماع ، وفى كتابه (صانعوا التاريخ العربى) وقع المؤلف فى أحابيل الإقليمية السورية بدرجة عامة واللبنانية بوجه خاص، فهو يهذهب إلى أن بلاد الشام قد حافظت على طابعها المتميز الذى أثرت فيه طبيعتها الجبلية وقربها من البحر واتجاهها إلى الغرب وطابع سكانها وهو بذلك يبرر قيام هذا الكيان الاستعمارى ، وقد نبه الباحثون إلى خطورة هذا التفسير الإقليمى للتاريخ ملفتين النظر إلى التداخل التاريخى بشتى أقطار الأمة العربية وأن سوريا ، مصر ، العراق لم يكن لها تاريخ قائم بنفسه إلا فى فترات قصيرة

بسبب من تطورها ولا تستطيع أى وحدة بشرية فى الشرق أن تدعى البقاء أو الانفراد بإنجازات تخصها وحدها .

وترد مسئولية هذه الاتجاهات الاستعمارية الغربية فى تعميق هذه التيارات الانعزالية بقصد تفتيت المنطقة العربية إلى قطع فسيفساء إقليمية من شأنها أن تبعد احتمالات الوحدةالتى تشكل خطراً على مصالح كل من يقيدون من انقسام الوطن العربى .

ولقد كان فيليب حتى من دعاة الإقليميات وفصل العروبة عن الجامعة الإسلامية كما يدعو إلى فصل الدين عن السياسة،جرياً وراء هدف الفينيقية اللبنانية الكاره للروابط العربية والإسلامية .

ومن أخطائه أنه يدعى أن الذين قادوا النهضة العربية الحديثة هم اللبنانيين الذين قدموا إلى مصر فانشأوا بها الصحف وتلك قضية قد عرف فيها وجه الحق ، وإن أغلب هؤلاء كانوا أولياء النفوذ الغربى وكانوا كارهين للعروبة والإسلام والدولة العثمانية .

وهو يشيد بما أسماه نشوء النهضة القومية العربية لأنها نشأت فى أحضان المارونية ومعاهد الإرساليات التبشيرية لتمزيق الوحدة الجامعة التى كانت تمثلها دولة الخلافة .

(٢)

أما ميخائيل نعيمة فقد كانت كتاباته قائمة على تطعيم الأفكار الماسونية إلى القصص والأدب العربى .

ولقد كان مريضاً أن يتغلغل فى عقائد سحيقة فى القدم ليظهر أن الماسونية وثيقة الوشائج بما اهتدى إليه قدماء المصريين والكلدانيين والهنود والفرس والعبرانين واليونان التى كانوا يغلفونها بشىء من الرموز حرصاً عليها من الفساد بين أيدى الجماهير ، ومن ذلك اهتمامه فى مذكراته (سبعون) بما أسماه كتاب (الآداب والعقيدة) morals and dogona الذى جمعه ووضعه ماسونى كبير وهو بحث مستقبض للعقيدة الماسونية :

وفيه شرح واف للرموز الكثيرة التى ترافق كل درجة من درجاتها من أمثال الخنفساء الذهبية ، والحية والسمكة والثور الذى يحمل على قرنيه الشمس والثور المجنح ، وأبو الهول والأهرام والمثلثات والمربعات والمكعبات والدوائر والأعداد المقدسة (٣/ ٧/ ٩) هذه التى تحولت (أديانها وعاداتها إلى طقوس متحجرة ومراسم لا روح فيها وهو يتحدث عن عالمية الباطنية والمجوسية القديمة ، فتحدث عن الأهرام ومعابد الأقصر ، والذين ألفوا المهبراتا والرامايانا والزندافستا والالياذة والذين خلقوا الأساطير والفنون والفلسفات اليونانية والذين حملوا إلى الناس التوراة والإنجيل . إلخ) .

ومن هنا تستطيع أن تحكم على كل كتابات (ميخائيل نعيمة) وجيله والسموم التى قذفوها إلى الفكر الإسلامى : التشكيك واللا أدرية وإنكار الأديان ، والسخرية بالمقدسات والمفاهيم الإباحية التى أذاعها جبران ونعيمة وغيرهما .

أما (جبران خليل جبران) فقد كان صوتاً من أصوات الكراهية للإسلام والعرب والدين والأخلاق جميعاً ، وقد صنعت له القوى الأجنبية كل صنيع لنشره وتعليق شباب المسلمين به ، واليوم وقد مر على موته أكثر من خمسين عاماً فإنهم ما زالوا ينفخون فيه ، ومع الأسف فقد تجاوز الأدب العربى هذا اللون التغريبى الذى كان موضع إعجاب الشباب فى الثلاثينات أما الآن فقد تكشف الكثير حول زيف الأدب المهجرى الشمالى .

لقد كانوا خادمين لأهداف تغريب الشباب المسلم العربى ، ويشير حادث طه الراوى إلى أن جبران عاش حياته كلها ولم يتحدث بكلمة واحدة عن فلسطين أو التنديد بوعد بلفور عام ١٩١٧ وبالاستعمار البريطانى يوم قامت الثورة العربية الكبرى عام ١٩٢٠ ضد هذا الاستعمار . ويتساءل : لماذا التنديد بالاستعمار الفرنسى الغاشم يوم انقض الفرنسيون على دمشق عام ١٩٢٠ وتجنب التنديد بالاستعمار أثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ، وإذا قيل : إن جبران كان بعيداً عن السياسة فهو قول مردود ، لأن جبران كان يمارس نشاطاً سياسياً ضد العهد العثمانى ، وكان من ألد أعداء العثمانيين ، لقد أراد جبران أن يكتب للإنسانية فى عهد طاغور وبرنا ليشو وويلز ورسل

فلم تكن الإنسانية فى حاجة إلى قلمه فى ذلك العهد ، بل كان وطنه العربى فى أمس الحاجة إلى قلمه السيال .

ثانياً : سموم موزعة على أقلام كثيرة :

عندما تطالع صفحات الأدب العربى وكتابات ذلك الجيل الذى يسمونه الرائد نجد سموماً موزعه ، نجد الدكتور أحمد أبو شادى موسس جماعة أبولو يقول : سعينا لتأسيس هيئة ثقافية ودية قوية النفوذ باسم الاتحاد الإنجليزى المصرى The avglo Egyption union لتوطيد الثقة وحسن التفاهم بين الشعبين ، فإن هذه المهمة تساوى فى قيمتها العالمية جيشاً بأسره وليس من سارعوا إلى نقدعملنا هذا وكتابتنا فى الصحف الإنجليزية والمصرية إلا واهمين ، حينما يتصورون أنها دعاية متأثر بالثقافة الإنجليزية يرتمى فى أحضان الإنجليز . (مجلة أدبى عام ١٩٣٦)

فى إبان للصداع السياسى بين مصر المحتلة وبريطانيا المستعمرة لمصر تجد هذه الدعوى وتجد صاحبها يقود فريقاً من الأدباء عن طريق الشعر وينشئ عدداً من المجلات .

٢ — واقرأ هذا النص أيضاً الذى نشرته كتب المطالعة للمدارس الثانوية عن قاسم أمين :

إن قاسم أمين لم يتقيد فى قضائه بئراء الفقهاء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها ، بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادق هذا النص مكان الاقتناع منه ، وهذا مما جعله ميالا للرأفة فى قضائه نافراً أشد النفور من حكم الإعدام ، فقد كان يرى أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما ينفع لإصلاح المذنب ، وأن معاقبة الشر بالشر إضافة شر إلى شر ، وأن التسامح والعفو عن كل شىء وعن كل شخص هى أحسن ما يعالج به السوء ، ويفيد فى إصلاح فاعله ، وأن الخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل لاستغرابه والحال الطبيعية اللازمة لعريزة الإنسان » .

هذا الكلام ما معناه ؟ معناه إنكار الشريعة الإسلامية والجرى وراء مفاهيم الماسونية والصهيونية من أن المجرم لا ذنب له ، لأن أعصابه ليست

من صنعه أو أن المجتمع هو الذى دفعه إلى الخطأ وهو معارض لمفهوم القصاص الإسلامى حيث يقول الله تبارك وتعالى : «**ولكم فى القصاص حياة ...**» .

٣ — وحين نمضى فى طريق التغريب تجد طه حسين ، ساطع الحصرى فى العراق فى وقت واحد ، والعمل واحد ، والغاية واحدة ، يقول السيد محب الدين الخطيب : دعوة ساطع الحصرى موبوءة بالجراثيم اللادينية المنتشرة فى تركيا ، واستفحل خطرها أيام الاتحاد والترقى ، ثم تحولت إلى الكمالية . إن ساطع الحصرى هو (قلب) العصر العراقى مؤسس معارفه فى العشرين سنة الأخيرة ، جرّد ثقافة العراق العربية من روح الإسلام ، وطه حسين يدعو إلى التباعد عن العروبة إلى أوربا وساطع الحصرى يرى العروبة بديلا عن الإسلام (الفتح سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٤١ م) .

٤ — ونجد الطريق ملغماً على طول الطريق :

سلامة موسى يلقى محاضرة فى جمعية الشبان المسيحية بدعوى وجوب مساواة المرأة للرجل فى الإرث أينما كان مصدره ، بناء على أن الإسلام ظلمها بتفضيل الرجل عليها ، وقد تمكن من نشر هذه الدعاية فى مجلة الرابطة الشرقية عام ١٩٢٨ وأخلفت ظنه جمعية الاتحاد النسوى المصرى ، إذ حاول إغواءها بإغرائها بالمطالبة بهذه المساواة ، فكتبت هدى شعراوى ، يومئذ رداً عليه صرحت فيه بأنه ليس من موضوع هذه النهضة النسائية الخروج على الشريعة .

ثم جاء محمود عزمى فأعاد هذه الدعاية فى مناظرة له فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية واستند فيها إلى شبهات عاطلة ، ودعاوى باطلة يتبين فسادها بالبرهان ، وأنكر الأمير عمر طوسون على الحكومة السماح للملاحدة بمثل هذا الجهر فى الطعن على الإسلام والدعوة إلى ترك نصوصه القطعية فى مدارسها الرسمية .

٥ — وننتقل إلى نص آخر ، الأستاذ محمد عبد الله عنان يكتب فى نوفمبر عام ١٩٥٨ بأنه قابل البابا ثلاث مرات ، البابا بيوس الثانى عشر ، عرفه قبل أن يرقى عرش البابوية (كان اسمه أدجينو باتشيللى) ويوم أن كان وزيراً

للدولة فى عهد سلفة البابا بيوس الحادى عشر وعرفه وهو يتشح بحلل البابوية فى أعظم مناسبة للجالس على عرش القديس بطرس وهو السنة المقدسة .

وأشار إلى معاهدة لتران (لاترانو) عام ١٩٣٠ التى انشئت بمقتضاها مدينة الفاتيكان و استردت البابوية نفوذها الدينى وسلطتها الزمنية على الدولة البابوية الجديدة (أعنى مدينة الفاتيكان) .

والمعروف أن معاهده لتران هى التى رسمت الخطة الواسعة الخطيرة التى عرفها المسلمون والبلاد العربية لحركة التبشير التى انتشرت فى مصر وسوريا والعراق عام ١٩٣٢ وما بعده وكان لها دوراً كبيراً فى تنصير كثير من المسلمين .

وقد عرف الدكتور محمود عزمى والأستاذ محمد عبد الله عنان بالدعاية للكيان اليهودى الذى كان ما يزال يتكون فى فلسطين فى هذه الفترة .

ثالثاً : تأييد الصهيونية :

ولقد كتب محمد عبد الله عنان فى وقت باكر يؤيد الزحف الصهيونى على فلسطين حيث دعا إلى قبولهم ، ومال مع الصهيونية بكثير من الإشادة بذكرهم وذكر جهودهم وثمرات جهودهم فى فلسطين ، وما وراءهم من قوة يهودية وغير يهودية فى الخارج ، حتى كاد يلقى فى فهم القارئ أن الصهيونية فى طريق الفوز والنجاح نهائياً دون أن يتوجه إلى أهل فلسطين العرب بانصافهم فى ما لهم من حق طبيعى فى بلادهم ، بل من حق كامل فى دفع الصهيونية دفعاً مشروعاً (وقد رد عليه باحث عربى مفصلا) . قال الأستاذ عنان : إن الأساطير اليهودية تقول : إن (البراق) هو البقية الباقية من هيكل سليمان ، وترى فيه التقاليد اليهودية الدينية أثراً من أجل آثار إسرائيل ، وكان مأمولا منه ألا يمر على الأساطير دون أن يضع إلى جانبها الحقيقة ، هذه الحقيقة تختص بعلماء الآثار ومهرة المعماريين ، أكثر مما تختص بالأساطير ، فعلماء الآثار ليس منهم من يقول : بأن أى قسم من الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف يرجع فى بنائه إلى زمن سليمان ، بل المتفق عليه قطعاً أن هذا الجدار بنى فى زمن لاحق ومن الذين يذهبون إلى القطع بأن هذا الجدار ليس من بقية

الهيكل المستر جار شنج مدير دائرة الآثار فى حكومة فلسطين سابقاً . والمستر اشى الذى اشتغل فى حكومة فلسطين أربع سنوات وهو من أكبر المعماريين الثقات ، فزعم اليهود أن الجدار يعد بقية من الهيكل ساقط أساساً لأن علم الآثار والمعمارية ينفيان ذلك نفياً باتاً .

٢ – أن محل مؤاخذة الأستاذ عنان أنه فى كلامه عن الحركة الصهيونية لم يضع فى مقابلها الحركة العربية والثورة العربية فى الحرب العامة وقطع الإنجليز العهد تلو العهد للعرب ، أنهم مستقلون بعد الحرب فى ديارهم .

وقد كان العرب تسيل دماؤهم فى أباطح الحجاز إلى مشارف الشام إلى سفاح جبال طوروس قبل أن جاء وعد بلفور ، فكيف وقف الأستاذ حيال الحركة اليهودية معجباً وهى ترمى إلى سلب بلاد من أهلها بمساعدة الدولة التى تآجرت بدماء أهل البلاد العربية .

٣ – ويقول عنان : إن بعض الغلاة ما زالوا يفكرون بعقلية العصور الوسطى ويحاولون الدعوة إلى نظريات ومشاريع خيالية مثل فكرة الجامعة العربية والجامعة الإسلامية .

والجواب : على هذا أن الجامعة الإسلامية يراها أربابها على الوجه الذى لا يراها به الأستاذ عنان ولهم فى معناها فى هذا العصر ما يقنع الأستاذ إذا أراد ذلك .

٤ – مهاجمة عنان فى القومية الإقليمية بقوله : قومية سورية وقومية عراقية ، ذلك أنه إذا أريد حصر معنى القومية بكل إقليم على حدة كان ذلك كذباً على مفهوم القومية التى تحدد وحدة المصلحة للأمة الرابط بعضها ببعض فى بلاد معينة تربط اللغة والدين والثقافة ، وفوق كل ذلك – الجنس والعرق .

وكتب باحث تحت عنوان : هل عبد الله عنان يهودى صهيونى ؟

قالت : قرأت مقاله عن الصهيونية فلم يعترينى شك فى أنه ليس يهودى فقط ، بل من غلاة الصهيونية . كنت أظنه مؤرخاً صادقاً يشرح وجهة نظر العرب فى ناحية ، ووجهة الصهيونية فى ناحية أخرى ثم يقضى على ذلك بالحقوق التاريخية والمكتسبة للعرب ، ولكنى وجدته خص نفسه بشرح

نظرية اليهود وأطرح أمر العرب وزاد الطين اتساخاً بدفاعه المستتر مرة ، والمنكشف مرة أخرى عن القضية اليهودية ، واعتقدت أنه إما معتنق مذهب الصهيونية يعطف عليها ويدافع عنها ، وإما ذو هوى فى خدمة مصالح اليهود فراح يتهوس تحرقاً على قوميتهم ويؤسفنى أن أخط هذا لأنى لست أفهم سر هذا الدفاع وينسى أو يتناسى . إن فكرة الوطن القومى اليهودى اشتريت بأموال اليهود فى الحرب العظمى ،واستغلال ضعف العرب ،فأراد الصهيونيون أن يغتصبوا أرضهم وأموالهم بدون مسوغ من القوانين الوضعية والحقوق الدولية .

وبينما فلسطين بحر من الدماء واليهود يتحرشون بأهل البلاد العزل من السلاح والعالم الإسلامى يصيح من هول المأساة ، إذ بهذا الكاتب وزمرته يقولون ما لا يعلمون ، وأشار إلى نقل النصوص من ناحية اليهود وحدهم وقال : أليس هذا التصوير الزائف يوهم القارئ أن العرب هم البادئون بالعدوان وأن اليهود أصحاب حق ، وأنت تعرف بإعنان اليهود متى تعرف كيف جمع اليهود من شذاذ الآفاق وأنصار البلاشفة ، وقيل لهم : تعالوا ففى البحر الميت ماء من عسل مصفى ، فلم يجدوا وسيلة إلا أن يكونوا مغتالين ودعاة فتنة يهودية أو بلشفية فى هذه البلاد الإسلامية الآمنة ، هل الأستاذ عنان يعمى أو يتعامى عن أصل الصهيونية وطغيانها ؟ (نشرت هذه الكلمات فى جريدة السياسة الأسبوعية عام ١٩٣٣) .

رابعاً : العلمـــانية :

وفى هذا المجال نجد كثير من الإشارات :

١ - نجد إسماعيل مظهر يحاول أن يقدم نظرية دارون على نحو آخر مختلف بعد أن عجزت طريقة (شبلى شميل) ، فقال : إنه يحاول أن يقدم هذا المذهب المادى محاولا أن يصرف عن الدعوة معارضة الدين وبعيداً عن مغالاة (بخنر) الذى ترجم عنه شميل وعنف شميل نفسه ، فكتب (ملقى السبيل فى مذهب النشوء والارتقاء وأثره فى الانقلاب الفكرى الحديث) يقول : رأيناه مخالفاً للدكتور شبلى شميل فى اتخاذه مذهب النشوء ذريعة لإثبات المذهب المادى . وقد حمل إسماعيل مظهر على هذه الطريقة وعد

أصحابها متعصبين لفكرهم وأورد من الإله ما يريد به أن يثبت أن مذهب النشوء برئ مما يصمونه به وهو أنه يؤدى إلى تقرير المذهب المادى .

٢ – ويواصل دعاة العلمانية سمومهم فنجد الدكتور محمد مندور يقول : إن الثقافة العربية مزيج من عنصر عبرى وعنصر فارسى وعنصر يونانى يقول : فى القرآن وفى الإسلام ما لا يحصى من مبادئ التوراة وقصص التوراة وأصول التوراة الشرقية ، وفى الحضارة العباسية كثير من وسائل الحياة الفارسية ببذخها ومظاهرها المادية وتياراتها الأخلاقية والفكرية فى بعض الأحيان ، أما اليونان فأظن أن تأثيرهم فى الفلسفة الإسلامية والمنطق الإسلامى وعلم الكلام واللغة والنحو والبلاغة أوضح من أن يذكر .

هذا الذى قاله الدكتور مندور كذب وتضليل ، من أوله إلى آخره ، وهو مايعلمونه لهم فى أوربا حيث يقعوا فى أيدى المستشرقين الصهيونيين المتعصبين فى فترة الثلاثينات حينما كان يوضع ذلك المخطط المسموم للغزو التلمودى للفكر الإسلامى بالإضافة إلى الغزو العربى المسيحى .

والحقيقة أن الفكر الإسلامى لم يتكون من عناصر عبرية أو فارسية أو يونانية ولكنه تكون من عنصر واحد هو القرآن الكريم كلام رب العالمين المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو وحده مصدر الفكر الإسلامى الحقيقى ، وأن كل ما دخل إلى الفكر الإسلامى من مترجمات اليونان أو غيرها فإن الفكر الإسلامى بأصالته وذاتيته الخاصة كان قادراً على رد ما اختلط فيه بالوثنية وأساغ ما وجده صالحاً وحوله إلى كيانه حين صنع منهجه الأصيل : المنهج العلمى التجريبى الذى لم يعرفه الفرس ولا الروم ولا اليونان ، ولا العبرانيين .

خامساً : الماركسية :

١ – ثم تأتى موجة الماركسية وتحاول أن تطغى على الفكر الإسلامى فنجد الماديين الذين يحاولون أن يصوروا منهج الحياة الاجتماعية فى العالم الإسلامى كله تصوراً مادياً ، ينكرون المعنويات وينكرون العزائم والإيمان ، فتذهب فواد زكريا إلى القول : بأن ما حدث من نصر فى رمضان لم يكن

إلا مادياً صرفاً وأن هذه القيم المعنوية النفسية ، وصيحة الله أكبر لا قيمة لها ولا تقدير فى نظرهم ، والهدف من هذا هو فصل المسلمين فى الحاضر عن قيمهم وتاريخهم وعقيدتهم مما يسمونه القديم أو التراث ، ويرون أن النظرة المستقبلية لا يمكن أن تكون إلا ماركسية وكذبوا فإن المسلمين لهم منهجهم الأصيل وقيمهم الربانية القرآنية التى بنوا عليها حياتهم فى الماضى وسيبنون عليها حياتهم فى الحاضر والمستقبل ، وهم يعرفون الفرق بين الميراث الذى هو الإسلام وبين التراث الذى هو التاريخ ، ويؤمنون بأن التاريخ ليس عبثاً وأنهم ليسوا منقادين له أو خاضعين ، وأن تطلعهم الحقيقى موجه نحو المنهج الإسلامى الأصيل مع أساليب العصر وعلومه .

ويحاول الماركسيون أن يقدموا تلك الصور الغربية عن بروميثوس ، ونيتشة وهكذا تكلم زرادشت وغيرها فى محاولة لإقصاء الشباب المسلم عن التعرف على أصالته فكرة وظناً بأن هذا الذى يقدمونه سيحول شباب الإسلام إلى الغرب أو إلى الماركسية .

٢ ــ وبعد نكسة عام ١٩٦٧ ظهر كتاب عصريون غربيون يلبسون لباس الماركسية والمادية أمثال صادق جلال العظم فى كتابه (نقد الفكر الدينى)

وهو حين يتناول الدين فى هذه المرحلة بالذات يعمل كما يقول دكتور كامل سعفان فى إطار سياسى مرسوم يقصد به التشكيك والبلبلة الفكرية وصولا إلى تمزيق الوحدات الاجتماعية وإلى الشعور بالاغتراب وإلى الجفاف الروحى وإلى الفكر المادى ونحن نعرف هجوم الشيوعيين على الدين باعتباره القوة الوحيدة التى تقف فى وجههم ، وتعرف حملتهم عليه ووصفه بكل الصفات الغاضبة الكريهة ، وظنهم أن النكسة هى فرصتهم لتصفى البلاد العربية علاقاتها مع الإسلام وتستسلم للماركسية ، مع أن العكس هو الذى حدث ، وأن العرب والمسلمين تعلموا أن هذه التجربة التى قادها بعض الزعماء قد فشلت ، كما فشلت التجربة الليبرالية من قبل ، وأن الطريق الوحيد أمام المسلمين ليس سوى طريق الله الحق : الإسلام .

ومهما قالوا : من أن الإسلام يرعى القوى الرجعية والمتخلفة ،

أو المحافظة فإن هذا كله لم يعد يهز شعرة واحدة فى النفوس التى آمنت به وخلعت كل ما كان يمر بها من إحساس بأن أى منهج آخر يستطيع أن يحقق للمسلمين مجتمعاً كريماً ، ومهما قالوا : بأن الآخرة رؤيا خيالية ، ومهما أنكروا البعث والحساب والثواب والعقاب فإن هذه الصيحة أصبحت غريبة الآن فى مجتمعات المسلمين ولم تجد غير السخرية من قابلتها .

وأن كل ما يحاولون لصقه بالإسلام هو من التحديات التى واجهت المسيحية فى الغرب أبان النهضة والأمر هنا مختلف تماماً ، فالإسلام هو صانع الحضارة ومنشئ المنهج العلمى التجريبى وليس بينه وبين العلم أو الحضارة أى صراع يمكن أن يصور بأنه صراع الكرادلة أو الحكومة الثيوقراطية .

٣ — ولا يكف الدكتور حسن صعب عن دعواه الممجوجة ، فهو واحد من دعاة التغريب يحاول ويؤازره آخرون الدعوة إلى صهر العقل العربى (الإسلامى الانتماء) فى العقل الغربى ، وكتابة تحديث العقل العربى يدعو إلى تغريب الفكر الإسلامى ونقله من أصوله الأصيلة إلى مسيحية مقنعة .

وأن ما يحاوله حسن مصعب لن يؤدى إلى شىء ، شأنه فى ذلك شأن محاولة زكى نجيب محمود . إن هذه العقول المادية لن تستطيع أن تفهم الوحدة الجامعة فى الإسلام بين المادة والروح والعقل والقلب ، والعلم والدين .

سادساً : سموم المنهج الغربى :

وحيثما تتلفت تجد دعاة التغريب :

(عبد العزيز القوصى) فى محاولة هدم اللغة العربية وبيانها بواسطة طريقة (شرشر) المستوفية ، ودعوته إلى إذاعة مذهب ديوى المفرغ من الأخلاق والدين وفرضه على المدرسة العربية ، سواء فى مصر أم فى أى بلد عربى ذهب إليه .

وهذا الدكتور أحمد زكى قبل أن يرأس تحرير مجلة العربى فى هجومه

العاصف على العروبة ودعوته إلى الإقليمية وتشكيكه فى وحدة العرب واللغة العربية ، تهديماً حتى لا ترتبط الأمه بالإسلام ولا ترقى ليتحدث عن الوحدة الإسلامية .

لقد صال فى ذلك وجال فى مقال طويل بجريدة المصرى فى ١٣/٥/١٩٥٠ تحت عنوان : ما العرب وما الفراعنة ؟ إنما نحن قوم مصريون ، ونجد الدكتور عبد الملك عودة فى كتابه الكتلة الإسلامية الصادرة عام ١٩٥٥ ينقد بشدة إمام جامعة إسلامية على أساس مناقشة الفلسفة لدعوة الكتلة الإسلامية وإبراز أن الطريق هو :

(القومية — العلمانية — الديمقراطية) .

وتلك هى محاولات وراء محاولات ترمى إلى هدم الوحدة الإسلامية الجامعة ، وقد احتط لهم على عبد الرازق ، طه حسين الطريق فخاضوا فيه.

سابعاً : الشعوبية :

وترى شعوبية القضيمى ، وخالد محمد خالد ، ومحمود الشرقاوى (الدين والضمير) فى كتابات مرتبطة أخطرها دعوة الشرقاوى إلى ما أسماه الضمير بدلا من الدين حيث يرمى إلى نشر السموم التالية :

— ترك الصلاة والتكاليف الأخرى اكتفاء بالضمير .
— تأييد قول ابن الرشيد : إن الدين للعوام لا للخواص .
— قول ابن رشد : ما يوجد وراء الدين خرافة .
— قول الفلاسفة : إن الأنبياء جهلة ومضلون و . . .
— قول المعرى :

فلا تحسب مقال الرسل حقاً ... ولكن قول زور سطروه
وكان الناس فى عيش رغيد ... فجاءوا بالمحال فكذبوه

— الأفضل أن يكون الإنسان خيراً فاضلا أصيل جوهر النفس ولو لم يلتزم ما أمرت به العقيدة .

ولا ريب أن هذا كله من كلام الباطنية وفلاسفة المجوس وأن محمود

الشرقاوى كان مكلفاً بهذه الدعوة ممن كتب عنهم كتباً كاملة من بعد ، فقد كان يسير فى ركاب سلامة موسى ، وكانوا يهدفون أن يذيعوا هـذه السموم عن طريق قلم إسلامى فلم يجدوا غيره من الضالين المضلين .

وعلى طريقه مضى خالد محمد خالد فى كتاباته (فليحرثوا فى البحر) .

وكان عبد الله القصيمى هو قائد هذه المدرسة فى كتبه المتعددة وفى مقدمتها كتابه (هذه هى الأغلال)(١) وغيرها من الكتب التى تموج بالأفكار العاصفة .

وفى مجال الأدب نجد المخربين أمثال نزار قبانى ، ومحمود درويش ودعوة عريضة إلى إفساد الشعر العربى يحمل لوائها يوسف الخال داعياً فى صراحه إلى إخراج الشعر العربى عن إطاره وأسلوبه ومنهجه وذلك حين يكتبه من وجهة نظر مسيحية مباشرة وهذا ما لم يفعله أى شاعر عربى فى الماضى ، وأبرز نموذج لشعره هذا : قصيده العشاء الأخير .

أصدر مجلة (شعر) فى يناير عام ١٩٥٧ وتخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت أما نذار قبانى فشاعر هدام لا يحوى من الأفكار إلا ما هو ساقط وضار ، فهو إما تراه يتحدث عن المرأة والمخدع ويردد أفكاراً تشجع على الرذيلة والانحطاط الخلقى ، وإما يروج لأفكار هدامة تشيع اليأس والقنوط فى نفوس الأمة (عبد الله بن إدريس) .

وهو يحمل مشاعر الجماهير فى شعر غير مقفى لإقناع الجماهير وإدخال هذا النوع عليهم من خلال مفاهيم يعجبون بها مع أن أمانته للتغريب أقوى من عرضه للوطنيات فى محاولة خادعة ماكرة .

ولقد حاول بعد نكسة عام ١٩٦٧ أن يصور نفسه بصورة البطل ، وهل يستطيع نزار قبانى وهو صريع الشهوات أن يكون شاعراً وطنياً يوقظ الأمة بعد حوادث عام ١٩٦٧ ، وأنى له ذلك وهو من مصادر الهزيمة الحقيقية ، فقد كان شعره من علامات الانهيار والتدمير ، وكيف يمكن أن يوصف

---

(١) ناقشنا كتاب هذه الأغلال ، وكتاب الدين والضمير وكشفنا زيفهما فى كتابنا (الاسلام والثقافة العربية) .

نزار بأنه من الشعراء الغاضبين ، كما يحاول أن يصوره داعية من دعاة الانحلال والماركسية ، وكيف يمكن أن يكون نزار قبانى من عوامل الهزيمة ثم يجىء ليهاجم المهزومين ، ويصور نفسه بطلا وهو من عناصر الهزيمة ، أنه ينتهز الفرص للظهور فى كل المناسبات فإذا كانت الحياة منطلقة على طبيعتها كشف عن ذيول الإباحيات ، وإن كانت الحروب وقف فى صف الأبطال الكاذبين .

إن شعر نزار قبانى السياسى لا يمكن أن ينفصل عن شعره الإباحى وهو وعاء لترويجه ، ولن يستطيع مثل هذا النموذج أن يكون إباحياً ووطنياً فى وقت واحد (وإنما هى حيلة دعاة الشعوبية من أمثال القصاصين والشعراء) وهل يقبل عقل أن يقارن رجاء النقاش بين نزار قبانى وبين شكسبير أو المتنبى فأين من أين ، أو مقايسته بالمعرى وغيره فيها إسراف كبير من جانب النقاش لقبانى وكلاهما من رواد الحركة المسرحية فى مصر فى العصر الماضى .

أما محمود درويش فهو حامل العلم الشيوعى فى المؤتمر الشيوعى فى رومانيا ، وكتاباته الشعرية مضببة ضالة ، لا تفصح عن وطنية ولا عن رجولة ، وهو خدام للفكر التغريبى تحت أى لواء .

أما مصطفى حسين فإنه ليس مفسداً فى الكاريكاتير فقط ولكن فى دعوته إلى العامية الرديئة المليئة بعبارات الصلف والسخافة ، فهذه حرب للغة العربية على نطاق يومى واسع فى جريدة توزع مئات الألوف ويقرأها الشبان والفتيات ويقلدون عباراتها .

إن مشكلة العامية ليست هى فقط فى كتابة المحلات الهزلية وإنما هى فى اختلاق ألوان جديدة من العبارات التى لا تطابق أسلوب العربية الفصحى .

ثامناً : التبعية :

ومن الظواهر العجيبة أن يخضع بعض الأزهريين إلى الفكر العلمانى إرضاء للعلمانيين فى الصحافة ورغبة فى الحصول على المراكز الدنيوية الزائلة ، فيقول محمد فهمى عبد اللطيف : (ثم جاءت الأديان) بعد أن تحدث عن مصر القديمة ، فهل جاءت الأديان بعد أن صنع علماء مصر القديمة العلم

أم أن الدين هو الذى وجههم إلى فهم العوالم فى تحركها وثباتها ؟ الحقيقة أن أول ما يتعلمه من درس فى الأزهر أن الدين جاء مع أبينا آدم ، ثم مع نوح ومضى مع كل العصور حتى ختم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الذين يقولون : (ثم جاءت الأديان) إنما هم العصريون المخدوعون بمفاهيم التلمود والصهيونية الذين يدعون أن اليهودية هى أول أديان التوحيد .

ويتحدث فهمى عبد اللطيف عما يسميه (أسبوع الآلام) ليرضى موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار وعباراته توحى بأنه يؤمن بصلب السيد المسيح وبذلك يكون قد خرج على حقيقة أساسية من حقائق الإسلام فإن السيد المسيح لم يصلب وكل ما يقال عن أسبوع الآلام لا يقره الإسلام .

يقول : يحلو لى دائماً أن أعيش أسبوع الآلام مع إخواننا الأقباط وفى أسبوع الآلام ترتسم خطوات المسيح والآلام التى عاناها فى سبيل عقيدته ورسالته .

وفى العهد القديم كان كل المصريين المسيحيين منهم والمسلمين يعيشون أسبوع الآلام على صعيد واحد يستشعرون فى الألم الإنسانى الذى يشعرهم بالحياة ويملأ نفوسهم بحب الإنسانية والعطف عليها ، خميس العهد الذى يملأون فيه إناء من ماء . . . إلخ ، فهل هذا كلام يقوله مسلم متخرج من الأزهر ؟ الحقيقة أن فهمى عبد اللطيف قد حاول إرضاء العلمانيين الذين يعمل ومعهم تكلف كثيراً على حساب عقيدته .

والنماذج كثيرة من هذا النوع ، وكلها توحى بهذا الانحراف نحو مفاهيم وافدة ، تنشر فى الصحف بين أيدى الشباب المسلم الذى يظن أنها حقائق ، وكان علينا أن نكشف عنها حتى نعرف المخططات التى يرسمها أعداء الإسلام .

هذا وبالله التوفيق . أنور الجندى

فى متابعة هذه الدراسات :

(١) الصحافة والأقلام المسمومة .
(٢) الشعوبية فى الأدب العربى المعاصر .
(٣) شخصيات اختلف فيها الرأى .

فهرس الكتاب

الموضـــوع الصفحة

البـــاب الثانى

الموضـــوع | الصفحة

* * *

رقم الإيداع بدارالكتب ٣١٥٨ / ١٩٨٥

الترقيم الدولى ٩٧٧- ١٤٢ - ١٠٨-٥

دارالنصر للطباعة الإسلامية

١٢ نشـــاطى-شــبرامصــر

إعادة النظر
فى كتابات العصريين فى ضوء الإسلام

كثرت فى الفترة الأخيرة كتابات العلمانيين والعصريين، واستشرت وجهات النظر المخالفة للفكر الإسلامى، ومضامين القرآن الكريم، والسنة المطهرة ، وحاولت أن تحجب الأصول الأصيلة ، والمنابع الحقيقية ببريق خلب خادع يرمى إلى التأويل ، واستغلال عوامل ضعف المجتمع وكثرة الرخص ، والمحاولات الرامية إلى تبرير خروج المسلمين على أصول دينهم الحقيقية .. ويرجع ذلك فى الأساس إلى ضعف الخلفيات الإسلامية فى التعليم ، ونقصها فى التربية ، وضعف القدوة فى البيت والمدرسة والشارع .. ومن هنا فقد كان حقاً على الكاتب المسلم أن يراجع هذا الركام كله ، وأن يكشف زيفه ، ويصحح الوجهة حتى نكون دائماً على الجادة ، وأن لا نؤتى من أى ثغرة من ثغرات الغزو الثقافى والتغريبى ..

وفى هذه الدراسة يقدم الباحث الجاد ، والمؤرخ الإسلامى الكبير الأستاذ أنور الجندى عدداً من هذه القضايا ، ويضعها فى موقعها الصحيح من الصورة الاجتماعية الإسلامية العامة .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..،،

دار الاعتصام